

سلسلة الفترات الدراسية
(٦)



وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
الجمهورية الجزائرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظه جدة
معهد الإمام الشاطبي

المليحة

في علم رتبة المصنف وضبطه

تأليف

أ. د. غانم قدوري الحمد

راجعه

أ. د. عبد الهادي حميتو

أ. د. أحمد بن أحمد شرشال

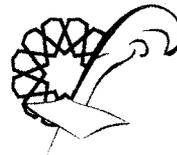
أ. د. أحمد خالد شكري

أ. د. ماجد زكي الجراد

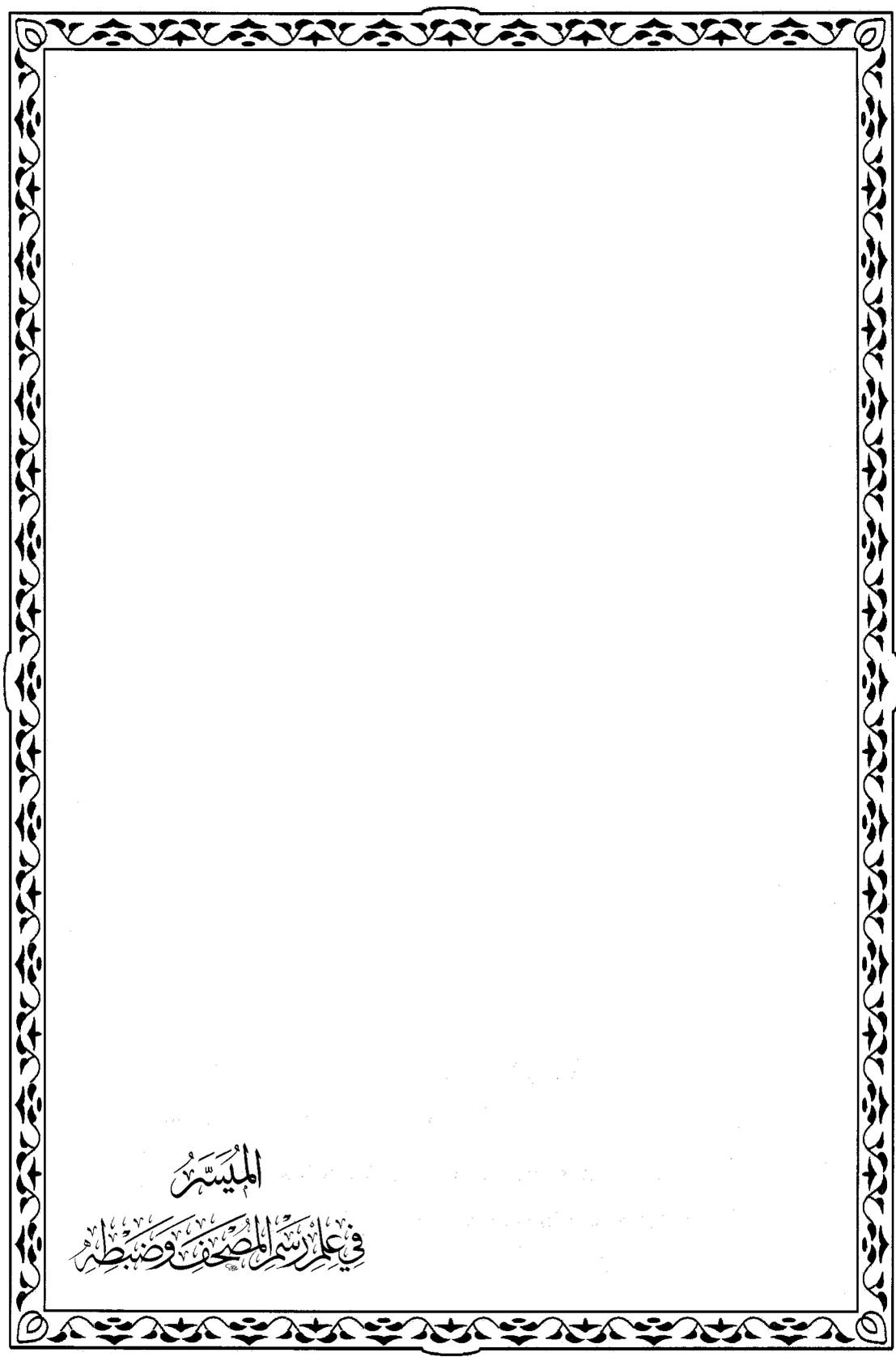
10

مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

بمعهد الإمام الشاطبي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المليحة

في عارضة الصحف وضبطه

حُكْمَ هَذَا الإِصْدَارِ التَّحْكِيمِ الْعِلْمِيِّ الْمُتَعَارَفَ عَلَيْهِ

جَمِيعِ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَاتٍ

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

النَّاسِر

مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ وَالْعُلُومَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ

مَعَهْدُ الإِمَامَةِ الشَّاطِبِيِّ

الذَّابِعِ بِالْمَجْمَعِيَّةِ الْخَيْرِيَّةِ لِتَحْفِيزِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِمُحَافَظَةِ حَبَدَّةِ

ص.ب : ١٤٨١١ ج.د ٢١٤٣٤

هاتف : ٠٠٩٦٦٢٦٧٦٠٢٠٢ - تحويلة ١١٠

محمول : ٠٠٩٦٦٥٠٠٣٢٦٢٢٠ - فاكس : ٠٠٩٦٦٢٦٧٦٠٥٠٥

الموقع الإلكتروني : www.shatiby.edu.sa

البريد الإلكتروني : Drasat1@shatiby.edu.sa

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وعلى آلِهِ وصحَابَتِهِ أَجْمَعِينَ، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ المصحفَ الشريفَ يَضُمُّ كلامَ الله تعالى المُنزَّلَ على النبي محمد ﷺ إذ أَمَرَ - عليه الصلاة والسلام - بكتابة القرآن الكريم، فَكَتَبَهُ كُتَّابُ الوَحْيِ مُفَرَّقًا في الرقاع، وَأَمَرَ خَلِيفَتُهُ الأولُ أبو بكر الصديق ﷺ بجمعه في صحفٍ منظمَة، وصارت كلمة (القرآن) تدل على كلام الله تعالى المَثَلُوُّ بالألسنة المحفوظ في الصدور، وصارت كلمة (المُصْحَفِ) تدل على كلام الله تعالى المكتوب في الصُّحُفِ.

وَحَرَّصَ المسلمون على المحافظة على رسم كلمات القرآن في المصحف كما رسمها الصحابة - رضوان الله عليهم - في المصاحف التي أمرهم بنسخها الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ من الصحف التي جُمِعَ فيها القرآن في زمن أبي بكر الصديق، وعُرِفَتْ بالمصاحف العثمانية، نسبة إلى عثمان؛ لأنه هو الذي أمر بنسخها، وسُمِّيَ رسمها بالرسم العثماني.

وكان رسم المصاحف الأولى مُجَرِّدًا من نِقاط الإعجام وحركات الإعراب، شأنه في ذلك شأن ما كان يُكْتَبُ بالعربية في غير المصاحف، وامتاز رسم عدد من الكلمات في المصحف بزيادة حرف أو حذفه، أو إبداله، أو وصله أو فصله، واجتهد علماء اللغة العربية في تدارك ذلك في ما يَكْتَبُ الناس في غير المصحف، برسم الكلمة بحروف هجائها مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، وباختراع علاماتٍ للحركات وتمييز الحروف المتشابهة في الرسم،

فظهر علم الإملاء الذي عُرِفَ في القرون الأولى بعلم الخط أو الهجاء . ولم يستجب علماء القراءة وكُتَّابُ المصاحف للتطور الذي حصل في رسم الكلمات على يد علماء اللغة العربية، وحافظوا على رسم الكلمات في المصاحف على ما فيها من زيادة أو حذف أو إبدال أو وصل أو فصل، حرصاً منهم على بقاء المصحف على صورته الأولى رسماً وترتيباً، وقاموا بدراسة المصاحف العثمانية وما نُقِلَ منها من مصاحف، وألَّفُوا الرسائل والكتب في وصف رسم الكلمات في تلك المصاحف، فظهر علم رسم المصحف، الذي عُرِفَ في القرون الأولى بعلم هجاء المصاحف، وكُتِبَتْ مؤلفات أخرى تُعْنَى بالنَّقْطِ والشَّكْلِ في المصاحف، فظهر علم النَّقْطِ والشَّكْلِ، الذي غلب عليه اسم علم الضبط في العصور المتأخرة.

وصار (علم رسم المصحف) موضع عناية كُتَّابِ المصاحف حتى يتمكنوا من المحافظة على صورة المصاحف الأولى في ما يكتبون من مصاحف جديدة، وموضع عناية علماء القراءة؛ لأن موافقة القراءة لرسم المصحف هي أحد شروط صحة القراءة، وكذلك كان رسم المصحف موضع اهتمام كُلِّ من أراد قراءة القرآن وتَعَلَّمَ تجويده، حتى يحترز من الخطأ في القراءة.

ولا يزال (علم رسم المصحف) يحظى بعناية الدارسين، ويحتل مكانة متميزة في مناهج التعليم في كليات القرآن الكريم ومعاهد الإقراء والمؤسسات التي تعنى بطباعة المصحف، وكَثُرَتِ المؤلفات في هذا العلم، قديمة وحديثة، مطولة ومختصرة، منشورة ومنظومة، استجابة لتلك العناية وذلك الاهتمام.

وكان من ضمن مناهج معهد الإمام الشاطبي تدريس مادة (رسم المصحف)، ورَغِبَتْ إدارة المعهد والقائمون على المناهج فيه تأليف كتاب في (علم رسم المصحف) في إطار خطة المعهد في تحديث المناهج وتيسيرها، وعهدت إليَّ بتأليف ذلك الكتاب، أسأل الله تعالى العون على إنجازهِ والتوفيق لِمَا ينفع الدارسين لهذا العلم الشريف في المعهد أو خارجه.

ويتألف الكتاب في خطته المعتمدة من ستة فصول، بعد تمهيد عن الكتابة العربية قبل تدوين القرآن الكريم.

يتحدث الفصل الأول عن تعريف علم رسم المصحف وفائدته، وبيان أصول رسم المصحف التاريخية، والأسس التي استند إليها الصحابة رضي الله عنهم في تدوين القرآن الكريم في المصاحف.

ويتضمن الفصل الثاني تعريفاً بمصادر دراسة رسم المصحف، من المصاحف القديمة المخطوطة، والمؤلفات المتخصصة.

ويعرض الفصل الثالث خصائص الرسم العثماني الخمسة: (الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل).

ويُعنى الفصل الرابع بتوجيه ظواهر الرسم المخالفة للنطق، ويتناول النظريات التي يتبناها الدارسون في تفسير ظواهر الرسم، والعلل الراجحة في توجيهها.

ويبحث الفصل الخامس في العلاقة بين القراءات والرسم.

ويُقَدِّم الفصل السادس تعريفاً بعلم الضبط في نشأته الأولى، وأهم العلامات المستعملة في ضبط المصاحف، مع دراسة تحليلية لنماذج مصورة من عدد من المصاحف المخطوطة، تمثل مراحل متعددة لتطور رسم المصحف وضبطه.

وألحقنا بمباحث الكتاب ضوابط منظومة من العقيلة للشاطبي، ومورد الظمآن للخراز، وكشِفِ العَمَى والرَّيْنِ للشيخ محمد الجكني، وغيرها، ليطلع عليها الدارس، ويحفظ منها ما يراه مناسباً، وكذلك ألحقنا خلاصات لموضوعات المباحث، وأسئلة تقويمية، وتطبيقات عملية، ليستفيد منها المعلم والمتعلم، إن شاء الله تعالى.

وقد فرَّضتِ الغايَةُ التي أُلِّفَ من أجلها هذا الكتاب، وطبيعة المنهج الذي انبنى عليه، التركيز على الموضوعات الأساسية المتعلقة برسم المصحف، مع الأخذ بنظر الاعتبار الأمور الآتية:

أولاً: اعتماد الاختصار غير المخل في تناول الموضوعات، حتى لا يتضخم حجم الكتاب فيثقل على المتعلمين في هذه المرحلة، ويخرج عن الوقت المخصص له.

ثانياً: عدم الخوض في الجوانب التفصيلية والمسائل الخلافية في الرسم، إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك؛ لأن الخلاف في الرسم لا يكاد ينحصر^(١)، وقد تكفلت بذلك مصادر الرسم الموسعة، خاصة شروح العقيلة للشاطبي، وشروح مورد الظمان للخزاز، فإذا رغب الدارس بالوقوف على تلك الأمور فعليه أن يراجع المصادر المفصلة في علم الرسم.

ثالثاً: الاكتفاء بالأمثلة الدالة على ظاهرة معينة إذا كانت أمثلتها مما يطول ذكره، مثل مواضع حذف الألف، ومواضع رسم الألف ياء، وأمثلة رسم الهمزة، ومن احتاج إلى الوقوف على جميع أمثلة الظاهرة فعليه بالرجوع إلى كتب الرسم المفصلة.

وآمل أن يحقق هذا الكتاب الغاية من تأليفه المتمثلة في تعريف الدارس بأصول رسم المصحف، وبيان قواعده، وتفسير ظواهره، والوقوف على نماذج مصورة منه، خاصة بعد أن توفر لتأليف هذا الكتاب أهم المصادر التي تعنى بموضوعه، فقد طبعت معظم مصادر الرسم القديمة، وأصبحت المصاحف الأمهات القديمة في متناول يد الدارسين بعد طباعة عدد منها مصورة عن أصولها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الأعمال الصالحة.

ولا بد لي من أن أذكر بالعرفان والشكر عمادة معهد الإمام الشاطبي التابع للجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بمحافظة جدة، وإدارة مركز الدراسات والمعلومات القرآنية في المعهد لرعايتهم هذه السلسلة من المؤلفات، وتبنيهم طباعتها، كما أخص بالشكر الأخ الأستاذ عمار محمد الخطيب الذي أسهم في مراجعة طباعة الكتاب وتصحيحه، جزاهم الله تعالى

(١) ينظر: محمد العاقب الجكني: رشف اللمی ص ١٢٣.

كل خير، ووقفهم لخدمة القرآن الكريم وعلومه^(١).
 أسأل الله تعالى الإخلاص في القصد، والسداد في القول، والرشد في
 العمل، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، والتابعين
 لهم بإحسان إلى يوم الدين.

تكرير

١٤٣١/٣/٢٨ هـ

٢٠١٠/٣/١٤ م

يوم الأحد

(١) أتقدم أيضاً بالشكر والعرفان بالفضل للأساتذة الذين انتدبهم المعهد لتقويم الكتاب في صورته الأولى، فقد أفدت كثيراً من ملاحظاتهم واستدراكاتهم، واطلعت على أسمائهم بعد انتهاء تحكيم الكتاب، وهم: الأستاذ الدكتور عبد الهادي حميتو، والأستاذ الدكتور أحمد خالد شكري، والأستاذ الدكتور أحمد شرشال، والأستاذ الدكتور ماجد زكي الجلاد، جزاهم الله تعالى خير الجزاء.



أصل الكتابة العربية وخصائصها

إنَّ دراسة رسم المصحف تقتضي الوقوف على أصل الكتابة التي دُوِّنتَ بها المصاحف الأولى، وهو أمر حَرَصَ عليه عدد من علماء السلف المتقدمين، على نحو ما فعل عبد الله بن أبي داود في أول كتاب «المصاحف»^(١)، وأبو عمرو الداني في أول كتاب «المقنع»^(٢)، وتتحقق من تلك الدراسة فائدتان في الأقل، هما:

الفائدة الأولى: الكشف عن أصل الكتابة التي دُوِّنَ بها القرآن الكريم، مُفَرَّقاً في الرقاع، ومجموعاً في الصحف، ومكتوباً في المصاحف.

والثانية: الوقوف على خصائص الكتابة التي اسْتُعْمِلَتْ في كتابة القرآن الكريم، لعل في ذلك ما يُفَسِّرُ بعض ظواهر الرسم التي نجدها في المصاحف العثمانية.

ويتضمن هذا التمهيد الحديث عن قضيتين: الأولى: أصل الكتابة العربية، والثانية: خصائص الكتابة العربية في عصر نسخ المصاحف الأولى.

أولاً: أصل الكتابة العربية:

اسْتُعْمِلَ العرب قبل الإسلام نوعين من الخط^(٣):

(١) كتاب المصاحف ١٥١/١ - ١٥٢.

(٢) المقنع ص ٩، وينظر: المحكم (له) ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) ينظر: غانم قدوري الحمد: علم الكتابة العربية ص ٣٠.

الأول: المُسْنَدُ، وهو خط أهل اليمن القديم، قال ابن منظور: «والمُسْنَدُ خَطُّ لَحْمِيرٍ مَخَالَفٌ لِخَطِّنَا هَذَا، كَانُوا يَكْتُبُونَهُ أَيَّامَ مُلْكِهِمْ»^(١)، وَتُرِكَ اسْتِعْمَالُهُ فِي الْيَمَنِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ، وَبَقِيََتْ آثَارُهُ عَلَى الْمَبَانِي الْقَدِيمَةِ هُنَاكَ^(٢)، وَانْتَقَلَ هَذَا الْخَطُّ إِلَى الْحَبْشَةِ، وَهُوَ أَصْلُ الْكِتَابَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي أُثْيُوبِيَا الْيَوْمِ^(٣)، وَصَرَّحَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ أَنَّهُ: «مِنَ الصَّعْبِ الْبَتِّ فِي الْوَقْتِ الْحَاضِرِ فِي مَوْضِعِ أَصْلِ الْمُسْنَدِ»^(٤).

وحسبنا هنا هذه الإشارة إلى المسند، ليكون القارئ على معرفة به، ولا يحتاج دارس رسم المصحف معرفة أكثر من ذلك عنه^(٥).

الثاني: الخط العربي الشمالي الذي كان معروفاً في الحجاز في زمن البعثة النبوية المباركة، وهو الخط الذي اسْتُعْمِلَ فِي تَدْوِينَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَكُتِبَ بِهِ التَّرَاثُ الْعَرَبِيُّ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ.

وهناك نظريتان في أصل الخط العربي الشمالي: قديمة وحديثة.

والنظرية القديمة التي وردت في المصادر اللغوية العربية القديمة تَسْبُبُ وَضَعَ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ إِلَى آدَمَ ﷺ، أَوْ إِلَى النَّبِيِّ إِسْمَاعِيلَ ﷺ، أَوْ إِلَى عِدَدٍ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِينَ تَعَدَّدَتْ أَسْمَاؤُهُمْ، فَبَعْضُ الْمَصَادِرِ سَمَّيَتْهُمْ: أَبْجَدًا، وَهَوَّزًا، وَحَطِيًّا... إلخ، وَبَعْضُهَا سَمَّيَتْهُمْ: مُرَامِرَ بَنِ مُرَّةٍ، وَأَسْلَمَ بْنَ سِدْرَةَ،

(١) لسان العرب ٢٠٦/٤ (سند)، وينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٥٣.

(٢) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١/١٩٢، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (له) ٨/٢٠٢.

(٣) ينظر: رمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص ١٠٦ و ١٨٠، وديرينجر: الكتابة ص ١١٥.

(٤) جواد علي: المفصل ٨/٢١٥.

(٥) قال ابن خلدون في المقدمة ص ٤١٨: «وقد كان الخط العربي بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة، لِمَا بَلَغَتْ مِنَ الْحَضَارَةِ وَالتَّرَفِ، وَهُوَ الْمَسْمُومُ بِالْخَطِّ الْحَمِيرِيِّ، وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى الْحَيْرَةِ... وَمِنَ الْحَيْرَةِ لُقِّنَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ وَقَرِيشٌ...»، وَلَا يُؤَيِّدُ الدَّارِسُونَ الْمَحْدَثُونَ نَظْرِيَةَ ابْنِ خَلْدُونَ فِي أَنَّ الْمُسْنَدَ هُوَ أَصْلُ الْخَطِّ الْعَرَبِيِّ الشَّمَالِيِّ.

وعامر بن جَدْرَةَ^(١).

والروايات في هذا الباب تَكْثُرُ وَتَخْتَلِفُ، كما قال ابن فارس^(٢)، وهي لا تستند إلى خبر صحيح منقول، ولا دليل عقلي مقبول^(٣).

وتتلخص النظرية الحديثة في أن الخط العربي الشمالي مشتق من الخط النَّبْطِيُّ المنحدر عن الخط الآرامي^(٤). والأنباط الذين تطور على أيديهم الخط العربي قبائل عربية كانت تسكن شمالي الجزيرة العربية وبادية الشام الجنوبية، خالطوا الآراميين في الشام، وأخذوا عنهم حضارتهم وخطهم، وكانت لهم دولة عاصمتها سَلْع (البتراء)، زالت على أيدي الرومان سنة ١٠٦م^(٥)، ولا تزال آثارها باقية في وادي موسى في الأردن.

وكانت لأهل الحجاز روابط تربطهم بأهل الشام، وكانت قوافل التجارة تسير إلى الشام، وليس بعيداً أن ينقلوا إلى الحجاز الخط العربي الذي تميز في تلك الأنحاء في القرون الأولى بعد الميلاد، لكن رواية أخرجها ابن أبي داود في كتاب المصاحف^(٦)، ونقلها الداني في المقنع^(٧)، تشير إلى انتقال الكتابة العربية من الأنبار والحيرة في غربي العراق إلى الحجاز، وهي «... عن الشعبي، قال: سألت^(٨) المهاجرين: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الحيرة، وسألنا أهل الحيرة: من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا من أهل الأنبار».

(١) ينظر: ابن عبد ربه: العقد الفريد ١٥٦/٤ - ١٥٧، وابن فارس: الصحابي ص ١٠، والسيوطي: المزهري ٣٤١/٢ - ٣٥٢.

(٢) الصحابي ص ١٠.

(٣) ينظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف ٢٨ - ٣٦.

(٤) ينظر: خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص ٣، وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ١٣، ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية السامية ص ١٢٢، وديرينجر: الكتابة ص ١٣٦.

(٥) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٧١/٧، والمفصل (له) ٩/٣، وإحسان عباس: تاريخ دولة الأنباط ص ٣٧ - ٧٠.

(٦) كتاب المصاحف ١٥١/١.

(٧) المقنع ص ٩.

(٨) في المقنع: (سألنا).

وسواء انتقلت الكتابة العربية من بلاد الشام إلى الحجاز مباشرة، أم مرّت بالأنبار والحيرة^(١)، فإن عشرات من الرجال كانوا يكتبون في مدن الحجاز زمن البعثة النبوية المباركة، قال البلاذري: دخل الإسلام وفي قريش سبعة عشر رجلاً كُلُّهُمْ يَكْتُبُ، وفي المدينة عدّةٌ منهم يكتبون^(٢). ويؤكد ذلك أن النبي ﷺ استعان بعدد من أولئك الكُتّبة في تدوين القرآن الكريم على الرقاع، على نحو ما سنذكر في المباحث اللاحقة.

ثانياً: خصائص الكتابة العربية قبل تدوين القرآن الكريم:

يشمل الحديث عن خصائص الكتابة أمرين، الأول: بيان نوع الخط، والثاني: مدى وفاء الرموز المكتوبة في تمثيل الأصوات المنطوقة، وسوف أرجئ الحديث عن نوع الخط إلى الفصل الأخير من هذا الكتاب، عند تحليل نماذج مصورة من مصاحف مخطوطة متنوعة، ومن ثم سوف يقتصر الحديث هنا على خصائص الكتابة العربية المتعلقة بتمثيل الرموز لأصوات اللغة.

ويعتمد الحديث عن خصائص أية كتابة على النصوص المدونة بها، وهناك عدد من النصوص المدونة بالكتابة العربية ترجع إلى ما قبل الإسلام، اعتمد عليها الدارسون في تتبع تطور الكتابة النبطية إلى العربية التي دُوّن بها القرآن الكريم في عصر صدر الإسلام.

وسوف ندرس ثلاثة نقوش عربية قديمة لنستخلص منها خصائص الكتابة العربية القديمة، وهي نقشان من عصر ما قبل الإسلام: الأول نقش النمارة المؤرخ بسنة ٣٢٨م، والثاني نقش جبل أسيس المؤرخ بسنة ٥٢٨م، والثالث نقش القاهرة المؤرخ بسنة ٣١هـ (= ٦٥١م).

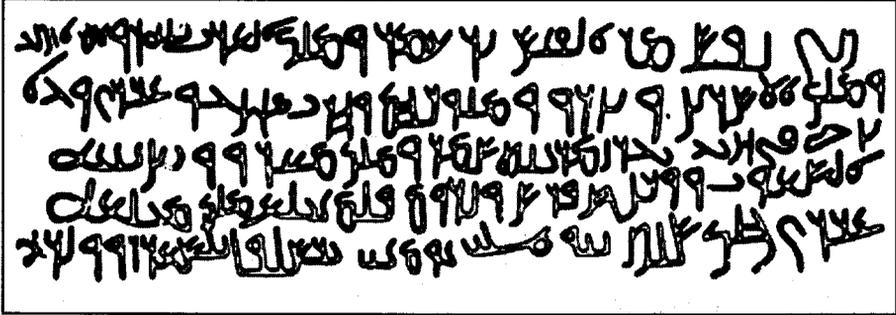
١ - نقش النمارة:

هو شاهد قبر ملك عربي اسمه امرؤ القيس بن عمرو، وعُرفَ بنقش

(١) ينظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف ص ٥٠ - ٥٤.

(٢) فتوح البلدان ص ٤٧٧ و ٤٧٩.

النَّمَارة نسبة إلى اسم الموضع الذي عُثِرَ على النقش بالقرب منه، في منطقة حوران في جنوب غرب سورية، وهو مؤرخ بسنة ٢٢٣ من تاريخ بُصْرَى الذي يبدأ بسنة ١٠٥م، وهي السنة التي سقطت فيها مدينة بصرى بأيدي الرومان، ويوافق ذلك سنة ٣٢٨ من التاريخ الميلادي^(١). وهذه صورة النقش:



وهذه كلمات النقش مرسومة بحروف كتابتنا العربية، على نحو ما قرأه عدد من الدارسين، وإن اختلفوا بينهم في قراءة عدد من الكلمات أو تفسير معناها^(٢):

- ١ - تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج.
- ٢ - وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب محجو عكدي وجأ.
- ٣ - بزجي في حبيج نجرن مدينت شمر وملك معدو ونزل بنيه.
- ٤ - الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- ٥ - عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده.

(١) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١٧/١.

(٢) ينظر: عن هذا النقش وقراءته:

خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص ٧٠.

وجواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ١٨٩/١ و ٢٧٣/٧، والمفصل (له) ١٩١/٣.

وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٢٠.

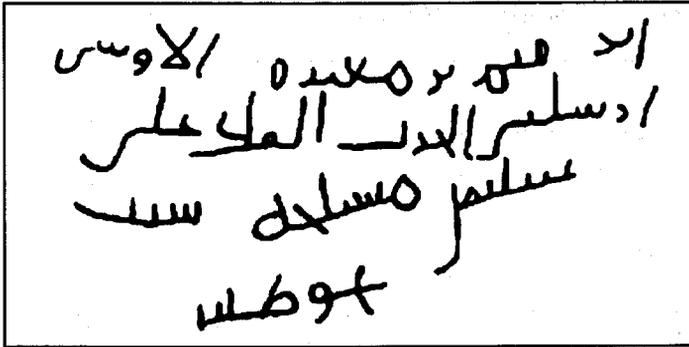
ورمزي بعلبكي: الكتابة العربية والسامية ص ١٢٤.

وغانم قدوري الحمد: علم الكتابة العربية ص ٤٤.

إنَّ هذا النقش له أهمية تاريخية ولغوية تتمثل بتاريخه المتقدم، وتتمثل بشكله الكتابي الذي يُعدُّ نقطة التحول من الخط النبطي ذي الملامح الآرامية إلى الخط العربي الحجازي الذي ابتعد عن أصله وتميز بخصائص جديدة جعلت منه خطًّا مستقلاً، صار له بعد ذلك شأن عظيم، لكتابة القرآن الكريم به.

٢ - نقش جبل أُسَيْس:

عُثِرَ على هذا النقش في منطقة تبعد ١٠٥ كيلومترات جنوب شرق دمشق، عند جبل أُسَيْس، وهو مؤرخ بسنة ٤٢٣ بتاريخ بُصْرَى الذي يقابل سنة ٥٢٨م؛ أي: بعد تاريخ نقش النَمَّارة بمئتي سنة، وهذه صورة النقش:



وهذا نص كلمات النقش بحروف كتابتنا اليوم:

١ - إبراهيم (إبراهيم) بن مغيرة الأوسي.

٢ - أرسلني الحرث (الحرث) الملك علي.

٣ - سليمان (سليمان) مسلحة سنة.

٤ - ٤٢٣.

وقد يكون الحرث المذكور في النص هو الحرث بن جبلة الذي انتصر على المنذر الثالث اللخمي في عام ٥٢٨هـ^(١)، وقد يكون إبراهيم بن المغيرة الأوسي أحد أتباع الملك المحاربين، فالمسْلحةُ تعني: «القوم الذين يحفظون

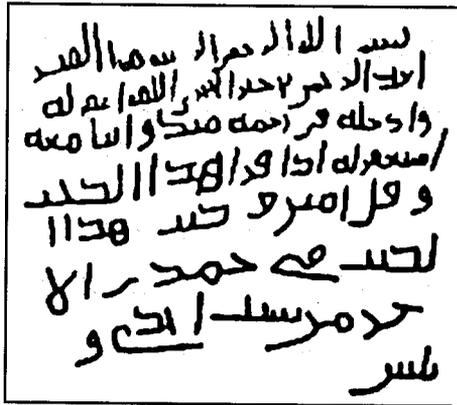
(١) سهيلة الجبوري: أصل الخط العربي ص ٥٣.

الثغور من العدو، وسموا مَسْلِحَةً لأنهم يكونون ذوي سلاح، أو لأنهم يسكنون المَسْلِحَة، وهي كالثغر والمَرَقَب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له^(١).

وكلمات هذا النقش مقروءة، وهو مكتوب بلغة عربية خالية من أي مظهر من مظاهر العُجْمَة، وهو على قلة كلماته ذو دلالة كبيرة تتمثل بوجود كتابة عربية مكتملة منذ ذلك التاريخ المبكر الذي يسبق عصر كتابة القرآن بمئة سنة تقريباً.

٣ - نقش القاهرة:

وهو شاهد قبر لرجل عربي مسلم دُفِنَ في مصر، وهو محفوظ في متحف الفن الإسلامي في القاهرة، ومؤرخ بسنة ٣١هـ، وأبعاده ٣٨سم × ٧١سم^(٢)، وهذه صورة له:



وهذه قراءة للنص بحروف كتابتنا اليوم، والكلمات الموضوعية بين قوسين مختلف في قراءتها^(٣):

- (١) ابن منظور: لسان العرب ٣/٣١٧ (سلح).
- (٢) ينظر: إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ١٣٠، وسهيلة الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره ص ١٠٨، وغانم قدوري الحمد: علم الكتابة العربية ص ٤٨.
- (٣) ينظر: خليل يحيى ناجي: أصل الخط العربي ص ٩١، وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٤١.

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم هذا القبر.
- ٢ - لعبد الرحمن بن (خير) (الحجري) اللهم اغفر له.
- ٣ - وأدخله في رحمة منك (واننا) معه.
- ٤ - استغفر له إذا (قرأ) هذا الكتاب.
- ٥ - وقل آمين وكتب هذا ا.
- ٦ - لكتاب في جمادى الآ.
- ٧ - خر من سنت إحدى و.
- ٨ - ثلاثين.

وهذا النص يحمل خصائص الكتابة العربية التي تظهر في نقوش العصر الجاهلي، وإن كانت معانيه إسلامية محضة، وهو يرجع إلى الحقبة التي نُسخَتْ فيها المصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ويمكن أن نستخلص من خلال النظر في النقوش الثلاثة السابقة أهم خصائص الكتابة العربية في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام، وتتمثل في ما يأتي:

- ١ - اتجاه الكتابة من اليمين إلى اليسار.
- ٢ - اتصال حروف الكلمة الواحدة، إلا ما تعذر اتصاله من حروف العربية الستة، وهي: الراء والزاي والذال والواو والألف.
- وكانت الكتابة النبطية في مراحلها الأولى تُكْتَبُ بحروف منفصلة، ثم مالت نحو الاتصال في الكلمة الواحدة، حتى استقرت على الصورة التي نجدها في الكتابة العربية القديمة، وكان من نتائج ذلك التحول أمران^(١):
- أ - صار لعدد من الحروف أكثر من شكل بحسب موقعه من الكلمة.
- ب - فَقَدَ عدد من الحروف أشكالها المتميزة، وأخذت تختلط بحروف أخرى، وصار رمز واحد يدل على صوتين، مثل الدال والراء والسين وغيرها،

(١) ينظر: غانم قدوري الحمد: رسم المصحف ص ٧٣.

واستدعى ذلك اختراع نقاط الإعجام في حقبة لاحقة، إذ لم تكن هذه العلامات المُمَيِّزة موجودة في الكتابة العربية قبل الإسلام.

٣ - لم تكن في الكتابة علامات للحركات، وقد اخترع العلماء تلك العلامات في حقبة لاحقة، بعد تدوين القرآن الكريم بهذه الكتابة.

٤ - حُذِفَتِ الألف في وسط الكلمات، كما يظهر ذلك في عدد من كلمات نقش النمارة، ومن (إبراهيم، والحارث، وسليمان) في نقش جبل أسيس، ومن (الرحمٰن، وهذا، والكتاب، وجمادى، وثلاثين)، في نقش القاهرة، أما في آخر الكلمات فالألف ثابتة في الرسم، كما في كلمة (هذا وإننا وإذا)، في نقش القاهرة.

٥ - رُسِمَتِ الألف ياء، كما يبدو ذلك في كلمة (على) في نقش جبل أسيس، وفي كلمة (جمادى وإحدى) في نقش القاهرة.

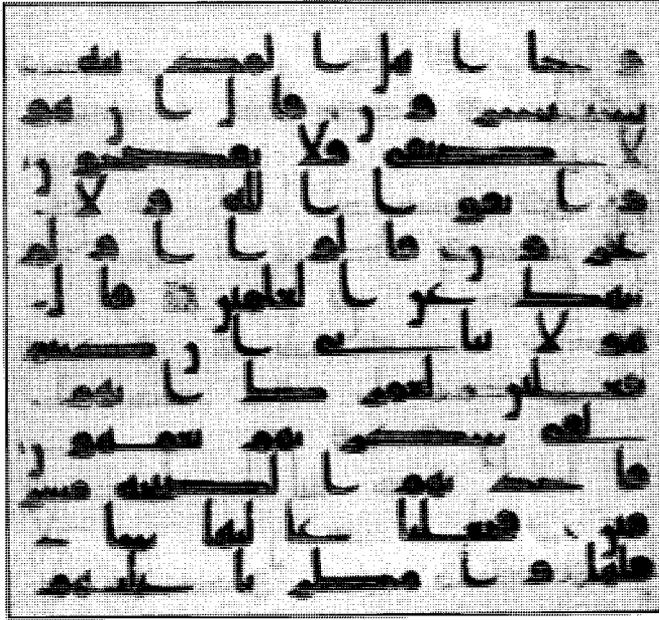
٦ - جاءت تاء التأنيث مرسومة هاء في كلمة (مغيرة، ومسلحة) في نقش جبل أسيس، وفي كلمة (رحمة) في نقش القاهرة، في حين جاءت كلمة (سنة) مرسومة بالتاء المبسوطة في النقشين.

٧ - جاءت حروف عدد من الكلمات موزعة على سطرين في نقش القاهرة، كما في كلمة (الكتاب، والآخر).

٨ - جاء عدد من الأعلام في نقش النمارة مرسوماً بواو في آخره، مثل (عمرو، ونزرو، ومعدو)، وكان ذلك يشكل ظاهرة شائعة في الكتابة النبطية، إلا إنها اختفت من الكتابة العربية، إلا في كلمة (عمرو)^(١).

وظهر أكثر هذه الخصائص في الكتابة العربية التي استعملت في تدوين القرآن، في ما صار يعرف بالرسم العثماني، وعلى نحو ما سيرد ذلك مفصلاً في هذا الكتاب، لكن يمكن تأكيد ذلك من خلال النظر في هذه الصحيفة من مصحف طشقند:

(١) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٩٩/٣.



من سورة الحجر الآية ٦٧ - ٧٤

ويمكن أن نلاحظ في هذه الصفحة عدداً من الظواهر الكتابية التي لاحظناها في النقوش السابقة، ومنها^(١):

- ١ - حُلُوُّ أكثر الحروف من نقاط الإعجام، ومن علامات الحركات.
- ٢ - حذف الألف المتوسطة من عدد من الكلمات، مثل (العلمين، وفعلين).
- ٣ - توزيع حروف عدد من الكلمات على سطرين، كما في كلمة (مشر/قين، وسا/فلها).
- ٤ - هناك ظواهر كتابية أخرى في الصفحة سوف نعود للحديث عنها تفصيلاً في مباحث هذا الكتاب.

والحقيقة التي يلزم التأكيد عليها هنا هي أن القرآن الكريم كُتِبَ في الرقاع، وحُطِّ في الصحف والمصاحف، بالكتابة العربية التي كانت سائدة في عصر صدر الإسلام، كما تدل على ذلك الموازنة بين نقوش تلك الحقبة وخصائص الكتابة التي رُسِمَ بها المصحف الشريف.

(١) ينظر: غانم قدوري الحمد: موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة ص ١٩٢ - ١٩٧ (ضمن كتاب أبحاث في علوم القرآن).

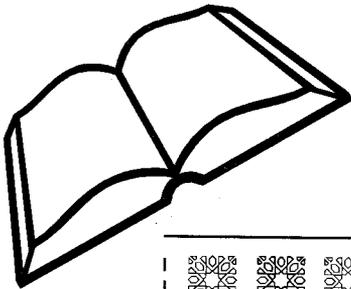
خلاصة

- ١ إنَّ الوقوف على أصل الكتابة العربية التي كُتِبَتْ بها المصاحف العثمانية مفيد في دراسة الرسم المصحفي، وتفسير ظواهره.
- ٢ عرَّفَ العرب قبل الإسلام نوعين من الخط، الأول: المُسْنَد (أو الخط العربي الجنوبي)، وهو خط أهل اليمن القديم، والثاني: الخط الحجازي (أو العربي الشمالي) الذي دُوِّنَ به القرآن الكريم.
- ٣ تعددت آراء المؤرخين في أصل الخط الحجازي، والراجح عند الدارسين المحدثين أنه منحدر عن الخط النبطي، المتفرع عن الخط الآرامي.
- ٤ يتميز الخط العربي الشمالي، كما يظهر في عدد من النقوش القديمة، بالخصائص الآتية:
 - أ - تجرده من علامات الحركات.
 - ب - تشابه عدد من الحروف في الصورة، وعدم وجود نقاط تميزها.
 - ج - حذف حروف المد الثلاثة في كثير من الكلمات، خاصة الألف.
 - د - رسم الألف ياء في كثير من الكلمات.
 - هـ - رسم تاء التانيث هاء في مواضع وتاء في مواضع أخرى.
 - و - تَوَزُّع حروف الكلمة الواحدة في آخر السطر وأول السطر التالي في حالات كثيرة.
 - ز - زيادة الواو في آخر أسماء الأعلام، كما في كلمة (عمرو).
- ٥ انعكس كثير من خصائص الكتابة العربية القديمة على رسم المصحف.

أسئلة تقويمية

- ١ س ما فائدة دراسة أصل الكتابة العربية؟
- ٢ س اذكر أنواع الخطوط التي استخدمها العرب قبل الإسلام؟
- ٣ س أي الخطوط العربية القديمة التي يُهمُّ دارسَ رسم المصحف مَعْرِفَتُهَا والوقوف على خصائصها؟
- ٤ س ما أرجح الأقوال في أصل الخط العربي الحجازي؟
- ٥ س ما أشهر النقوش العربية القديمة المكتوبة بالخط العربي الشمالي، وما دلالتها التاريخية؟
- ٦ س اذكر أهم خصائص الخط العربي الحجازي قبل الإسلام؟
- ٧ س إلى أي مدى انعكست خصائص الخط العربي الشمالي على رسم المصاحف العثمانية؟

الفصل الأول
أصول رسم المصحف

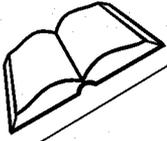


لرسم المصحف أصل يرجع إليه، وأسس ينبني عليها، ومصطلحات تستعمل في الدلالة عليه، يلزم الدارس الوقوف عندها قبل الانتقال إلى البحث في مصادره وظواهره وما قيل في تعليلها، وسوف يتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث تتناول الموضوعات الآتية:

المبحث الأول: المصطلحات الدالة على الرسم، وتعريفه، وبيان الفائدة من دراسته.

المبحث الثاني: مراحل تدوين القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الأسس التي استند إليها الصحابة في تدوين القرآن الكريم.



المبحث الأول

علم رسم المصحف: تعريفه وفائدته

عَرَفَتِ اللغة العربية عدداً من الكلمات الدالة على استعمال القلم لرسم الحروف، من أشهرها: الكتابة، والهجاء، والرسم، والخط^(١)، واستُعْمِلَتْ هذه الألفاظ بمعانٍ مترادفة، كما اختص بعضها بدلالة معينة في بعض العصور.

وأشهر تلك الألفاظ استعمالاً لفظة (الكتابة) وما اشتق منها، يقال: كَتَبَ الشيءَ يَكْتُبُهُ كِتَابًا وَكِتَابًا وَكِتَابَةً: خَطَّهُ^(٢)، لكن استعمال هذه اللفظة وما اشتق منها ظل أقرب إلى الاستعمال اللغوي منه إلى الدلالة الاصطلاحية.

وقد يكون استعمال لفظة (الهجاء) أقرب إلى الدلالة الاصطلاحية منذ وقت مبكر من تاريخ العلوم العربية، وكان لهذه الكلمة في العربية معنيان، الأول: الشُّنْمُ بالشُّعْر، وهو خلاف المدح، يقال: هَجَأُ يَهْجُوهُ هَجْوَاً وَهَجَاءً، والثاني: القراءة، أو هو تقطيع اللفظة بحروفها، يقال: هَجَوْتُ الحروفُ وَتَهَجَّيْتُهَا هَجْوَاً وَهَجَاءً وَتَهَجِيَةً^(٣)، واستُعْمِلَتْ كلمة (الهجاء) في عناوين عدد من الكتب المؤلفة في قواعد الخط في القرن الثالث والرابع الهجريين^(٤)، وأُظْلِقَ على كتابة المصحف هجاء المصحف أيضاً، وظهرت هذه الكلمة في عناوين أقدم المؤلفات في هذا العلم، مثل كتاب «هجاء المصاحف» ليحيى بن الحارث الذماري (ت ١٤٥هـ)، وكتاب «هجاء السنة» للغازي بن قيس الأندلسي

(١) ينظر: نصر الهوريني: المطالع النصرية ص ٧.

(٢) ابن منظور: لسان العرب ١٩٢/٢ (كتب).

(٣) ينظر: لسان العرب ٢٢٨/٢٠ (هجا).

(٤) ينظر: الفهرست ص ٦٤ و ٦٨ و ٦٩ و ٧٢ و ٨١ و ٨٢ و ٨٩ و ٩٠.

(ت ١٩٩هـ)، وكتاب «هجاء المصاحف» لمحمد بن عيسى الأصفهاني (ت ٢٥٣هـ)، وغيرها من الكتب المذكورة في المبحث الخاص بمصادر الرسم.

ويبدو أن ارتباط كلمة الهجاء بالمعنى الخاص بالشعر جعل علماء الرسم يتحولون عنها إلى كلمة الرسم وما اشتق منها، على نحو ما فعل الداني في كتابه «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار».

والرَّسْمُ في اللغة الأثر، ومنه رسوم الديار وهي آثارها، ورَسَمَ على كذا يَرَسُمُ: كَتَبَ^(١)، وشاع استعمال هذه اللفظة في العصور المتأخرة للدلالة على علم رسم المصحف والكتب المؤلفة فيه^(٢). كما يبدو ذلك من النظر في قائمة الكتب المؤلفة في هذا العلم في القرون المتأخرة.

والخَطُّ: الكتابة، وخطَّ القلمُ؛ أي: كَتَبَ، وخطَّ الشيءَ كتبه بقلم أو غيره^(٣)، واستُعْمِلَتْ هذه الكلمة للدلالة على قواعد الكتابة، لكن غلب إطلاقها في العصور المتأخرة على الجانب الفني من الرسم، والدلالة على أنواعه.

وإذا كان مصطلح الرسم قد صار علماً على علم كتابة المصحف، فإنه ظل يستعمل أيضاً للدلالة على قواعد الكتابة التي وضعها علماء العربية، وصار الرسم ينقسم على قسمين^(٤):

الأول: الرسم القياسي، وهو ما طابق فيه الخطُّ اللفظ.

والثاني: الرسم الاصطلاحي، ويقال له: الرسم العثماني، وهو ما كتبه الصحابة في المصاحف، وأكثره موافق لقواعد الرسم القياسي.

ولكل أرباب فن اصطلاح^(٥)، لكن العلماء في القرون الأولى لم يكونوا

(١) ينظر: لسان العرب ١٣٢/١٥ (رسم).

(٢) ينظر: نصر الهوريني: المطالع النصيرية ص ٧ و ٢٣.

(٣) ينظر: لسان العرب ١٥٧/٩ (خط).

(٤) ينظر: الجعبري: جميلة أرباب المراد ص ٩٦، ابن الجزري: النشر ١/١٢٨.

(٥) الجعبري: جميلة أرباب المراد ص ٩٦.

يُعْتَوْنَ بوضع التعريفات للعلوم والمصطلحات، ويكتفون بوصفها والحديث عن موضوعاتها، لكن المتأخرين حرصوا على تعريف كل علم، ومن ذلك علم الخط والرسم.

قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) في تعريف الخط: «الخط تصوير اللفظ بحروف هجائه»^(١). وهو في هذا يُوَضِّحُ دلالة اللفظ ولا يُعَرِّفُ العِلْمَ، ومن ثم قال حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ) في تعريف علم الخط: «هو معرفة كيفية تصوير اللفظ بحروف هجائه»^(٢).

وعِلْمُ رسم كتابة القرآن في المصاحف وإن كان من فروع علم الخط، لكنه أحد علوم القرآن بحكم موضوعه^(٣)، وعَرَفُوهُ بناء على ذلك بأنه: علمٌ تُعْرَفُ به مخالفة رسم المصاحف العثمانية لأصول الرسم القياسي، من حذف وزيادة وبدل وفصل ووصل، ونحو ذلك^(٤).

ولدراسة علم رسم المصحف فوائد جلية تتحقق للمتخصصين بعلوم القرآن وغيرهم من قراء القرآن والتالين له، والدارسين للعربية والمهتمين برسمها، وفي مقدمتها حفظ المصاحف الكريمة من مخالفة رسم المصحف الإمام الذي كتبه الصحابة رضي الله عنهم. ومن تلك الفوائد أيضاً:

١ - أن يكون القارئ على يقين أن الذي يقرؤه هو القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم بلا خلل فيه من جهة من الجهات؛ لأن المصاحف العثمانية تستند إلى صحف أبي بكر الصديق، التي جمع فيها زيد بن ثابت ما كتبه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم^(٥).

٢ - يتوقف تمييز القراءة الصحيحة من الشاذة على معرفة رسوم

(١) شرح الشافية ٣/٣١٢.

(٢) كشف الظنون ١/٧٠٧.

(٣) ينظر: طاش كبري زاده: مفتاح السعادة ٢/٣٣٦.

(٤) ينظر: المخلاطاتي: إرشاد القراء والكتابين ١/١٧٩ - ١٨١، وعلي محمد الضباع:

سمير الطالبيين ١/٦١ - ٦٨.

(٥) ينظر: الأندرابي: كتاب الإيضاح ص ١٤٣ - ١٤٤.

المصاحف العثمانية؛ لأن موافقة القراءة للرسم تُعدُّ أهم أركان القراءة الصحيحة بعد ثبوتها في الرواية وصحة نقلها عن الصحابة^(١).

٣ - يمثل رسم المصاحف العثمانية مرحلة من مراحل تطور الكتابة العربية التي انبنى عليها تراثنا العلمي والحضاري، ويتوقف فهم كثير من خصائصها على الوقوف على خصائص ذلك الرسم، الذي يحمل في طياته شواهد لغوية كثيرة تحكي ما كانت عليه العربية في عصر تنزيل القرآن وفي العصور السابقة أيضاً.

٤ - يرتبط برسم المصحف علم الضبط، الذي يعنى بالعلامات في الكتابة العربية، وهو علم نشأ في أحضان المصحف، ولا يمكن فهم هذا الجانب من الكتابة العربية في معزل عن علم رسم المصحف وضبطه.

وكل ذلك يبين لنا سر اهتمام العلماء بالقرآن من الصحابة وتابعيهم ومن جاء بعدهم بالمصحف ورسمه، إذ إن رسم المصحف يرتبط بعصر تنزيل القرآن الكريم، فلم يتأخر تدوين القرآن عن زمن التنزيل، وإن كانت الصورة الكاملة للمصحف لم تكتمل إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ لأن القرآن كُتِبَ في زمنه ﷺ مفرقاً في الرِّقَاع، واعتنى الخلفاء الراشدون بجمعه في صُحُفٍ منظمة، وتوزيع نُسخِهِ على الأمصار الإسلامية.

والباحث في رسم المصحف والدارس له عليه أن يبدأ دراسته بهذا الجانب التاريخي، ليقف على مراحل تدوين القرآن الكريم، ويتعرف على الأسس التي استند إليها كُتِّبَ المصاحف في تدوينه في تلك المراحل، وهو ما سنتناوله في المبحثين اللاحقين.

(١) ينظر: ابن الجزري: النشر ٨/١ - ١٣.

خلاصة

- ١ عرفت اللغة العربية عدداً من الكلمات الدالة على استعمال القلم لرسم الحروف، منها: الكتابة والهجاء والرسم والخط.
- ٢ كانت عناوين الكتب الأولى المؤلفة لوصف رسم الكلمات في المصحف تغلب عليها عبارة (هجاء المصاحف).
- ٣ غلب استعمال مصطلح رسم المصحف للدلالة على كتابة المصحف، وتُرك مصطلح (الهجاء)، واختص (الخط) بالدلالة على الجانب الفني منه.
- ٤ انقسم الرسم إلى: الرسم القياسي، وهو ما طابق فيه اللفظ الرسم، والرسم الاصطلاحي، وهو ما كتبه الصحابة في المصاحف.
- ٥ لرسم المصحف دلالة تاريخية عظيمة تؤكد بقاء نص القرآن كما كتبه الصحابة رضي الله عنهم.
- ٦ لدراسة رسم المصحف فوائد لقارئ القرآن، ولدارس العربية.

أسئلة تقويمية

- ١ اذكر الكلمات المستعملة للدلالة على استعمال القلم في رسم الحروف في اللغة العربية. [١]
- ٢ ما المصطلح الذي غلب استعماله للدلالة على طريقة كتابة الكلمات في المصاحف العثمانية؟ [٢]
- ٣ ما أقسام الرسم في العربية، وبم يختص كل قسم؟ [٣]
- ٤ وضح الدلالة التاريخية التي تحسها وأنت تدرس رسم المصحف؟ [٤]
- ٥ لدراسة رسم المصحف فوائد لقارئ القرآن، وضحها! [٥]
- ٦ لدراسة رسم المصحف فوائد لدارس العربية، اذكرها! [٦]



المبحث الثاني

مراحل تدوين^(١) القرآن الكريم

تلقى رسول الله ﷺ القرآن وحيًا أوحاه الله إليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، ونزل به عليه جبريل عليه السلام ﴿وَإِنهٗ لَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥]، نزل به الروح الأمين ﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، و﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [الأنعام: ١٦٦]، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [الأنعام: ١٧٧] بحفظه بقوله تعالى: ﴿القيامة: ١٦ - ١٧﴾.

وأمر رسول الله ﷺ بكتابة ما كان ينزل عليه من القرآن، مُفَرَّقًا فِي الرِّقَاعِ، وأمر خليفته أبو بكر الصديق بجمعه من الرقاع في صحف منظمة، وأمر الخليفة الثالث بنسخ الصحف في المصاحف وتوزيعها على الأمصار الإسلامية، فتوحدت المصاحف التي بأيدي المسلمين رسمًا وترتيبًا، وصار رسم الكلمات في المصاحف العثمانية موضع عناية العلماء، وتعلق به علم رسم المصحف، وضبطه، وهذا عرض موجز لمراحل تدوين القرآن الكريم التي تمخض عنها علم الرسم.

أولاً: كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ:

لم يكن رسول الله ﷺ بحاجة إلى تدوين القرآن لنفسه، فقد تكفل الله له

(١) تدوين: مصدر الفعل دَوَّنَ، والديوان مجتمع الصحف، وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وأوَّل من دَوَّنَ الدواوين عمر بن الخطاب عليه السلام، ينظر: ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٢/١٥٠، وابن منظور: لسان العرب ١٨/٢٣ - ٢٤ (٢٤) واستعملت الكلمة في تدوين العلوم وغيرها.

بحفظه، لكنه أمر أصحابه بكتابته حفاظاً على نصه وصيانة له من الضياع أو النسيان من بعده، وتيسيراً على أصحابه والمسلمين من بعدهم في تعلمه وتلاوته.

وكان رسول الله ﷺ أمياً، وكانت الأمية غالبية على العرب، ووسائل الكتابة لم تكن مُيسّرة، لكنه مع ذلك اعتنى بأمر الكتابة، واتخذ له كُتّاباً يكتبون القرآن وغيره، حتى بلغوا أكثر من أربعين كاتباً^(١)، وشجّع على تعلم الكتابة، وجعل فداء من يعرف الكتابة من أسرى بدر أن يُعلّم عشرة من المسلمين الكتابة^(٢).

وكان زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه أشهر كُتّاب الوحي، فقد كان رسول الله ﷺ كثيراً ما يقول بعد أن ينزل عليه الوحي: «ادْع لي زيدا، وليجئ باللُّوح والدِّوَاة»^(٣) فيملي عليه الوحي.

وأخرج ابن أبي داود عن خارجة بن زيد قال: «دخل نَفَرٌ على زيد بن ثابت، فقالوا: حدّثنا بعض حديث رسول الله ﷺ فقال: ماذا أحدثكم؟ كنت جار رسول الله ﷺ فكان إذا نَزَلَ الوحي أرسل إليّ فكتبتُ الوحي...»^(٤).

وكان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه شيء من القرآن يدعو بعض من يكتب له، ويقول: «صَعُوا هذه الآيات في السورة التي يُذكّر فيها كذا وكذا»^(٥)،

(١) ينظر: ابن عبد البر: الاستيعاب ٦٩/١، والخزاعي: تخريج الدلالات السمعية ص ١٧١، والمخللاتي: إرشاد القراء والكاتبين ١٢٠/١، ونصر الهوريني: المطالع النصرية ص ١٣.

(٢) ينظر: أبو عبيد: كتاب الأموال ص ١٢٢، ومسند الإمام أحمد ص ١٩٣ (رقم الحديث ٢٢١٦).

(٣) صحيح البخاري ص ٩٩٣ (رقم الحديث ٤٩٩٠).

(٤) كتاب المصاحف ١/١٤٥، وينظر: أبو الشيخ: أخلاق النبي وآدابه ص ١٩.

(٥) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٢٨٠، وسنن أبي داود ص ١٠٥ (رقم الحديث ٧٨٦)، وسنن الترمذي ص ٤٩٠ (رقم الحديث ٣٠٨٦)، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/٢٢٥، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص ٣٣٣ والزركشي: البرهان ١/٢٣٤.

وكانت نتيجة ذلك أن القرآن الكريم كُتِبَ في زمن النبي ﷺ لكنه كان مفرقاً في الرقاع والألواح والعُسب^(١).

وكانت كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ تخضع للتدقيق على مرحلتين:

الأولى: وقت الكتابة، قال زيد بن ثابت: «كنتُ أكتبُ الوحيَ عند رسول الله ﷺ وهو يُملي عليّ، فإذا فرغْتُ قال: «اقرأ»، فأقرؤه، فإن كان فيه سقطُ أقامه، ثم أخرجُ به إلى الناس»^(٢).

الثانية: بعد الكتابة، قال زيد بن ثابت: «كُنَّا عند رسول الله ﷺ نُؤلِّفُ القرآنَ من الرِّقاع»^(٣)، ومعنى التأليف: الترتيب^(٤)، قال الحاكم النيسابوري معلّقاً على هذا الحديث: «وفيه الدليل الواضح على أن القرآن إنما جُمِعَ في عهد رسول الله ﷺ»^(٥)، ويعني بالجمع هنا الترتيب، لا الكتابة، قال البيهقي معلّقاً على الحديث: «وهذا يُشبهُه أن يكون أراد به تأليف ما نزلَ من الكتاب: الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي ﷺ»^(٦)، وكان الإمام مالك بن أنس يقول: «إنما أُلِّفَ القرآنُ على ما كانوا يسمعون من قراءة رسول الله ﷺ»^(٧)، وقال أبو عمرو الداني: «إن رسول الله ﷺ سنَّ جمع القرآن وكتابته، وأمر بذلك وأملاه على كتبه، وأنه ﷺ لم يمت حتى حَفِظَ جميع القرآن جماعةً من أصحابه...»^(٨).

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان ٢٨/١، وابن حجر: فتح الباري ١٢/٩، والقسطلاني: لطائف الإرشادات ٥١/١.

(٢) البسوي: المعرفة والتاريخ ٣٧٧/١، والطبراني: المعجم الكبير ١٤٢/٥، والهيثمي: مجمع الزوائد ٢٥٧/٨.

(٣) سنن الترمذي ص ٦٠٧ (رقم الحديث ٣٩٥٤)، والحاكم: المستدرک ٢٧/٧ (رقم الحديث ٢٨٥٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، والبيهقي: دلائل النبوة ١٤٨/٧.

(٤) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣٥٢/١٠ (ألف).

(٥) المستدرک ٤٩٤/٩ (رقم الحديث ٤١٨٣).

(٦) دلائل النبوة ١٤٧/٧.

(٧) ينظر: الداني: المقنع ص ٨.

(٨) جامع البيان ص ٣٥.

ومن خلال جهود كُتَّاب الوحي في عصر النبوة وُضِعَ الأساس لرسم المصحف، فقد كان القرآن محفوظاً في الصدور، ومكتوباً في الرقاع التي جُمِعَتْ في الصحف في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ونُسِخَتْ في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثانياً: جمع القرآن في صُحُفٍ منظمة:

أدَّت محاربة المرتدين عن الإسلام في أول خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى مقتل مئات من الصحابة خاصة في معركة اليمامة التي قُتِلَ فيها نحو خمس مئة من المسلمين، فيهم خمسون من حملة القرآن^(١). ولم تكن كتابة القرآن الكريم مفترقاً في الرقاع تُشكِّلُ حَزْناً آمناً لنصه من الفقدان أو النسيان لأمد طويل، وجاء مقتل الحفاظ في معركة اليمامة لِيُذَكَّرَ المسلمين بمستقبل القرآن، وأثار ذلك في نفوسهم القلقَ من ذهاب الحفاظ أو فقدان شيء من الرقاع فيؤدي ذلك إلى ضياع شيء من القرآن.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد حَزِنَ حزناً شديداً بعد مقتل أخيه زيد بن الخطاب في اليمامة^(٢)، وكان بين القتلى سالم مولى أبي حذيفة، وكان من حملة القرآن، وكان يؤمُّ المهاجرين في المدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إليها وفيهم عمر بن الخطاب؛ لأنه كان أكثرهم قرأناً^(٣)، وقال فيه عمر لَمَّا طَعِنَ: لو كان سالم مولى أبي حذيفة حَيًّا استخلفته^(٤).

وفي ظل هذا المناخ الحزين تقدَّم عمر بن الخطاب إلى أبي بكر الصديق بأن يأمر بجمع القرآن الكريم في صحف منظمة خشية من ذهاب الحفاظ بالقتل في الحروب أو الوفاة، وخوفاً من تعرض الرقاع للتلف أو الضياع، فيذهب شيء من القرآن، لكن الصديق أجابه بقوله: «كيف نعمل شيئاً لم يفعله

(١) ينظر: تاريخ خليفة ٩٠/١.

(٢) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/٣٧٨.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٢/٣٥٥ و٣/٨٧.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٣/٣٤٣، وتاريخ الطبري ٤/٢٢٧.

رسول الله ﷺ؟ قال عمر: هذا والله خيرٌ كما روى البخاري وغيره^(١).

وأرسل أبو بكر الصديق إلى زيد بن ثابت، بعد أن اقتنع بضرورة جمع القرآن، وقال له: «إنك رجلٌ، شابٌّ، عاقلٌ، لا نتهمُّك، وقد كنت تكتُبُ الوحيَ لرسول الله ﷺ فتتبع القرآنَ فاجمعه».

قال زيد: «فتتبعُ القرآنَ أجمعه من العُصبِ واللِّخافِ وصدور الرجال^(٢)... فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر».

وتبيِّنُ هذه الرواية أن زيد بن ثابت اضطلع بالجهد الأكبر في إنجاز جمع القرآن في الصحف، لكن أهمية هذا العمل وعظم الجهد المطلوب لإنجازه تطلب اشتراك عدد من الصحابة معه، وكانت الخطوة الأولى أن أبا بكر الصديق طلب من عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أن يقعدا على باب المسجد ويناديا: مَنْ تلقى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأت به، وكان الصحابة يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعُصب، وكانا لا يقبلان من أحد حتى يشهد شهيدان^(٣)، على أن ذلك المكتوب كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ، قال أبو شامة: «إنما كان قصدهم أن ينقلوا من عين المكتوب بين يدي النبي ﷺ ولم يكتبوا من حفظهم»^(٤).

(١) صحيح البخاري ص ٩٩٢ (رقم الحديث ٤٩٨٦)، وسنن الترمذي ص ٤٩٣ (رقم الحديث ٣١٠٣)، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/١٥٨ - ١٥٩، والداني: المقنع ص ٣.

(٢) العُصب: جمع عسيب، وهو فُوَيْقُ الكَرَبِ من السَّعَفِ لم يثبت عليه الخوص، ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢/٨٨ - ٨٩ (عصب).
واللِّخاف: جمع لَخْفَة، وهي حجارة بيض عريضة رقاق، ينظر: ابن منظور: لسان العرب ١١/٢٢٧ (لخف).

وقوله: وصدور الرجال: أي: مع صدور الرجال، ينظر: ابن حجر: فتح الباري ١٥/٩.

(٣) ينظر: كتاب المصاحف ١/١٥٧.

(٤) المرشد الوجيز ص ٥٥.

وكان بعض الصحابة يساعد زيد بن ثابت في الكتابة، فكان أبي بن كعب، وهو من كُتَّاب الوحي، يُملي القرآن^(١)، حتى أتم زيد كتابة القرآن كله في الصحف.

ولا شك في أن جمع القرآن في الصحف من أجل الأعمال التي ازدان بها عهد أبي بكر الصديق^(٢) لأنه حَفِظَ كَلَامَ اللَّهِ مَكْتُوبًا، كما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ ومن ثمَّ قال الإمام علي بن أبي طالب^(٣): «أَعْظَمُ النَّاسِ أَجْرًا فِي الْمَصَاحِفِ أَبُو بَكْرٍ، فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ بَيْنَ اللَّوْحِينَ»^(٣).

ثالثاً: نَسْخُ الصُّحُفِ فِي الْمَصَاحِفِ:

اتسعت الدولة الإسلامية في خلافة عمر بن الخطاب^(٤) واحتاج الناس إلى مَنْ يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ، كما احتاجوا إلى مصاحف يقرؤون بها، فأرسل عمر القراء إلى الأمصار الإسلامية: الكوفة والبصرة وبلاد الشام^(٤)، ولم يأمر بنسخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار، فكان الناس يكتبون القرآن على قراءة مَنْ كان يُعَلِّمُهُمُ الْقُرْآنَ مِنَ الصَّحَابَةِ^(٥).

قال ابن عطية: «وانتشرت في خلال ذلك صُحُفٌ فِي الْأَفَاقِ كُتِبَتْ عَنِ الصَّحَابَةِ؛ كَمَصْحَفِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَمَا كُتِبَ عَنِ الصَّحَابَةِ بِالشَّامِ، وَمَصْحَفِ أَبِيٍّ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَكَانَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ حَسَبَ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ الَّتِي أُنزِلَ الْقُرْآنُ عَلَيْهَا»^(٦).

وبرزت مظاهر الاختلاف في القراءة في خلافة عثمان بن عفان^(٧) على نحو أشد، وأفزح ذلك الاختلافُ بعضَ الصحابة، فأمر الخليفة بنسخ

(١) ينظر: كتاب المصاحف ١/١٦٧.

(٢) ينظر: محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر ص ١٦.

(٣) ابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/١٥٤.

(٤) ينظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٦ و ٣٤٥/٢ و ٣٥٧.

(٥) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢/٥٠٩ و ٥٥٩.

(٦) المحرر الوجيز ١/٥١.

المصاحف، بعد استشارته الصحابة في المدينة وموافقتهم له^(١)، رَوَى البخاري في صحيحه تفصيل ذلك عن أنس بن مالك، قال: «إن حذيفة بن اليمان قَدِمَ على عثمان، وكان يُغَازِي أهلَ الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزعَ حذيفةَ اختلافَهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدركَ هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى.

فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلني إلينا بالمصحف نُنسخُها في المصاحف ثم نردُّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فسخوها في المصاحف.

وقال عثمانُ للرهط القُرَشِيِّينَ الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفقٍ بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يُحرقَ»^(٢).

ولم تحدّد الرواية عدد المصاحف التي كتبها الصحابة في زمن عثمان، ونقل ابن أبي داود روايتين في ذلك، إحداهما عن حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) أنها كانت أربعة مصاحف، والأخرى عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٥٥هـ) أنها كانت سبعة مصاحف، فبعث بنسخة منها. إلى كل من مكة والكوفة والبصرة والشام والبحرين واليمن وأبقى في المدينة واحدة^(٣).

(١) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢٠٦/١.

(٢) صحيح البخاري ص ٩٩٢ (رقم الحديث ٤٩٨٧)، وينظر: سنن الترمذي ص ٤٩٣ (رقم الحديث ٣١٠٤)، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ١٩٥/١ - ١٩٦، والداني: المقنع ص ٦.

(٣) ينظر: كتاب المصاحف ٢٣٨/١ - ٢٣٩، والداني المقنع ص ٩، والسيوطي: الإتقان

وحظيت المصاحف العثمانية بالعناية والتدقيق قبل إرسالها إلى الأمصار، ويتجلى ذلك من خلال عَرْضِ المصاحف قبل إرسالها، والعَرْضُ معناه المراجعة والمقابلة للتأكد من عدم وجود سَقَطٍ أو خطأ في الرسم^(١).

وبهذا العمل الجليل توَحَّدت المصاحف التي بأيدي المسلمين في الترتيب والرسم، وتحقق ذلك بعد أن أمر الخليفة بإحراق ما سوى المصاحف التي أمر بنسخها؛ لأن ما عدا هذه المصاحف لا يُؤْمَنُ من وجود اختلاف فيها، واعتمدت المصاحف العثمانية على الصُّحُفِ التي جُمِعَ فيها القرآن في زمن أبي بكر الصديق، كما تقدّم، وهذه الصحف اعتمدت على الرقاع التي كُتِبَ فيها القرآن في زمن النبي ﷺ، ومن هنا يتضح أنّ «جَمَعَ القرآن الذي أنزله الله تعالى، وأمر بإثباته ولم ينسخه، ولا رَفَعَ تلاوته، هو الذي بين اللُّوْحَيْنِ، الذي حواه مصحف عثمان ؓ لم يَنْقُصْ منه شيء، ولا زيدَ فيه شيء، نَقَلَهُ الخَلْفُ عن السَّلَفِ»^(٢).

ضوابط منظومة:

قال الخراز في مورد الظمان في بيان أصل الرسم:

- | | |
|---------------------------------------|----------------------------------|
| ٦ - وَبَعْدُ، فاعلم أن أصل الرسم | ثَبَّتَ عن ذوي النهى والعلم |
| ٧ - جَمَعَهُ في الصُّحُفِ الصِّدِّيقِ | كما أشار عَمَرُ الفاروقِ |
| ٨ - وذاك حين قَتَلُوا مُسَيْلِمَةَ | وانقلبت جُيُوشُهُ مُنْهَرِمَةً |
| ٩ - وَبَعْدَهُ جَرَّدَهُ الإمام | في مُصْحَفِ لِيَقْتَدِيَ الأنامُ |
| ١٠ - ولا يكون بَعْدَهُ اضْطِرَابُ | وكانَ في ما قد رأى صَوَابُ |

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان ٣٧/٣ و٣٨، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢٤٧/١.

(٢) الباقلائي: نكت الانتصار ص ٥٩.

خلاصة

- ١ يرجع رسم المصحف إلى عصر تنزيل القرآن.
- ٢ كُتِبَ القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ مفزقاً.
- ٣ أشهر كتاب الوحي زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ.
- ٤ خضعت كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ للتدقيق بعد الفراغ من إتمام القرآن على الكتبة، وعند مراجعة الرقاع التي كُتِبَ عليها.
- ٥ تُجِيع القرآن في صحف منظمة في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ، من الرقاع التي كُتِبَ عليها في زمن النبي ﷺ.
- ٦ حُفِظَتِ الصحف عند أبي بكر ﷺ حتى توفاه الله، ثم عند عمر بن الخطاب ﷺ حياته، ثم في بيت حفصة أم المؤمنين ﷺ.
- ٧ نُسخَتِ الصحف في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، بعد ظهور الاختلاف في القراءة.
- ٨ تولى نسخ الصحف في المصاحف زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ﷺ.
- ٩ كُتِبَتِ المصاحف بلسان قريش؛ لأن القرآن نزل بلسانهم.
- ١٠ كان عدد المصاحف التي نسخها الصحابة في زمن عثمان لا يقل عن خمسة.
- ١١ أمر الخليفة الثالث بإحراق ما كان بأيدي الناس من صُحُفٍ أو مصاحف مكتوبٍ فيها القرآن، وأمرهم بنسخ مصاحف لهم من المصاحف التي أرسلها.

أسئلة تقويمية

- ١ س ما الحقبة التي يرجع إليها رسم المصحف؟
- ٢ س هل كُتِبَ القرآن في زمن النبي ﷺ، وكيف كانت كتابته؟
- ٣ س من أشهر كُتَّاب الوحي الذين كتبوا القرآن بين يدي النبي ﷺ؟
- ٤ س وضح سبب جمع القرآن في الصحف في زمن أبي بكر ﷺ؟
- ٥ س أين حُفِظَت الصحف التي جُمِعَ فيها القرآن؟
- ٦ س ما أهمية جَمْع القرآن في الصحف في زمن أبي بكر ﷺ؟
- ٧ س بين سبب نسخ المصاحف في خلافة عثمان بن عفان ﷺ؟
- ٨ س من الذين تولوا نسخ الصحف في المصاحف في خلافة عثمان ﷺ؟
- ٩ س ما عدد المصاحف التي أمر بنسخها عثمان ﷺ، وأين أودعها؟
- ١٠ س لماذا أمر عثمان ﷺ بإحراق ما عدا المصاحف التي أمر بنسخها.
- ١١ س ما أهمية نسخ الصحف في المصاحف في خلافة عثمان ﷺ؟
- ١٢ س هل حققت كتابة القرآن الكريم غايتها في حفظ نص القرآن الكريم؟
وضح ذلك.



المبحث الثالث

الأسس التي استند إليها الصحابة في تدوين القرآن الكريم

كانت المصاحف العثمانية مُجَرَّدَةً من نِقَاطِ الإعْجَامِ وعلامات الحركات، وَعَلَّلَ عدد من علماء السلف - رحمهم الله - تجريد المصاحف لِتَحْتَمِلَ القِراءات^(١)، لكن ما عرفناه من تاريخ الكتابة العربية يُرَجِّحُ أن المصاحف الأولى كانت مجردة لعدم وجود نِقَاطِ الإعْجَامِ وعلامات الحركات في الكتابة العربية في تلك الحقبة، ولا يتعارض ذلك مع حقيقة أن تَجَرُّدَ المصاحف جَعَلَ خَطَّهَا يحتمل أكثر من قراءة.

ولا شك في أن المصاحف الموجودة الآن في العالم مخطوطة أو مطبوعة تستند إلى المصاحف العثمانية، سوى أن علماء القراءة ضبطوا كل مصحف بقراءة من القراءات المشهورة أو باختيار من الاختيارات المعروفة، وهناك عدد من القضايا التي يلزم التعرض لها لأنها توضح الأسس التي استند إليها الصحابة في كتابة المصاحف، وفي مقدمتها: اللغة التي كُتِبَ بها القرآن، وعلاقة الأحرف السبعة بالمصاحف العثمانية، والتحقق من مقولة: إن الرسم في المصاحف توقيفي، ومدى وجوب الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصحف.

أولاً: اللغة التي كُتِبَ بها القرآن الكريم:

إنَّ تَبْلِيغَ الرِّسْلِ ﷺ لِمَا أُرْسِلُوا بِهِ يَقْتَضِي أن تكون رسالتهم بلسان قومهم،

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٣، وابن تيمية: شرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف ص ١٢٧، وابن الجزري: النشر ١/٣٣، وأبو زهرة: المعجزة الكبرى ص ٤٠ و ٥٠.

ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ. لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤]، وأنزل القرآن الكريم ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، لكن العرب لم تكن لغتهم واحدة، فكانت «لكل قبيلة من قبائل العرب لغة تنفرد بها»^(١)، وتساءل الطبري بعد أن ذكر أن القرآن نزل بلسان العرب: «بأيِّ ألسُن العرب أنزل؟ بألسُن جميعها، أم بألسُن بعضها؟ إذ كانت العرب وإن جمَعَ جميعها اسمٌ أنهم عربٌ، فهم مختلفو الألسُن بالبيان، متباينو النطق والكلام»^(٢).

واختلف العلماء في الإجابة على هذا التساؤل على قولين، فمنهم من قال: نزل القرآن بلغة جميع العرب؛ لأن اسم العرب يتناول الجميع^(٣)، ومنهم من قال: نزل بلسان قريش خاصة لأنهم قوم النبي ﷺ وعشيرته.

وجاء على ألسنة عدد من كبار الصحابة أن القرآن أنزل بلغة قريش وكتب في المصاحف بها، من ذلك ما ورد في رسالة عمر بن الخطاب إلى عبد الله بن مسعود: «أما بعد، فإن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش، فإذا أتاك كتابي هذا فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تُقرئهم بلغة هذيل»^(٤).

وحين أمر عثمان بن عفان بنسخ المصاحف قال للكتّاب القرشيين: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما أنزل بلسانهم»^(٥).

واستشكل عدد من العلماء القول بنزول القرآن بلغة قريش مع وجود الهمز في القراءة وقريش لا تهمز، ومن ثمَّ حملوا قول عثمان على أن «معظمه وأكثره نزل بلغتها»^(٦)، ولا تُعدُّ هذه القضية عقبة لا يمكن تجاوزها في وجه

(١) ابن النديم: الفهرست ص ٨.

(٢) جامع البيان ١١/١.

(٣) ينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص ٩٤، وابن حجر: فتح الباري ١٠/٩.

(٤) ينظر: الأندراي: الإيضاح ص ٥٥، وأبو شامة المرشد الوجيز ص ١٠١، وابن حجر: فتح الباري ٩/٩.

(٥) ينظر: تخريج الرواية في فقرة نسخ المصاحف.

(٦) الباقلائي: نكت الانتصار ص ٣٨٥، وينظر: ابن عبد البر: التمهيد ٢٧٩/٨.

القول بنزول القرآن بلغة قريش وكتابته في المصاحف بها؛ لأن القرآن يُقرأ بالهمز وتركه، ورَوَى ابن الأنباري عن خلف بن هشام البغدادي (ت ٢٢٩هـ) أنه قال: «وقريش لا تهمز، ليس الهمز من لغتها، وإنما هَمَزَتِ الْقُرَاءُ بلغة غير قريش من العرب»^(١).

وقال أبو عمرو الداني: «إلا أن أكثر الرسم ورد على التخفيف، والسبب في ذلك كونه لغة الذين وُلُوا نسخ المصاحف زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهم قريش، وعلى لغتهم أُقِرَّتِ الكتابة حين وقع الخلاف بينهم وبين الأنصار فيها... فلذلك ورد تصوير أكثر الهمز على التسهيل، إذ هو المستقر في طباعهم، والجاري على ألسنتهم»^(٢). وقال الداني أيضاً: إن أمير المؤمنين عثمان: «أثر في رسمها لغة قريش دون غيرها»^(٣). وقال مكِّي: «وكان المصحف قد كُتِبَ على لغة قريش»^(٤).

وبناء على ذلك يمكن القول: إن القرآن الكريم نزل بلغة قريش، وكُتِبَ بها، وقُرِئَ بلغات العرب، بناء على رخصة الأحرف السبعة التي سنشير إليها في الفقرة الآتية.

ثانياً: علاقة الأحرف السبعة بالمصاحف العثمانية:

إن القول بأن القرآن الكريم نزل بلغة قريش يعني أن النبي ﷺ تَلَّقَى القرآن من جبريل عليه السلام، وقرأه وتلاه على أصحابه باللغة العربية السائدة في مكة وما حولها، وأملاه على كتبة الوحي بالنطق المطابق لنطق أهل مكة.

ولمَّا كانت العرب قبائل شتى، ويقطنون في أصقاع متباعدة، وكانت لكل قبيلة لغة امتازت بها، وجرت على ألسنة أفرادها، شقَّ على كثير منهم

(١) إيضاح الوقف ١/٣٩٢.

(٢) المحكم ص ١٥١.

(٣) المقنع ص ١١٥، وينظر: ص ١٢١.

(٤) الإبانة ص ١٨.

قراءة القرآن بلغة قريش، فَيَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ بِرِخْصَةِ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ، «فكان من تيسيره أن أمره ﷺ بأن يُقْرَأَ كُلُّ قَوْمٍ بِلِغَتِهِمْ، وما جَرَتْ عَلَيْهِ عَادَاتُهُمْ...»^(١)، وَنُقِلَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ النَّاسَ بِلِغَةِ وَاحِدَةٍ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اقْرَأْ كُلَّ قَوْمٍ بِلِغَتِهِمْ»^(٢).

وجاء في روايات كثيرة صحيحة أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»، ولا يتسع المقام لإيراد روايات الحديث^(٣)، وسأكتفي بنقل رواية أخرجه الترمذي عن أَبِي بِنِ كَعْبٍ أَنَّهُ قَالَ: «لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَبْرِيْلُ، فَقَالَ: يَا جَبْرِيْلُ إِنِّي بُعِثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، مِنْهُمْ الْعَجْوُزُ، وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ، وَالغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ، وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَابًا قَطُّ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح^(٤) وجاء في رواية حديث الأحراف السبعة عند البخاري وغيره «... إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَاقْرَءُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ»^(٥).

وترتب على رخصة الأحراف السبعة اختلاف قراءة الصحابة في زمن النبي ﷺ وتساءل بعض العلماء حول مدى انعكاس ذلك الاختلاف على كتابة القرآن الكريم في مراحلها المتعددة.

وليس هناك ما يشير إلى دخول شيء من وجوه القراءة التي جاءت بها رخصة الأحراف السبعة في ما كان يكتبه زيد بن ثابت من القرآن بين يدي

(١) ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن ص ٣٩، وينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص ٩٥.

(٢) أبو شامة: المرشد الوجيز ص ٩٦ - ٩٧.

(٣) جمع الدكتور عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ روايات الحديث وما قيل في معناه في كتابة (حديث الأحراف السبعة: دراسة لإسناده ومتمنه واختلاف العلماء في معناه، وصلته بالقراءات القرآنية)، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) جامع الترمذي ص ٤٧٠ (رقم الحديث ٢٩٤٤).

(٥) صحيح البخاري ص ٩٩٣ (رقم الحديث ٤٩٩١)، وينظر: صحيح مسلم ص ٣١٨ (رقم الحديث ٨١٨).

النبي ﷺ، وقال الشيخ محمد أبو زهرة: «إن الذي كُتِبَ في عصر النبي ﷺ لم يَعتَرِه تغير ولم تجر عليه الحروف السبعة، وإن الحروف السبعة كانت في قراءة القرآن لا في كتابته»^(١).

وذهب عدد من علماء السلف إلى أن الصُحُفَ التي جُمِعَ فيها القرآن في زمن أبي بكر ﷺ كانت مُحْتَوِيَةً على جميع الأحرف السبعة^(٢)، وصرَّح بذلك الداني في المقنع^(٣)، وضمَّنه الشاطبي في نظمه له^(٤)، لكنَّ الجعبريَّ قال: «وليس في كلام أبي بكر وزيد ﷺ تصريح بذلك»^(٥)، مما يرجح خلو الصحف من مظاهر تلك الرخصة.

وإذا كان بعض العلماء قد ذهب إلى أن المصاحف العثمانية تشتمل على الأحرف السبعة^(٦)، أو هي مشتملة على ما يحتمله رسمها من تلك الأحرف^(٧)، فإنَّ من العلماء من يذهب إلى أن مصحف عثمان كُتِبَ على حرف واحد وأن الأحرف الستة الأخرى لم تدخل في الكتابة^(٨)، قال مكي بن أبي طالب: «وكان المصحف قد كُتِبَ على لغة قريش، على حرف واحد، ليزول الاختلاف بين المسلمين في القرآن، ولم يُنْقَظ ولا ضُبِّط، فاحتمل التأويل لذلك.. فالمصحف كُتِبَ على حرف واحد، وخَطُّهُ مُحْتَمِلٌ لأكثر من

(١) المعجزة الكبرى ص ٣٦.

(٢) ينظر: ابن الجزري: منجد المقرئين ص ٢١ - ٢٢.

(٣) المقنع ص ١٢٠.

(٤) قال الشاطبي:

٢٧ - فقام فيه بعون الله يجمعه بالنضح والجذ والحزم الذي بهراً

٢٨ - من كل أوجهه حتى استتم له بالأحرف السبعة العليا كما اشتهرا

عقيلة أتراب القصائد ص ٣).

(٥) جميلة أرباب المراصد ص ١٨٦.

(٦) ينظر: الداني: جامع البيان ص ٣٤، والنوي: شرح صحيح مسلم ١٠٠/٦.

(٧) ينظر: ابن الجزري: النشر ٣١/١، ومنجد المقرئين ص ٢١، والسيوطي: الإتيان ١/

٣٣٤، والقسطلاني لطائف الإشارات ٦٥/١.

(٨) جامع البيان ٢٨/١.

حرف، إذ لم يكن منقوطةً ولا مضبوطةً، فذلك الاحتمال الذي احتل الخط هو من الستة الأحرف الباقية»^(١).

ثالثاً: هل الرسم في المصاحف توقيفي؟

تمتاز معظم الكتابات بعدم المطابقة بين الرموز المكتوبة والأصوات المنطوقة، وتفاوت في ذلك، وكان في الكتابة العربية قبل أن يعمل علماء اللغة على ضبط قواعدها مظاهر من عدم المطابقة تلك، وبرزت تلك المظاهر في رسم المصاحف الأولى المجردة من نقاط الإعجام وعلامات الحركات، مثل حذف الألف في ﴿مَلِكٍ﴾، و﴿الْعَلَمِينَ﴾^(٤٧) وإبدال الألف واواً في مثل ﴿الصَّلَاةِ﴾، و﴿الزَّكَاةِ﴾، وزيادة الواو في ﴿أُولَئِكَ﴾، والياء في ﴿بِأَيْدِي﴾ ونحو ذلك.

وكان جمهور العلماء المشتغلين بعلم رسم المصحف يُنصِّونَ على وجوب اتباعه في كتابة المصاحف، لكنَّ من المتأخرين مَنْ نَسَبَ إليهم القول بأن رسم المصحف توقيفي، قال الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني: «هل رسم المصحف توقيفي؟ للعلماء في رسم المصحف آراءٌ ثلاثة، الرأي الأول: أنه توقيفي لا يجوز مخالفته، وذلك مذهب الجمهور...»^(٢).

وينبغي لدارس رسم المصحف ألا يخلط بين أمرين، الأول: القول بوجوب اتباع رسم المصاحف المُعَبَّرَ عنه بالرسم العثماني، والثاني: القول بأن ذلك الرسم توقيفي^(٣)، فجمهور علماء الأمة من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين يقولون بوجوب اتباع الرسم والمحافظة عليه في كتابة المصاحف، أما القول بأن الرسم توقيفي فإن المؤلفين في رسم المصحف من المتقدمين لم يتعرضوا لهذه المسألة في كتبهم، وظهرت عند المتأخرين والمعاصرين،

(١) الإبانة ص ١٨ - ١٩، وينظر: الأندرابي: الإيضاح ص ١٠٢.

(٢) مناهل العرفان ١/ ٣٧٠، وينظر: محمد محمد أبو شهبه: المدخل لدراسة القرآن ص ٣٤٦.

(٣) ينظر: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ص ٢٧٨.

وحملوا رأي الجمهور بوجوب اتباع الرسم على أنه دليل على التوقيف، وبين الأمرين فرق، فلم يقصد القائلون بوجوب المحافظة على الرسم العثماني في كتابة المصحف هذا المعنى، ولم تكن هذه القضية مثار اهتمامهم.

وقال أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وهو يتحدث عن أصل الخط العربي وأول من كتب به: «والذي نقوله فيه: إن الخط توقيف»^(١)، يعني أنه من عند الله تعالى وَقَفَّ آدم ﷺ أو غيره من الأنبياء عليه، لكن ابن فارس لم ينص على أن رسم المصحف توقيفي.

وأكثر ما اعتنى به المؤلفون في رسم المصحف من المتقدمين هو التأكيد على وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف، على نحو ما سنبين في الفقرة اللاحقة، ولم يصرحوا بكون الرسم توقيفياً، كما صرَّح بعض المتأخرين والمعاصرين.

ويبدو أن الذي فتح الطريق إلى القول بكون الرسم توقيفياً الشيخ عبد العزيز الدباغ (ت ١١٣٢هـ) مما نقله عنه تلميذه أحمد بن المبارك (ت ١١٥٥هـ) في كتابه «الإبريز» فقد سأله: «فهل رَسُمُ القرآن على الصفة المذكورة صادر من النبي ﷺ أو من ساداتنا الصحابة ﷺ؟ فقال ﷺ: هو صادر منه ﷺ، وهو الذي أمر الكُتَّاب من الصحابة ﷺ أن يكتبوه على الهيئة المذكورة، فما زادوا ولا نقصوا ﷺ على ما سمعوا من النبي ﷺ»^(٢).

وحين قال له تلميذه أحمد بن المبارك: «فإن جماعة من العلماء رحمهم الله ترخصوا في أمر الرسم، وقالوا: إنما هو اصطلاح من الصحابة ﷺ جَرَوْا فيه على ما كانت قريش تكتب عليه في الجاهلية...»، أجابه بقوله: «ما للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن العزيز ولا شعرة واحدة، وإنما هو توقيف من النبي ﷺ، وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها، لأسرارٍ لا تهتدي إليها العقول، وما

(١) الصاحبى ص ١٠.

(٢) الإبريز ص ١١٦.

كانت العرب في جاهليتها ولا أهل الإيمان من سائر الأمم في أديانهم يعرفون ذلك، ولا يهتدون بعقولهم إلى شيء منه، وهو سر من أسراره، خصَّ الله به كتابه العزيز... وكل ذلك لأسرار إلهية وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس؛ لأنها من الأسرار الباطنية التي لا تدرك إلا بالفتح الرباني»^(١).

والمتبع للروايات المتعلقة بكتابة القرآن في زمنه ﷺ وجمعه في الصحف ونسخه في المصاحف، لا يجد ما يشير إلى شيء من التوقيف في الكتابة، بل يجد أن الصحابة - رضوان الله عليهم - أعملوا فكرهم في اختيار الرسم المناسب، في ضوء القاعدة التي وضعها لهم أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ حين قال لكُتِّبَ المصاحف: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش، فإن القرآن أنزل بلسانهم، ففعلوا»^(٢).

وروي عن الزهري أن كتَّبة المصاحف «اختلفوا يومئذ في (التابوت) و(التابوه)، فقال نفر القرشيون: (التابوت)، وقال زيد: (التابوه): فَرُفِعَ اختلافهم إلى عثمان، فقال: اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش»^(٣).

أما قول الشيخ عبد العزيز الدباغ: إن العرب في جاهليتها لم تعرف هذه الكتابة فإن ذلك بحسب ما كان معروفاً في زمن الشيخ ﷺ أما في زماننا فقد كشفت الدراسات أن الكتابة العربية قبل الإسلام كانت تحمل الخصائص التي ظهرت في رسم المصاحف العثمانية، على نحو ما تقدّم في التمهيد عند الحديث عن خصائص الكتابة العربية قبل تدوين القرآن الكريم.

وذهب عدد من الباحثين المُحدِّثين والمعاصرين إلى أن رسم المصحف توقيفي^(٤)، واحتجوا بحجج عقلية تتعلق بوجود الالتزام بالرسم العثماني في

(١) الإبريز ص ١٦ - ١٢٠.

(٢) صحيح البخاري ص ٩٩١ (رقم الحديث ٤٩٨٤).

(٣) ابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/١٩٩، ورواه الداني عن زيد بن ثابت (المقنع ص ٤).

(٤) ينظر: المخلاطي: إرشاد القراء والكتابين ١/١٧٥، والضباع: سمير الطالبين ص ١٨، =

كتابة المصاحف، ونقل بعضهم حديثاً يُروى عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه كان يكتب بين يديه ﷺ فقال له: «أَلِقِ الدَّوَاةَ، وَحَرِّفِ القَلَمَ، وَأَقِمِ البَاءَ، وَفَرِّقِ السَّيْنَ، وَلَا تُعَوِّرِ المِيمَ، وَحَسِّنِ اللهَ، وَمُدِّ الرِّحْمَنَ، وَجَوِّدِ الرِّحِيمَ»^(١)، وليس للحديث سَنَدٌ يُعْتَمَدُ عليه، ومن ثمَّ حكم عليه أئمة الحديث بالضعف^(٢)، كما أن مضمونه لا يدل على أن رسم المصحف توقيفي.

وقديماً قال القاضي الباقلاني: «لأجل أن الله إنما أوجب على القراء والحَفَظَةَ أن يقرؤوا القرآن ويؤدُّوه على منهاج محدود... ولم يأخذ على كَتَبَةِ القرآن وَحُقَاظِ المصاحف رَسْمًا بعينه دون غيره... بل السُّنَّةُ قد دَلَّتْ على جواز كَتَبِهِ بأي رسم سَهْلٍ وَسَخٍ للكاتب؛ لأن رسول الله ﷺ كان يأمر برسمه وإثباته على ما بيناه سالفاً، ولا يأخذ أحداً بخط محدود ورسم محصور، ولا يسألهم عن ذلك، ولا يُحفظ عنه فيه حرف واحد»^(٣).

وَصَرَّحَ عدد من المحدثين بأن رسم المصاحف العثمانية اصطلاحية، وفي مقدمتهم الشيخ محمد طاهر الكردي، الذي أورد عدداً من الأدلة التي تدفع أن يكون الرسم توقيفياً^(٤)، وهو الرأي الراجح في هذه القضية^(٥)، وهو لا يتعارض مع القول بوجود الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف.

= والشنقيطي: كتاب إيقاظ الأعلام ص ١٣، والزرقاني: مناهل العرفان ١/٣٧٠،
وعبد الحي حسين الفرماوي: رسم المصحف وضبطه ص ٣٤٥ و ٣٧٣، وشعبان محمد
إسماعيل: رسم المصحف وضبطه ص ٧٨.

(١) ينظر: القاضي عياض: الشفا ١/٧٠٢، والسمعاني: أدب الإملاء والاستملاء
ص ١٧٠.

(٢) ينظر: ابن حجر: فتح الباري ٧/٥٠٤، وعبد الله بن يوسف الجديع: المقدمات
الأساسية في علوم القرآن ص ١٤١ هامش ١.

(٣) الانتصار للقرآن ٢/٥٤٧ - ٥٤٨.

(٤) ينظر: تاريخ القرآن ص ٩٨ - ١٠٠.

(٥) ينظر: صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن ٢٧٧، وعبد الله بن يوسف الجديع:
المقدمات الأساسية في علوم القرآن ص ١٤١، ومساعد بن سليمان الطيار: المحرر
في علوم القرآن ص ٢٢٣، ومقالات في علوم القرآن وأصول التفسير (له) ص ٧٣.

رابعاً: وجوب الالتزام بالرسم العثماني:

أوجب العلماء وأفتى الفقهاء بوجوب الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف، وصارت موافقة القراءة لرسم المصحف شرطاً لقبولها وصحة القراءة بها، وقد نص على ذلك المؤلفون في رسم المصحف، فقال أبو العباس المهدي: «لَمَّا كَانَتِ الْمَصَاحِفُ الَّتِي هِيَ الْأُمَّةُ، إِذْ قَدْ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا الْأُمَّةُ، يَلْزَمُ مُوَافَقَتَهَا، وَلَا يَسُوغُ مَخَالَفَتَهَا، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنَ الْخَطِّ الْمُنْبَتِّ فِيهَا يَخْرُجُ عَنِ الْمَعْهُودِ عِنْدَ النَّاسِ، مَعَ حَاجَتِهِمْ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، لِيُكْتَبَ الْمَصَاحِفُ عَلَى رِسْمِهِ، وَتَجْرِي فِي الْوَقْفِ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُ لِكُلِّ قَارِئٍ مِنَ الْقُرَاءِ عَلَى مَذْهَبِهِ وَحُكْمِهِ، كَانَتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ كَالْحَاجَةِ إِلَى سَائِرِ عُلُومِ الْقُرْآنِ بَلْ أَهَمَّ، وَوَجُوبُ تَعْلِيمِهِ أَشْمَلَ وَأَعَمَّ، إِذْ لَا يَصِحُّ مَعْرِفَةُ بَعْضِ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْقُرَاءُ دُونَ مَعْرِفَتِهِ، وَلَا يَسَعُ أَحَدًا اكْتِتَابَ مَصْحَفٍ عَلَى خِلَافِ خَطِّ الْمَصْحَفِ الْإِمَامِ وَرُتْبَتِهِ»^(١).

وقال أبو عمرو الداني: «وَسُئِلَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هَلْ يُكْتَبُ الْمَصْحَفُ عَلَى مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ مِنَ الْهَجَاءِ، فَقَالَ: لَا إِلَّا عَلَى الْكِتَابَةِ الْأُولَى...» قال الداني: «وَلَا مَخَالَفَ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ»^(٢).

وقال الإمام أحمد: «تَحْرُمُ مَخَالَفَةُ خَطِّ مَصْحَفِ عَثْمَانَ فِي يَأِ أَوْ وَاوِ أَوْ أَلْفِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ»^(٣).

وقال البيهقي: «مَنْ كَتَبَ مَصْحَفًا فَيَنْبَغِي أَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْهَجَاءِ الَّذِي كَتَبُوا بِهِ تِلْكَ الْمَصَاحِفَ، وَلَا يَخَالَفُهُمْ فِيهِ، وَلَا يُغَيِّرَ مِمَّا كَتَبُوهُ شَيْئًا، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَكْثَرَ عُلَمَاءَ، وَأَصْدَقَ قَلْبًا وَلِسَانًا، وَأَعْظَمَ أَمَانَةً مِنَّا، فَلَا يَنْبَغِي أَنْ نُنْظَنَ بِأَنْفُسِنَا اسْتِدْرَاكًا عَلَيْهِمْ»^(٤).

وقال الأندرابي: «وَاتَّبَاعُ الْمَصْحَفِ فِي هَجَائِهِ وَاجِبٌ، وَمَنْ طَعَنَ فِي

(١) هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٤.

(٢) المقنع ص ٩ - ١٠، وينظر: المحكم ص ١١.

(٣) الزركشي: البرهان ١/٣٧٩، والسيوطي: الإتيان ٦/٢٢٠٠.

(٤) شعب الإيمان ٤/٢١٩، والسيوطي: الإتيان ٦/٢٢٠٠.

شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته؛ لأنه بالهجاء يُتلى^(١).
 وصار رسم المصحف سنةً مُتَّبَعَةً، سَنَّهَا كُتَّابُ المصاحف من الصحابة،
 يجب المحافظة عليها والتمسك بها^(٢).

وأصدرت المجامع الفقهية في العصر الحديث فتاوى بوجوب الالتزام
 بالرسم العثماني في كتابة المصاحف، وعدم استعمال الإملاء الحديث فيها^(٣).
 ونُقِلَ عن بعض علماء السلف أنهم لم يوجبوا الالتزام برسم معين في
 كتابة المصاحف، على نحو ما ذهب إليه أبو بكر الباقلاني حين قال: «وفي
 الجملة فإنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى النَّاسِ رَسْمٌ مَخْصُوصٌ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ
 يُقِيمَ الْحُجَّةَ عَلَى دَعْوَاهُ، وَأَنَّى لَهُ بِذَلِكَ»^(٤)، وهو اجتهاد منه رَحِمَهُ اللهُ.

ولا ينقض ما ذهب إليه الباقلاني إجماع العلماء على وجوب اتباع
 الرسم العثماني في كتابة المصاحف؛ لأن في المحافظة على هذا الرسم حفظاً
 للنص القرآني من التغيير أو التبديل، كما أن في ذلك حفظاً للقراءات
 الصحيحة وتمييزها عن غيرها^(٥).

ضوابط منظومة:

قال الشاطبي في العقيلة في بيان أصول المصاحف العثمانية، وعددها:

(١) الإيضاح ص ١٤٣.

(٢) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ٩/٧ و ٣٥٢/٢٩ و ٣٠٠/٣٠٨٨.

(٣) ينظر: شعبان محمد إسماعيل: رسم المصحف وضبطه ص ٨١، فقد أورد قرار مجمع
 البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وقرار هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية
 السعودية، وقرار المجمع الفقهي الإسلامي، التابع لرابطة العالم الإسلامي بمكة
 المكرمة.

(٤) ينظر: الانتصار ٢/٥٤٩، وأحمد مبارك: الإبريز ص ١١٩، والزرقاني: مناهل العرفان
 ٣٧٤/١.

(٥) نقل الزركشي في البرهان ١/٣٧٩: عن العز بن عبد السلام قوله: «لا تجوز كتابة
 المصحف (الآن) على الرسوم الأولى باصطلاح الأئمة»، واستشكل الدارسون هذا
 القول، وحمله بعضهم على حصول تصحيف فيه في كلمة (الآن) وأن الصواب في
 قراءته هو: «لا تجوز كتابة المصحف إلا على الرسوم الأولى...».

- ٣٣ - فَاسْتَحْضَرَ الصُّحُفَ الْأُولَى الَّتِي جُمِعَتْ
 وَحَصَّ زَيْدًا وَمِنْ قُرَيْشِهِ نَفَرًا
 عَلَى الرَّسُولِ بِهِ أَنْزَلَهُ أَنْتَشَرَا
 مَا فِيهِ شَكْلٌ وَلَا نَقْطٌ فَيَحْتَجِرَا
 كُوفٍ وَشَامٍ وَبَصْرٍ تَمْلَأُ الْبَصْرَا
 ضَاعَتْ بِهَا نُسخٌ فِي نَشْرِهَا قُطِرَا
 وَقَالَ مُحَمَّدُ الْعَاقِبُ الْجَكْنِيُّ فِي وَجوبِ الْإِتِّزَامِ بِالرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ فِي
 كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ فِي مَنْظُومَتِهِ كَشْفِ الْعَمَى:
- ٣٤ - عَلَى لِسَانِ قُرَيْشٍ فَاكْتُبُوهُ كَمَا
 ٣٥ - فَجَرَّدُوهُ كَمَا يَهْوَى كِتَابَتَهُ
 ٣٦ - وَسَارَ فِي نُسخٍ مِنْهَا مَعَ الْمَدَنِيِّ
 ٣٧ - وَقِيلَ: مَكَّةُ وَالْبَحْرَيْنُ مَعَ يَمَنِ
 ٣٧ - رَسَمُ الْقُرْآنِ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ
 ٣٨ - لِأَنَّهُ إِمَّا بِأَمْرِ الْمَصْطَفَى
 ٣٩ - وَكُلُّ مَنْ بَدَّلَ مِنْهُ حَرْفًا
 كَمَا نَحَا أَهْلُ الْمَنَاجِي الْأَرْبَعَةَ
 أَوْ بِاجْتِمَاعِ الرَّاشِدِينَ الْخُلَفَا
 بَاءً بِنَارٍ أَوْ عَلَيْهَا أَشْفَى

خلاصة

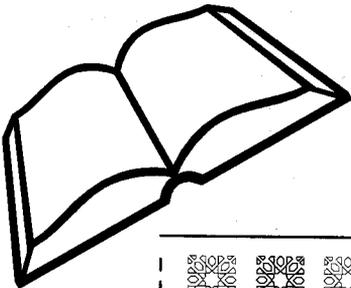
- ١ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، لَكِنَّ الْعَرَبَ لَمْ تَكُنْ لُغَتَهُمْ وَاحِدَةً، فَكَانَتْ تَتَفَاسَمُهَا اللَّهْجَاتُ.
- ٢ قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ، وَقَالَ آخَرُونَ: نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ خَاصَّةً.
- ٣ الرَّاجِحُ أَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ نَزَلَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، كَمَا جَاءَ ذَلِكَ فِي عَدَدٍ مِنْ أَقْوَالِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم.
- ٤ اسْتَشْكَلَ عَدَدٌ مِنَ الدَّارِسِينَ الْقَوْلَ بِنَزُولِ الْقُرْآنِ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ لَوْجُودِ الْهَمْزِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَقُرَيْشٌ لَا تَهْمِزُ، وَأَجِيبَ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ قُرِئَ بِالْهَمْزِ وَبِدُونِهِ.
- ٥ كَتَبَ الْقُرْآنَ بِلُغَةِ قُرَيْشٍ كَمَا أَمَرَ عَثْمَانُ رضي الله عنه كِتَابَةَ الْمَصَاحِفِ، وَلَكِنَّهُ قُرِئَ بِلُغَاتِ الْعَرَبِ مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ، حَسَبَ رِخْصَةِ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ.
- ٦ ذَهَبَ عَدَدٌ مِنَ الدَّارِسِينَ إِلَى أَنَّ الصَّحْفَ الَّتِي جُمِعَ فِيهَا الْقُرْآنُ كَانَتْ مَحْتَوِيَةً عَلَى الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ، وَكَذَلِكَ الْمَصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ، وَالرَّاجِحُ أَنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَكْتَبْ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ وَقِرَاءَةً وَاحِدَةً، وَتَحْتَهُ مُحْتَمَلٌ لِأَكْثَرِ مِنْ قِرَاءَةٍ.
- ٧ كَانَتْ الْمَصَاحِفُ الْعُثْمَانِيَّةُ مَجْرَدَةً مِنَ الْعَلَامَاتِ، وَامْتَازَتْ كِتَابَتُهَا بِحَذْفِ عَدَدٍ مِنَ الْحُرُوفِ أَوْ زِيَادَتِهَا أَوْ إِدَالَتِهَا.
- ٨ ذَهَبَ جُمْهُورُ عُلَمَاءِ السَّلْفِ إِلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ.
- ٩ نَسَبَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى عُلَمَاءِ السَّلْفِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ بِأَنَّ رِسْمَ الْمَصْحَفِ تَوْقِيفِيٌّ، وَهُوَ مَا لَمْ يَقُمْ عَلَيْهِ دَلِيلٌ أَكِيدٌ.
- ١٠ عَلَى الدَّارِسِ أَلَّا يَخْلُطَ بَيْنَ الْقَوْلِ بِوَجُوبِ اتِّبَاعِ الرَّسْمِ الْعُثْمَانِيِّ فِي كِتَابَةِ الْمَصَاحِفِ، وَهُوَ رَأْيُ الْجُمْهُورِ، وَبَيْنَ الْقَوْلِ بِالتَّوْقِيفِ.

أسئلة تقويمية

- ١ س ما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وكُتِبَ عليها؟
- ٢ س إذا كانت لغة قريش هي التي نزل بها القرآن، كيف يمكن تفسير وجود الهمز في القراءة وقريش لا تهمز؟
- ٣ س هل انعكست مظاهر رخصة الأحرف السبعة على كتابة القرآن الكريم؟
- ٤ س هل احتوت صحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه والمصاحف العثمانية على الأحرف السبعة؟
- ٥ س إذا كان مصحف عثمان قد كُتِبَ على حرف واحد، كيف قُرئَ بالقراءات المتعددة؟
- ٦ س هل رسم المصحف توقيفي؟ وضح ذلك.
- ٧ س ما رأي العلماء في وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصاحف؟
- ٨ س هل يعني القول بوجوب اتباع رسم المصحف أنه توقيفي؟ وضح ذلك.
- ٩ س ما رأي الباقلاني في موضوع الالتزام بالرسم العثماني، وما دليله؟
- ١٠ س وضح رأي المجامع الفقهية المعاصرة من الالتزام بالرسم العثماني في كتابة القرآن الكريم؟

الفصل الثاني

مصادر دراسة رسم المصحف



لَقِيَتِ المصاحفُ العثمانيةُ القبولَ في الأمصار الإسلامية، وسارع المسلمون إلى نسخ مصاحف لهم منها، بعد أن استجابوا لأمر خليفتهم بإحراق ما سواها من صُحُفٍ أو مصاحف كانوا قد كتبوها من قبل، فتوحدت المصاحف التي بأيدي المسلمين رسماً ونظماً. وحَظِيَ رسم المصاحف العثمانية بعناية العلماء بالقرآن الكريم من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم، وظهرت المؤلفات الخاصة برسم المصحف في وقت مبكر من تاريخ تدوين العلوم باللغة العربية، وذكر ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) في كتابه «الفهرست» عدداً من الكتب المؤلفة في موضوعات تتعلق برسم المصحف، يمكن حصرها في ما يأتي^(١):

١ - كتب في اختلاف المصاحف. ٢ - كتب في هجاء المصاحف (أي: رسمها). ٣ - كتب في مقطوع القرآن وموصوله.

وتتابع التأليف في رسم المصحف في العصور اللاحقة، حتى زماننا الحاضر، وكانت حصيلة ذلك عشرات المؤلفات، وإذا كانت المؤلفات الأولى في رسم المصحف قد ذهبت نُسخُهَا، ولم يَبْقَ منها إلا نصوصٌ متناثرة في بعض المصادر، فإن المؤلفات التي كُتِبَتْ في القرون اللاحقة قد حفظت لنا وصفاً دقيقاً لرسم المصاحف العثمانية. وفي أيدي الدارسين لرسم المصحف في زماننا مصادر متنوعة، في مقدمتها المصاحف القديمة التي تحكي صورة المصاحف العثمانية، ثم الكتب المؤلفة في هذا العلم، وهي قديمة وحديثة، منظومة ومثورة، وسوف نُعرِّفُ في هذا الفصل بهذه المصادر في المباحث الآتية:

المبحث الأول: المصاحف المخطوطة.

المبحث الثاني: مؤلفات الرسم الأولى.

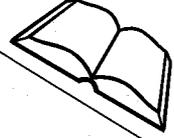
المبحث الثالث: المؤلفات الجامعة.

المبحث الرابع: المؤلفات المنظومة.

(١) ينظر: الفهرست ص ٣٨ - ٣٩.

المبحث الأول

المصاحف القديمة المخطوطة



اعتمد علماء الرسم الأوائل على المصاحف العثمانية في تحديد خصائص الرسم، وكانت تلك المصاحف لا تزال موجودة بين أيديهم، قال حمزة بن حبيب الزيات: «نظرت في المصحف حتى حَشِيتُ أن يذهبَ بَصْرِي»^(١)، وقال نافع بن أبي نعيم (ت ١٦٩هـ): «أرسل إليَّ بعض الخلفاء مصحف عثمان لأصلحه»^(٢)، وقال عاصم الجحدري (ت ١٢٨هـ): «رأيت في مصحف عثمان رضي الله عنه...»^(٣)، وقال أبو عبيد (ت ٢٢٤هـ): «رأيت في الإمام مصحف عثمان بن عفان، اسْتُخْرِجَ لي من بعض خزائن الأمراء...»^(٤)، وقال: «تبعته رسمه في المصاحف»^(٥)، وقال الداني: «ورأيت أبا حاتم قد حَكَى عن أيوب بن المتوكل أنه رأى في مصاحف أهل المدينة...»^(٦)، والنصوص في هذا المعنى كثيرة.

وإذا كانت أعداد المصاحف تزداد بتقدم الزمن، فإن أعداد المصاحف العثمانية الأولى وما نُقِلَ منها من مصاحف كانت في تناقص، بسبب تعرضها لعوامل التلف من رطوبة وأَرْضَيةٍ وتقادَم، ومع ذلك فإن عدداً من المصاحف القديمة قد بقيت كاملة أو ناقصة، تحكي صورة المصاحف الأولى من حيث المادة

(١) الذهبي: معرفة القراء ١/٢٥٣.

(٢) الذهبي: معرفة القراء ١/٢٤٥.

(٣) الداني: المقنع ص ٦٦.

(٤) المصدر نفسه ص ١٥.

(٥) المصدر نفسه ص ٩٢.

(٦) المصدر نفسه ص ٩٩.

التي كُتِبَتْ عليها وهي الرقوق، ومن حيث الخط المجرد من العلامات من النوع الحجازي ذي الألفات المائلة أو الكوفي ذي الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة.

وكان علماء الرسم المتأخرون يرجعون أحياناً إلى المصاحف المخطوطة القديمة ويحتجون بما فيها من رسوم، شأنهم في ذلك شأن المؤلفين الأوائل في الرسم، لكن تقادم الزمن قد حجب عن المتأخرين بعض المصاحف العثمانية الأصلية، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن المؤلفين الأوائل الذين استخرجوا الرسوم من المصاحف العثمانية مباشرة قد كَفَّوْا من جاء بعدهم كلفة النظر في المصاحف، فكان علماء الرسم المتأخرون ينظرون في المصاحف القديمة للتأكد من رسم بعض الكلمات والاستئناس بما فيها للترجيح بين بعض الروايات في المؤلفات الأولى.

ومن أمثلة ذلك ما حكاه علم الدين السخاوي في شرحه على العقيلة، وهو يتحدث عن إثبات الباء وحذفها في كلمة (الزبر والكتاب) في مصاحف أهل الشام في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، فقد ذكر الروایتين اللتين نقلهما الداني في المقنع، الأولى عن أبي عبيد، وتنص على إثبات الباء في الكلمتين، والثانية عن هارون بن موسى الأخفش الدمشقي وتنص على إثبات الباء في (والزبر) وحدها^(١)، وقال السخاوي: «قلت: والذي قاله الأخفش هو الصحيح إن شاء الله؛ لأنني كذلك رأيت في مصحف أهل الشام عتيق، يغلب على الظن أنه مصحف عثمان رضي الله عنه، أو هو منقول منه، وهذا المصحف موجود بمدينة دمشق في مسجد بنواحي الموضع المعروف بالكشك، وهم يزعمون أنه مصحف علي، وقد كشفته وتبعت الرسم الذي اختص به مصحف أهل الشام فوجدته كله فيه»^(٢).

ولا تزال المصاحف القديمة المخطوطة تنتظر من يدرسها ويسلط الضوء عليها لتحديد تاريخ كل نسخة، وبيان ما فيها من ظواهر الرسم وعلامات

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ١٠٢.

(٢) الوسيلة ص ١٣١.

الضبط، وقد شهدت العقود الأخيرة خطوات طيبة في هذا السبيل تتمثل في نشر عدد من هذه المصاحف بالتصوير المطابق للأصل، مع دراسات مصاحبة عنها. وما يعني دارس رسم المصحف هو المقدار الذي يمكن أن تقدمه المصاحف القديمة في دراسة ظواهر الرسم التي تضمنتها كتب رسم المصحف، وإذا كانت ظواهر الرسم في هذه المصاحف لا يمكن أن تكون حجة بقوة المصاحف الأولى؛ لأن علماء الرسم يقولون: «إنما الحجة بالمصاحف القديمة التي كتبها الصحابة رضي الله عنهم»^(١)، فإنها يمكن أن تسهم في دراسة عدد من المسائل المتعلقة بالرسم والمصاحف وتطورها، وفي مقدمتها:

١ - الاستثناس أو الاستشهاد بما ورد فيها من رسوم لتعزيز ما جاء في المصادر من وصف لظواهر الرسم.

٢ - تأييد بعض الروايات الواردة في كتب الرسم عن ظواهر نادرة حكاها بعض علماء الرسم المتقدمين.

٣ - الكشف عن تطور علامات الضبط، وفواتح السور وعد الآي وتجزئة القرآن في المصاحف.

وتبلغ المصاحف المخطوطة المسجلة في المكتبات العامة في العالم آلاف النسخ^(٢)، وتزداد أهمية تلك المصاحف لدارس رسم المصحف كلما كانت ترجع إلى تاريخ أقدم، ولا شك في أن الحديث عن أية نسخة من المصحف تقتضي الاطلاع عليها أولاً، وهو أمر يصعب تحقيقه في كثير من الأحيان، وقد أتاحت وسائل النشر الحديثة إصدار طبعات لعدد من تلك المصاحف مكَّنت الدارسين من القراءة فيها وتأملها، وعَوَّضت عن القراءة في نسخها الأصلية إلى حد كبير.

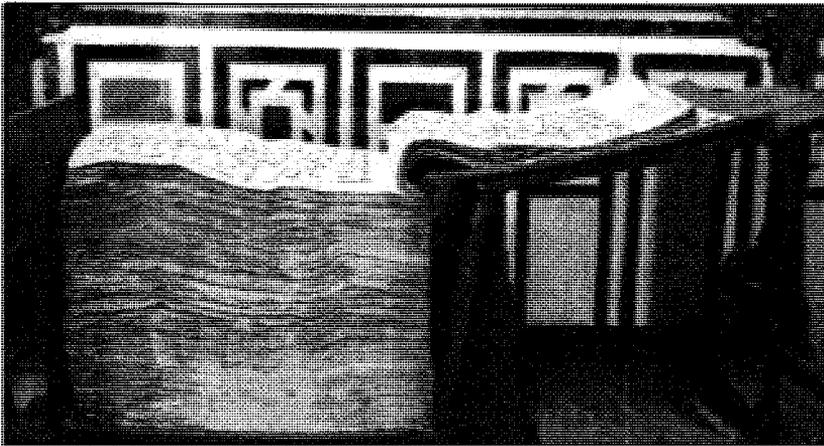
وقد أُتيح لهذا الكتاب الإفادة من المصاحف الآتية:

١ - مصحف طشقند، الذي طُبِعَ منه خمسون نسخة سنة ١٩٠٥ م.

(١) الرجراجي: تنبيه العطشان ورقة ١٤٦ (عن: مختصر التبيين ١/١٥٢).

(٢) ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط (المصاحف المخطوطة) ص ١٢ - ٤٣٢.

- ٢ - المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه والم محفوظ في جامع الحسين في القاهرة، وقد نُشرَ في إستانبول سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، بعناية الأستاذ الدكتور طيار آتتي قولاج.
- ٣ - مصحف جامع عمرو بن العاص، الم محفوظ في دار الكتب المصرية في القاهرة برقم (١٣٩ مصاحف)، والذي أُتيح لكاتب هذه السطور الاطلاع على نسخته الأصلية والقراءة فيها.
- ٤ - المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه والم محفوظ في متحف طوب قايي سرايي في تركيا، وقام بنشره الأستاذ طيار آتتي قولاج في إستانبول سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٥ - صفحات من مصاحف صنعاء نشرت في دراسات متعددة.
- ٦ - مصحف ابن البواب، الذي كتبه سنة ٣٩١هـ في مدينة السلام (بغداد)، والم محفوظ في مكتبة جسترتي بمدينة دبلن بأيرلندا، برقم (ك/١٦)، وقامت المكتبة بنشره مصوراً سنة ١٩٨٠م، مع دراسة بقلم المستشرق دي. إس. رايس بالإنكليزية مع ترجمتها إلى العربية بقلم أحمد الأرفلي.
- وسوف يتضمن الفصل السادس من هذا الكتاب دراسة تحليلية لنماذج مصورة من هذه المصاحف ومن غيرها.



مصحف جامع الحسين بالقاهرة

أبعاده ٦٨×٥٧ سم، ارتفاعه ٤٠ سم، وزنه ٨٠ كغم، عدد أوراقه ١٠٨٧ (= ٢١٧٤ ص)

خلاصة

- ١ اعتمد علماء الرسم الأوائل على المصاحف التي كانت بين أيديهم لبيان خصائص رسم المصحف.
- ٢ قد تكون المصاحف العثمانية قد اختفت في القرون الهجرية الأولى، لكن المصاحف التي نُقِلَتْ منها أو كانت قريبة العهد إليها لا يزال عدد منها محفوظاً في عدد من المكتبات.
- ٣ للمصاحف المخطوطة أهمية كبيرة لدارس رسم المصحف، للتحقق من ظواهر الرسم، أو لتتبع تطور العلامات الكتابية وغيرها في المصاحف.
- ٤ تضم المكتبات العالمية عدداً كبيراً من المصاحف المخطوطة، لكن كثيراً منها لا يزال بعيداً عن متناول يد الدارسين.
- ٥ تُبَيَّرُ في السنوات الأخيرة عدد من المصاحف القديمة بطريقة التصوير، مثل مصحف ابن البواب، ومصحف متحف طوب فاهي سراي في إسطنبول، ومصحف جامع الحسين في القاهرة.
- ٦ أتاح نشر هذه المصاحف للدارسين فرصة الوقوف على رسم الكلمات في هذه المصاحف، وملاحظة العلامات الكتابية المستعملة فيها، والتدريب على قراءة الخطوط القديمة المكتوبة بها.

أسئلة تقويمية

١. ما أهمية المصاحف المخطوطة لدارس رسم المصحف اليوم؟
٢. هل بقي شيء من المصاحف العثمانية الأولى؟
٣. على أي المصاحف اعتمد العلماء في وصف رسم المصحف؟
٤. ما أهم المصاحف المخطوطة التي نشرت في السنوات الأخيرة؟
٥. ما هي الجوانب التي يمكن أن تتحقق من خلال دراسة المصاحف القديمة المخطوطة؟

المبحث الثاني

المؤلفات الأولى في علم رسم المصحف



اشتهرت مصاحف الأمصار الخمسة التي أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بانتساخها، وهي: مصحف المدينة، ومكة، والكوفة، والبصرة، والشام، وكان عثمان قد أرسل مع كل مصحف من تلك المصاحف عالماً بالقراءة^(١)، واجتهد هؤلاء العلماء وتلامذتهم في دراسة رسوم تلك المصاحف وكتبوا رسائل في وصف رسومها وما وقع بينها من اختلاف.

والمقصود بالمؤلفات الأولى هنا تلك المؤلفات التي جمَعَ مؤلفوها مادتها من النظر في المصاحف مباشرة، ومَهَّدُوا السبيل لمن جاء بعدهم من علماء الرسم للحديث عن خصائص الرسم العثماني، والموازنة بين رسم الكلمات في مصاحف الأمصار.

وقد يتساءل الدارس عن الأسباب التي جعلت العلماء بالقرآن الكريم يخصون رسم المصحف بالتأليف، ويمكن تلخيص تلك الأسباب في ما يأتي:

١ - صارت موافقة القراءة لخط المصحف العثماني أحد أركان القراءة الصحيحة الثلاثة^(٢)، بل إن الرسم صار «هو الركن الأعظم في إثبات القرآنية للقرآن»^(٣)، واجتمع القراء على ترك كل قراءة تخالف خط المصحف^(٤)،

(١) ينظر: الجعبري: جميلة أبواب المراد ص ٢٣٦، والمارغني: دليل الحيران ص ١٧.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٣١١/١، ومكي: الإبانة ص ٣٠، وأبو شامة: المرشد الوجيز ص ١٧٨.

(٣) الشوكاني: إرشاد الفحول ٧٣/١.

(٤) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٢/١.

واقترض ذلك التأليف في وصف رسم المصحف، لتمييز القراءة الصحيحة من غيرها.

٢ - وجود اختلاف في رسم عدد من الكلمات بين مصاحف الأمصار الخمسة، مما دعا إلى التأليف في بيان اختلاف المصاحف لحصر تلك الكلمات.

٣ - تَعَدُّدُ صورة رسم عدد من الكلمات، ووجود حروف زائدة على اللفظ أو محذوفة أو مبدلة في رسم كلمات أخرى، مما دعا إلى التأليف في رسم المصحف لوصف رسم تلك الكلمات.

٤ - نحا علماء اللغة العربية إلى تحقيق المطابقة بين الكتابة العربية والنطق في كتب الهجاء التي ألفوها، مما حدا بعلماء القرآن إلى التأليف في وصف هجاء المصاحف، حتى لا يتأثر كُتَّاب المصاحف بتلك النزعة فيؤدي ذلك إلى تغيير رسم المصحف.

ولا يوجد بين أيدينا اليوم شيء من مؤلفات رسم المصحف الأولى، فقد اندثرت ولم يبق شيء من نسخها المخطوطة^(١)، ولكن مؤلفات العصور اللاحقة نَقَلَتْ نصوصاً من تلك المؤلفات، تؤكد وجودها وتُبَيِّنُ شيئاً من مادتها.

وفي مقدمة تلك المؤلفات التي حفظت لنا أسماء الكتب القديمة أو شيئاً من مادتها: كتاب «الفهرست» لابن النديم (ت ٣٨٥هـ) الذي حفظ لنا أسماء الكتب المؤلفة في رسم المصحف^(٢)، وكتاب «فضائل القرآن» لأبي عبيد

(١) ذُكِرَ في الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط في الجزء الخاص برسم المصحف (ص ١) كتاب «مرسوم المصحف» لأبي عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ، في مكتبة آيا صوفيا بتركيا برقم (٤٨١٤)، وذُكِرَ في (ص ٢) كتاب «اختلاف المصاحف» لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ، في مكتبة برلين بألمانيا (١/١٧٤)، والأمر يحتاج إلى الاطلاع على المخطوطتين للتأكد من حقيقتهما.

(٢) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٨ - ٣٩.

القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، وكتاب «المصاحف» لأبي بكر عبد الله بن أبي داود (ت ٣١٦هـ)، وكتاب «المقنع» لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ)، فقد حفظت هذه الكتب نصوصاً من كتب رسم المصحف القديمة، وأكثرها أهمية في هذا الجانب كتاب «المقنع» للداني.

ويصعب على الدارس تقديم صورة واضحة لمؤلفات هذه الحقبة، إذ يبدو على عدد من النصوص الرواية الشفهية عن علماء الرسم الأوائل، ويمكن أن تكون نصوص أخرى مقتبسة من مؤلفات مكتوبة، وقد يُسهّل تناول الموضوع دراسة جهود كل عالم من علماء الرسم الأوائل على حدة، سواء ورد النص على تأليفه كتاباً في الرسم أم لم يرد، مع ملاحظة أن هؤلاء العلماء معظمهم من علماء القراءة في تلك الأمصار، من القراء السبعة، أو من أقرانهم، أو من تلامذتهم والرواة عنهم، وفي مقدمتهم:

١ - عبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨هـ) قارئ أهل الشام^(١)، ذكّر له ابن النديم كتابين في موضوع الرسم، هما: كتاب «اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق»، وكتاب «مقطوع القرآن وموصوله»^(٢).

ونقل أبو عمرو الداني في المقنع رواية عن ابن عامر تتعلق برسم عدد من الكلمات في مصاحف أهل الشام، رواها عنه تلميذه يحيى بن الحارث الذمّاري (ت ١٤٥هـ)^(٣)، وذكر ابن النديم ليحيى كتاباً في «هجاء المصاحف»^(٤).

٢ - عاصم بن العجاج بن أبي الصبّاح، أبو المُجَشَّر، الجَحْدَرِيُّ البصري (ت ١٢٨هـ)، أخذ القراءة عن نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، والحسن البصري. وتصدّر للإقراء فقرأ عليه المُعَلَّى بن عيسى الوراق،

(١) تنظر: ترجمته: الذهبي: معرفة القراء الكبار ١/١٨٦، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٤٢٣.

(٢) ينظر: الفهرست ص ٣٩.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ١٨ و ١٠٢ و ١١٠.

(٤) الفهرست ص ٣٩، وينظر: الداني: المقنع ص ٩٠.

وهارون بن موسى الأعور، وأبو المنذر سَلَام القارئ، وغيرهم^(١)، وذكره ابن النديم في قراء الشواذ^(٢).

وكان عاصم الجحدري على معرفة بالمصحف ورسمه، وانتدبه الحجاج بن يوسف الثقفي ضمن عدد من قُرَّاء البصرة لِعَدِّ حروف القرآن وكلماته وأجزائه وأحزابه^(٣).

ونقل الداني سبع عشرة رواية عن عاصم الجحدري في رسم المصحف^(٤)، سبع منها من طريق تلميذه هارون بن موسى، وست من طريق تلميذه معلى بن عيسى الوراق، وأربع من طريق غيرهما، ويقول في أكثرها: في الإمام...، وقد يضيف إلى ذلك (مصحف عثمان بن عفان)، وقد يقول: وفي مصحف عثمان بن عفان، ويتبادر إلى الذهن أنه ينقل من مصحف الخليفة عثمان رضي الله عنه أو من مصحف أهل المدينة، ولكن يترجح عندي أنه ينقل عن مصحف أهل بلدة البصرة الذي أرسله عثمان إليهم، فإنه جاء في إحدى الروايات: «.. حدثنا حجاج، عن هارون، قال: حدثنا عاصم الجحدري، قال: هو في الإمام مصحف عثمان بن عفان الذي كتبه للناس..»^(٥).

ولم أقف على ذكر كتاب لعاصم الجحدري في رسم المصحف، ولعله كان يملي ملاحظاته عن الرسم على تلامذته فيدونونها عنه، وانتقلت من بعدهم إلى المؤلفات الجامعة في الرسم التي ظهرت في الحقبة اللاحقة، وذكر له ابن النديم كتاباً في عدد أهل البصرة^(٦).

٣ - حمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦هـ) قارئ أهل الكوفة بعد عاصم بن أبي النجود، وكانت لحمزة عناية بالمصحف ورسمه وعدده، كما كانت له

(١) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ١/٢١٠، وابن الجزري: غاية النهاية ١/٣٤٩.

(٢) الفهرست ص ٣٣.

(٣) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ١/٤٦٧ و ٤٧٠ - ٤٧١، والبرهان ١/٢٤٩.

(٤) ينظر: المقنع ص ١٥٣ (فهرس الأعلام).

(٥) الداني: المقنع ص ١٥.

(٦) الفهرست ص ٤٠.

عناية بقراءته وضبط حروفه، وروى عنه تلميذه عبد الله بن صالح العجلي (ت ٢٢٠هـ) أنه قال: «نظرتُ في المصحف حتى خَشِيتُ أن يذهبَ بَصْرِي»^(١).

وعاش حمزة بن حبيب في عصر نشأة العلوم الإسلامية وظهور بواكير المؤلفات فيها، وذكر له ابن النديم في الفهرست عدداً من الكتب، هي^(٢):

- ١ - كتاب قراءة حمزة.
- ٢ - كتاب الفرائض.
- ٣ - كتاب الوقف والابتداء.
- ٤ - كتاب متشابه القرآن.
- ٥ - كتاب مقطوع القرآن وموصوله.
- ٦ - كتاب العدد.

ولم يبق من مؤلفات حمزة الزيات شيء، لكن وردت نصوص منقولة عن حمزة قد تكون من بعض كتبه، فقد نقل الداني عن حمزة عدداً من النصوص في موضوع العدد^(٣)، ونقل عنه نصوصاً تتعلق برسم المصحف، لعل بعضها منقول من كتابه «مقطوع القرآن وموصوله»^(٤).

٤ - نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت ١٦٩هـ) قارئ أهل المدينة^(٥)، قال الليب في الدرّة الصقيلة في شرح العقيلة: «فكان المصحف الذي أعطى عثمان لأهل المدينة لا يزال عنده، فبكثره مطالعته له ومواظبته إياه تصوّر في خلدِهِ، فلم تُؤخَذْ حقيقة الرسم إلا عن نافع، وعنه أخذ الغازي بن قيس، وعطاء بن يسار، وحكّم الناقل، وغيرهم»^(٦).

(١) معرفة القراءة ١/٢٥٣.

(٢) الفهرست ص ٣٢ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠.

(٣) الداني: البيان في عد آي القرآن ص ٤٩ و ٦٩ و ٧٣.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٨ و ٧٠ و ٧٣.

(٥) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراءة ١/٢٤١، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/٣٣٠.

(٦) الدرّة الصقيلة ١٩ و.

ولم أفد على نص ينسب إلى نافع تأليف كتاب في الرسم^(١)، لكن الداني نقل عنه نصوصاً طويلة في رسم المصحف من المحتمل أنها كانت مدونة، ومن أهم تلك النصوص وأطولها ما ورد في باب (ما حُدِّثَ منه الألف اختصاراً) الذي نقله عن قالون تلميذ نافع، وذكر فيه أكثر من مئة وخمسة وعشرين موضعاً^(٢).

ونقل الداني عن نافع روايات أخرى كثيرة في رسم المصحف^(٣). وهناك ما يشير إلى أنه كان لنافع مصحف خاص به، وأن الغازي بن قيس الأندلسي (ت ١٩٩هـ)، أخذ كتابه المُسمَّى «هَجَاءُ السُّنَّةِ» من مصحف نافع^(٤)، وذكر ابن الجزري أن الغازي صَحَّحَ مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة^(٥).

ونقل الداني في المقنع عشرات النصوص من كتاب «هَجَاءُ السُّنَّةِ» للغازي^(٦)، وكذلك فعل أبو داود سليمان بن نجاح في كتابه «مختصر التبيين لهجاء التنزيل»^(٧).

ويلفت نظر الدارس أن الداني لم ينقل عن تلامذة نافع الآخرين الذين ذكر اللبيب أنهم أخذوا الرسم عنه، وهما عطاء بن يسار^(٨) وحَكَمِ الناقط،

(١) جاء في كتاب مختصر التبيين لسليمان بن نجاح (٣/٥٦٨): «... لرواية الغازي بن قيس عن نافع بن أبي نعيم المدني، وأخذه الهجاء عنه، ومن مصنفه، وأنه عرض مصحفه بمصحف نافع ثلاث عشرة مرة». وقد تكون كلمة (مصنفه) هنا مُصَحَّفَةً عن (مُصَحِّفِهِ)، وسوف أذكر هذه المسألة عند الحديث عن كتاب الغازي بن قيس في الرسم في المبحث اللاحق.

(٢) المقنع ص ١٠ - ١٤.

(٣) ينظر: المقنع ص ٢٠ و ٣٧ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١ و ٥٢ و ٩٢ و ٩٧ و ١٠٩ و ١١٢.

(٤) ينظر: أبو داود: مختصر التبيين ٣/٦٦٤.

(٥) غاية النهاية ٢/٢.

(٦) ينظر مثلاً: المقنع ص ٢١ و ٥١ و ٥٢ و ٥٧.

(٧) ينظر مثلاً: مختصر التبيين ٢/٢٦٩ و ٢٧١ و ٣٨١.

(٨) ذكر الداني في المقنع ص ٩٢: أن ابن المبارك روى عن حنظلة بن أبي سفيان عن عطاء، قال: زعموا أنها في مصحف عثمان رضي الله عنه (بضنين) بالضاد.

لكن أبا داود أكثر من النقل عنهما في مختصر التبيين، وسَمَّى الأول: عطاء بن يزيد الخراساني، ونقل عنه في تسعة وثلاثين موضعاً^(١)، وذكر أن له كتاباً في الرسم^(٢)، لكن اللبيب في الدرّة الصقيلة سَمَّاهُ (عطاء بن يسار الأندلسي)، وسَمَّى كتابه «الدر المنظوم في معرفة المرسوم»^(٣)، والأمر يحتاج إلى تحقيق عسى أن تسعف به المصادر مستقبلاً، ولا يخفى على القارئ أن عطاء المذكور ليس (عطاء بن يسار المدني) التابعي المتوفى سنة (١٠٣هـ).

ونقل أبو داود في مختصر التبيين عن حَكَم بن عمران الناظر الأندلسي في اثنين وثلاثين موضعاً^(٤)، وذكر أن له كتاباً في الرسم^(٥)، وسماه اللبيب «درّة اللاقط»^(٦)، وذكر الداني في كتابه المحكم في نقط المصاحف أنه رأى مصحفاً نَقَطَهُ حَكَمُ الناظر في سنة ٢٢٧هـ^(٧)، مما يدل على أنه عاش إلى هذه الفترة^(٨).

(١) ينظر: مختصر التبيين ١٣٦٥/٥ (فهرس الأعلام).

(٢) ينظر: مختصر التبيين ٤١٠/١.

(٣) ينظر: الدرّة الصقيلة ٣.

(٤) ينظر مختصر التبيين ١٣٥٧/٥ (فهرس الأعلام).

(٥) ينظر: مختصر التبيين ١٠٧٦/٤.

(٦) ينظر: الدرّة الصقيلة ٣، و٢٣ ظ. وذكره الدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت في سمير العالمين ٥٧/١ باسم (درّة اللافظ) بالفاء والطاء، وأشار إلى مخطوطة الدرّة الصقيلة التي رجعتُ إليها في الموضوعين المذكورين، وهي مخطوطة المكتبة الزهرية رقم (٢٢٢٩٧)، ورجعتُ إلى نسخة أخرى في المكتبة الأزهرية برقم (٩٣٠٧٣٢) وهي مكتوبة بالخط المغربي، وكانت القاف منقوطة بواحدة من فوق في الموضوعين.

(٧) المحكم ص ٨٧.

(٨) قال الجعبري في جميلة أرباب المراصد ص ٢٤٩ وهو بصدد ذكر تصانيف العلماء في الرسم: «... وكتاب المقنع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، وهو أجمعها، ومن النظم: العقيلة، نَظْمُهُ، وأرجوزة ابن عمران، نَظْمُهُ أيضاً...»، وذكر محققه في الهامش أن ابن عمران هو الحكم بن عمران الناظر صاحب الغازي بن قيس، وهذا وَهْمٌ مرَّ على المحقق وعلى المشرف كاتب هذه السطور، فابن عمران الذي نَظَّمَ المقنع لا يمكن أن يكون حَكَمًا الناظر، ولاحظتُ أن النصوص التي نقلها اللبيب في الدرّة الصقيلة من «درّة اللاقط» مثورة وليس نظماً.

٥ - علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) قارئ أهل الكوفة ومدينة السلام^(١)، وكان ابن النديم قد ذكّر له كتابين في رسم المصحف، هما: كتاب «اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة»، وكتاب «مقطوع القرآن وموصوله»^(٢)، ونقل ابن أبي داود في كتاب المصاحف عن الكسائي (اختلاف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة في المصاحف)^(٣)، ونقل الداني نصوصاً كثيرة عن الكسائي في «المقنع»^(٤).

هؤلاء هم أشهر علماء الرسم من الرعيل الأول الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري، ونظروا في مصاحف بلدانهم ووصفوا طريقة رسم الكلمات فيها، ولا يتسع المقام للحديث عن جهود آخرين من الحقبة ذاتها، وهم أقل شهرة من هؤلاء^(٥).

إن النتيجة التي ينتهي إليها الدارس من خلال تتبع المؤلفات الأولى في الرسم هي أن علماء التابعين وتابعيهم قد اجتهدوا في وضع تلك المؤلفات على غير مثال سابق، فلم يكن بين أيديهم مؤلفات يحاكونها، وإنما حملهم اجتهادهم وحرصهم على صيانة المصاحف العثمانية على وصف رسم الكلمات فيها، وتدوينها أو روايتها لتلامذتهم الذين دَوَّنوها عنهم في مؤلفاتهم.

وتأسس من خلال جهود هؤلاء العلماء علم جديد، هو علم رسم المصحف، الذي كان يُعنى بهجاء المصاحف؛ أي: طريقة رسم الكلمات فيها، وبالمقطوع والموصول فيها، وباختلاف مصاحف الأمصار في رسم عدد من الكلمات، وجمعت مؤلفات العصور اللاحقة هذه الموضوعات في كتاب

(١) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ٢٩٦/١، وابن الجزري: غاية النهاية ٥٣٥/١.

(٢) الفهرست ص ٣٨ و ٣٩.

(٣) ينظر: كتاب المصاحف ٢٥٣/١ - ٢٥٩، وينظر أيضاً ص ٢٧٨.

(٤) ينظر مثلاً: المقنع ص ٢١ و ٧٣ و ١٠٧.

(٥) من هؤلاء العلماء: أسيد بن يزيد، ينظر: كتاب المصاحف ٢٥٠/١ - ٢٥١، والمقنع ص ٢٧ و ٤٠ و ١٠٦، وعلي بن يزيد بن كيسة، أبو الحسن الكوفي نزيل مصر (ت ٢٠٢هـ)، ينظر: المقنع ص ٤٧ و ٥٦ و ٦٩ و ٧٣.

واحد، كما نجد ذلك في كتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» للداني.

ولم تكن نشأة هذا العلم، وظهور المؤلفات فيه بالأمر اليسير، فإن ذلك يحتاج إلى نظر في كل كلمة في المصحف، والوقوف على رسمها، ومدى موافقة رسمها لنطقها، وتحديد ما فيها من حذف أو زيادة أو بدل، أو وصل أو فصل، وموازنة رسمها في مواضع ورودها الأخرى في المصحف، أو موازنة رسمها في مصاحف أخرى من مصاحف الأمصار، ومن ثم لم يكن الإمام حمزة بن حبيب الزيات مبالغاً حين قال: «نظرتُ في المصحف حتى خَشِيتُ أن يذهبَ بَصْرِي»^(١).

(١) الذهبي: معرفة القراء ١/٢٥٣.

خلاصة

- ١ حطّبت المصاحف العثمانية بالعناية، فدرستها العلماء في القرون الأولى، ووصفوا طريقة رسم الكلمات فيها.
- ٢ كانت المؤلفات الأولى في رسم المصحف من أقدم المؤلفات في علوم القرآن.
- ٣ أسهمت عوامل متعددة في حمل العلماء على التأليف في رسم المصحف.
- ٤ لم يبق من مؤلفات الرسم الأولى نسخ خطية، لكن يمكن التعرف عليها من خلال كتب الفهارس، ومن التصور التي نقلها منها المؤلفون في العصور اللاحقة.
- ٥ من أهم المصادر التي يمكن من خلالها التعرف على المؤلفات الأولى في الرسم: كتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار للداني.
- ٦ من أشهر علماء الرسم في القرن الثاني الهجري أربعة من القراء السبعة، هم: ابن عامر وحمزة الزيات ونافع والكسائي، وعاصم الجحدري، من غيرهم.
- ٧ اشتهر عدد من تلامذة العلماء الأوائل بالتأليف في الرسم، مثل الغازي بن قيس الأندلسي تلميذ نافع، ونُصير بن يوسف النحوي صاحب الكسائي.
- ٨ كان أكثر اعتماد علماء الرسم في القرن الثاني الهجري على نظريتهم في المصاحف العثمانية مباشرة وقراءتهم فيها.

أسئلة تقويمية

١. اذكر الأسباب التي حَمَلَت العلماء على التأليف في رسم المصحف؟
٢. متى ظهرت المؤلفات الأولى في الرسم؟
٣. هل بقي شيء من مؤلفات الرسم الأولى؟ وَصِّحْ ذلك.
٤. ما المصادر التي اعتمد عليها المؤلفون الأوائل في الرسم؟
٥. من هم أشهر العلماء الذين اشتغلوا برسم المصحف وألَّفُوا فيه في القرن الثاني الهجري؟
٦. ما المؤلفات التي كتبها عبد الله بن عامر قارئ أهل الشام في الرسم؟
٧. ما المؤلفات التي ألَّفها حمزة بن حبيب الزيات؟
٨. هل أَلَفَ نافع بن أبي نعيم قارئ أهل المدينة كتاباً في الرسم؟
٩. من هم أشهر تلامذة نافع الذين ألَّفُوا في رسم المصحف؟
١٠. ما المؤلفات التي كتبها علي بن حمزة الكسائي في الرسم؟



المبحث الثالث

المؤلفات الجامعة في الرسم

وهي المؤلفات التي جمع فيها كاتبوها النصوص والروايات التي دَوَّنَهَا العلماء في المرحلة السابقة أو نقلها عنهم تلامذتهم، إلى جانب النظر في المصاحف الأولى التي كانت نُسَخَهَا لا تزال في متناول أيديهم، وأكثر هذه المؤلفات يرجع إلى القرن الثالث والرابع الهجريين، ولم يبق من تلك المؤلفات إلا ما كُتِبَ بعد القرن الرابع الهجري، وسوف أتناولها بالحديث من خلال تقسيمها على مجموعتين: الأولى: المؤلفات المفقودة، والثانية: المؤلفات الباقية.

أولاً: المؤلفات الجامعة المفقودة:

إذا كنا في المرحلة السابقة من تاريخ التأليف في رسم المصحف غير متأكدين من وجود مؤلفات لجميع العلماء الذين اشتغلوا برسم المصحف، فإننا في هذه المرحلة نجد أمامنا نصوصاً صريحة بوجود مؤلفات لعلماء الرسم الذين عاشوا في هذه الحقبة، جمعوا فيها الروايات التي وقفوا عليها في مؤلفات من سبقهم أو أخذوها عنهم مشافهة، لكن مؤلفات القرن الثالث مفقودة لم يبق من نسخها شيء يُذَكَّرُ، ولولا ذكرها في كتب التراجم والفهارس، ولولا نقل نصوص منها في الكتب المتأخرة لَمَا عرفنا عنها شيئاً.

ومن أشهر مؤلفات هذه المرحلة:

١ - كتاب «هجاء السُّنَّة»، للغازي بن قيس الأندلسي: من أهل قرطبة، رحل إلى المشرق فَحَجَّ، وأخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن نافع بن أبي نعيم، وضبط عنه اختياره، وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس، وهو أول من أدخل

قراءة نافع وموطأ مالك إلى الأندلس، وتوفي سنة تسع وتسعين ومئة^(١).
ونقل الداني في المقنع من كتاب الغازي بن قيس في الرسم أحد عشر نصاً^(٢)، وسَمَّاهُ كتاب «هَجَاءِ السُّنَّةِ» وقال عنه: الذي رواه عن أهل المدينة^(٣)، ونقل عنه أيضاً أبو داود سليمان بن نجاح في كتابه «مختصر التبيين» تسعة وأربعين نصاً^(٤)، وسماه كتاب «هَجَاءِ السُّنَّةِ» أيضاً^(٥)، وقال وهو يتحدث عن رسم (كلمة ربك) في الأعراف [١٣٦] بالهاء: «فدل هذا وما قدمناه من قول عاصم [يعني: الجحدري] ورسم الغازي بن قيس لذلك بالهاء أن مصاحف أهل المدينة على الهاء، لرواية الغازي بن قيس عن نافع بن أبي نعيم المدني، وأخذه الهجاء عنه، ومن مصنفه، وأنه عرض مصحفه بمصحف نافع ثلاث عشرة مرة، وقيل: أربع عشرة مرة»^(٦)، وما ورد في النص من ذكر مُصَنَّفٍ في الرسم لنافع لم تشر إليه المصادر التي اطلعت عليها، وقد تكون الكلمة مُصَحَّفَةً عن (مُصَحِّفِهِ)، فيكون الغازي أخذ الرسم عن نافع مشافهة وبالنظر في مصحفه، ونقل ابن الجزري النص هكذا: «وَصَحَّحَ مصحفه على مصحف نافع ثلاث عشرة مرة»^(٧).

٢ - كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام:

كان أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي المتوفى في مكة سنة ٢٢٤ هـ أحد العلماء الذين اشتغلوا بعلوم القرآن والحديث والفقه والعربية، وله في ذلك كله مؤلفات استحسناها الدارسون، ونقل عنه علماء الرسم روايات

(١) ينظر: الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين ص ٢٥٤ - ٢٥٦، وابن الفريسي: تاريخ علماء الأندلس ص ٢٧٢، والقاضي عياض: ترتيب المدارك ١/٤٦٣ - ٤٦٥، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/٢.

(٢) ينظر: المقنع ص ١٥٦ (فهرس الأعلام).

(٣) ينظر: المقنع ص ٢١ - ٢٢ و ٤٧.

(٤) ينظر: مختصر التبيين ١٣٦٧/٥ (فهرس الأعلام).

(٥) ينظر: مختصر التبيين ٣/٥٦٨ و ٦٦٤ و ٧٩٩.

(٦) مختصر التبيين ٣/٥٦٨.

(٧) غاية النهاية ٢/٢.

كثيرة في الرسم، وفي مقدمتهم أبو عمرو الداني، فقد نقل عنه في المقنع في خمسة وأربعين موضعاً^(١).

ولا يجد الدارس بين كتب أبي عبيد التي ذكرتها كتب التراجم والفهارس كتاباً في الرسم، ويحتمل ذلك أمرين؛ الأول: أن يكون قد ذكّر هذه النصوص في أحد كتبه الأخرى المؤلفة في القرآن، والثاني: أن يكون له كتاب في الرسم لكنه ذهب ولم يذكره من ترجم له، وبقيت منه هذه النصوص.

ويترجح الاحتمال الأول، فقد وجدت عدداً من النصوص التي نقلها الداني في المقنع في كتابه «فضائل القرآن»، وهي النصوص المتعلقة بتدوين القرآن، واختلاف مصاحف الأمصار^(٢).

وهناك ما يشير إلى أن النصوص الأخرى المتعلقة برسم الكلمات في المصحف التي أوردها الداني عن أبي عبيد منقولة من كتابه في القراءات، وهو مفقود، وقد نقل عدد من العلماء السابقين نصوصاً منه^(٣)، ومن النصوص المشهورة التي نقلها الداني في المقنع قوله: «.. حدثنا علي بن عبد العزيز، قال: حدثنا أبو عبيد القاسم بن سلام، قال: رأيت في الإمام مصحف عثمان بن عفان - استُخْرِجَ لي من بعض خزائن الأمراء، ورأيت فيه أثر دمه - في سورة البقرة..»^(٤)، ونقل علم الدين السخاوي في الوسيلة إلى كشف العقيلة هذا النص مع تغيير طفيف في بعض كلماته، حيث قال: «وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتابه في القراءات: رأيت المصحف الذي يقال له الإمام مصحف عثمان..»^(٥)، وبناء على هذا النص يمكن القول إن

(١) ينظر: المقنع ص ١٥٧ (فهرس الأعلام).

(٢) ينظر: المقنع ص ٢ و ٥ و ١٥ و ١١٠ و ١١١ و ١١٧ و ١١٩، وفضائل القرآن ص ٢٨٠ - ٢٨٥ و ٢٨٧ و ٣٢٨ - ٣٣٣.

(٣) ينظر عن العلماء الذين نقلوا من كتاب القراءات لأبي عبيد: بحث (أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي: حياته وجهوده في دراسة القراءات) مجلة كلية الشريعة - جامعة بغداد العدد التاسع ص ١٧٨ - ١٨٤.

(٤) المقنع ص ١٥.

(٥) الوسيلة ٨٢.

النصوص التي نقلها الداني في المقنع عن أبي عبيد وورد فيها أنه رأى في الإمام مصحف عثمان كذا وكذا، وهي غير موجودة في كتابه فضائل القرآن، أنه نقلها من كتابه في القراءات، إلا إذا تبين أن لأبي عبيد كتاباً في الرسم، وهو ما لا دليل عليه إلى الآن.

٣ - كتاب نُصَيْرِ بن يوسف النحوي في الرسم:

وكان ممن أخذ القراءة والرسم عن الكسائي نُصَيْرُ بن يوسف النحوي (ت ٢٤٠هـ)^(١)، وهو من أكابر أصحاب الكسائي حتى وُصِفَ بأنه صاحب الكسائي^(٢)، وقال الذهبي: «كان من الأئمة الحدّاق لا سيما في رسم المصحف، وله فيه مُصَنَّفٌ»^(٣)، ونقل عنه الداني في المقنع ثلاثة وعشرين موضعاً^(٤)، وفيها نصوص طويلة تتعلق باتفاق المصاحف واختلافها، وكذلك نقل عنه أبو داود سليمان بن نجاح في مختصر التبيين تسعة نصوص^(٥).

٤ - كتاب «هجاء المصاحف»، لمحمد بن عيسى الأصفهاني:

كان إماماً في القراءات والنحو (ت ٢٥٣هـ)، وصنّف كتاب الجامع في القراءات، وكتاباً في العدد، وكتاباً في الرسم^(٦)، سماه الداني «هجاء المصاحف»^(٧)، وهو أحد المصادر التي اعتمد عليها الداني في المقنع، ونقل عنه في واحد وخمسين موضعاً^(٨).

وجمّع محمد بن عيسى في كتابه في «هجاء المصاحف» روايات عن

(١) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ٤٢٧/١، وابن الجزري: غاية النهاية ٣٤٠/٢.

(٢) ينظر: أبو داود: مختصر التبيين ٦٦٤/٣.

(٣) معرفة القراء ٤٢٧/١.

(٤) ينظر: المقنع ص ١٦٠ (فهرس الأعلام).

(٥) ينظر: مختصر التبيين ١٣٧١/٥ (فهرس الأعلام).

(٦) تنظر ترجمته: معرفة القراء ٤٤٠/١، وغاية النهاية ٢٢٣/٢.

(٧) ينظر: المقنع ص ٢٣، وسماه ابن أبي داود في كتاب المصاحف «كتاب المصاحف والهجاء»، ينظر ٢٠٦/١ هامش ٨، وص ٢٢ من طبعة أثر جفري.

(٨) ينظر: المقنع ص ١٥٩ (فهرس الأعلام).

مؤلفات شيوخه أو مَنْ تقدّمهم، فروى فيه عن نُصَيْرِ بن يوسف النحوي^(١)، وعن علي بن حمزة الكسائي^(٢)، وأبي حفص الخَزَّاز^(٣)، ولم تشر كتب فهارس المخطوطات إلى وجود نسخة خطية من هذا الكتاب.

٥ - كتاب «اختلاف المصاحف»، لأبي حاتم سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ^(٤)، نقل منه الداني في مواضع عدة^(٥).

٦ - كتاب «اللطائف في جمع هجاء المصاحف»، لأبي بكر محمد بن الحسن، الشهير بابن مقسم العطار المتوفى سنة ٣٥٤هـ^(٦).

٧ - كتاب «علم المصاحف»، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد،

(١) ينظر: المقنع ص ٥١ و ٧٩ و ٨٣ و ٩٢، ومختصر التبيين ٤٦٩/٣ و ٩١٧/٤.

(٢) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢٧٨/١.

(٣) ذكره كل من الداني وأبو داود بكنيته ولقبه (أبو حفص الخَزَّاز)، ينظر: المقنع ص ٦٨ و ٧٠ و ٧٢، ومختصر التبيين ٦٤٨/٣ و ٤٦٤ و ٣٧٩.

وذهب محققو كتب رسم المصحف إلى أن كلمة (حفص) مُصَحَّفَةٌ عن (جعفر) وأن الصواب في اسمه حسب تقديرهم هو (أبو جعفر الخَزَّاز)، الذي ترجم له ابن الجزري في غاية النهاية ٨٦/١ - ٨٧ و سماه أحمد بن علي بن الفضل، أبو جعفر الخَزَّاز، المتوفى سنة ٢٨٦هـ، ينظر: المقنع ص ٧٠ هامش ١، ومختصر التبيين ٣/٤٦٤ هامش ٥، ومرسوم الخط لابن الأنباري ص ٤٢ هامش ٥، وهجاء مصاحف الأمصار للمهدوي ص ٤٦ هامش ١.

وترجح عندي أن ما ذهبوا إليه وَهْمٌ أَوْقَعَهُمْ فيه عدم ذكر اسم الخَزَّاز في كتب الرسم، وعثورهم على ترجمة للخَزَّاز في غاية النهاية، مع قرب رسم (جعفر) من (حفص)، فظنوا أنه هو المذكور، ينظر: عن هذا الموضوع والأدلة التي تؤكد ذلك: بحث (أبو حفص الخَزَّاز وجهوده في رسم المصحف) المنشور في العدد الثامن (المحرم ١٤٣٢هـ) من مجلة (قطر الندى) التي يصدرها مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث ص ٢ - ٢٩.

(٤) ينظر: الفهرست ص ٦٤، وورد في الفهرس الشامل «رسم المصحف» ص ٤٣٥ إشارة إلى وجود نسخة من الكتاب في مكتبة الدولة ببرلين ١٧٤/١ [450IV(3)] ضمن مجموع، ولم يتسن لي الوقوف عليه.

(٥) ينظر: المقنع ص ٥١ و ٦٦ و ٩٢ و ١٠٢ و ١١٢.

(٦) ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء ١٥٣/١٨، والجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٢٤٨.

أبو بكر الأصبهاني، المشهور بابن أشته المتوفى بمصر سنة ٣٦٠هـ^(١). قال المهدي في هجاء مصاحف الأمصار: «وقد جمعت في هذا الباب جميع ما روينا عن أئمتنا من خطوط المصاحف، مما أخذت بعضه من روايتنا من كتاب ابن أشته، وغيره من الكتب»^(٢). ولم يُسمِّ المهدي اسم الكتاب، وقال أبو بكر بن عبد الغني اللبيب في كتابه الدرّة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة: «واعلم أنني طالعت على هذا الشرح ثلاثين تأليفاً منها في الرسم عشرة: المقنع والمحكم والتحبير للداني، والمُحَبَّرُ لأبي بكر بن أشته، وكتاب علم المصاحف له...»^(٣)، وكلا الكتابين مفقود، ووصفت كتب التراجم والفهارس المحبر بأنه في القراءات^(٤)، وأكثر ما نَقَلَ اللبيب في الدرّة الصقيلة من رسوم كان من كتاب علم المصاحف لابن أشته^(٥)، ولعل المهدي كان ينقل من هذا الكتاب أيضاً^(٦).

٨ - كتاب «هجاء المصاحف»، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران النيسابوري، المتوفى سنة ٣٨١هـ^(٧).

(١) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ٦١٧/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١٨٤/٢.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار ص ١٠٥، وينظر: ص ٣٨ و ٧٣.

(٣) الدرّة الصقيلة ورقة ٣.

(٤) ينظر: ابن خبير: فهرسة ما رواة عن شيوخه ص ٢٤، والذهبي: معرفة القراء ٦١٧/٢، والبغدادي: هدية العارفين ٤٧/٢.

(٥) ينظر: الدرّة الصقيلة ٢٣ ظ، ٢٩، ٣٨، ٤٨، ٥٨ ظ، ٦٣، ٦٩، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢ ظ، ٨٤، ٨٨ ظ.

(٦) نقل الداني في المقنع عن أبي بكر محمد بن عبد الله الأصبهاني ص ١٩ و ٥٣ و ٨٣ و ٩٠ لكنه سماه في موضع آخر ص ٤١: محمد بن أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ولم يذكره بلقبه (ابن أشته)، ونقل في كتابه المحكم عن (محمد بن عبد الله الأصبهاني) في موضعين ص ٥ و ٢٠، ونقل عن (ابن أشته) في ثمانية مواضع سماه في واحد منها باسمه ص ٩ وهو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن أشته، ولم يذكر نسبه (الأصبهاني). والراجع أنهما شخص واحد، لكن الداني حين نقل من كتابه علم المصاحف لم يسمه باسم (ابن أشته)، وحين نقل من كتاب له في النقط سماه (ابن أشته)، والموضوع يحتمل تفصيلاً أكثر من هذا، والله أعلم.

(٧) نقل منه مؤلف كتاب الهجاء لمجهول، (تنظر: ورقة ٥، ٩، ١١، ١٦)، =

- ٩ - كتاب «السبل المعارف إلى رسم المصاحف»^(١)، لأبي محمد عبد الله بن سهل بن يوسف الأنصاري الأندلسي المتوفى سنة ٤٨٠هـ^(٢).
- ١٠ - كتاب «اللطائف في رسم المصاحف»^(٣)، لأبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني العطار، المتوفى سنة ٥٦٨هـ.

ثانياً: المؤلفات الجامعة الباقية:

بقي عدد من مؤلفات القرن الرابع الهجري المؤلفة في الرسم الجامعة لروايات علماء الرسم الأوائل الذين نظروا في المصاحف العثمانية، كما بقي عدد كبير من مؤلفات القرون اللاحقة، وأبرز ما تتميز به مؤلفات هذه المرحلة أن المؤلفين أخذوا يعتمدون على الكتب المؤلفة في الرسم في القرون الأولى أكثر من اعتمادهم على النظر في المصاحف العثمانية أو ما بقي منها، ونادراً ما نجد أحداً من المؤلفين المتأخرين يحتج بما ورد في المصاحف المخطوطة.

وقد لا يتسع المقام للتعريف بجميع المؤلفات الجامعة في الرسم التي ظهرت في القرن الرابع وما بعده، ومن ثم سوف أذكر هنا أشهر تلك المؤلفات، ثم أعرفُ بالمنظومات التي كُتبت في علم الرسم في المبحث اللاحق، إن شاء الله.

- ١ - كتاب «المصاحف»، لأبي بكر عبد الله بن سليمان السجستاني، الشهير بابن أبي داود، المتوفى سنة ٣١٦هـ^(٤).

= وأشار إليه ابن الجزري في النشر ١٢٨/٢.

(١) ذكر الليب في الدرّة الصقيلة أنه أحد مصادره (تنظر: ورقة ٢و).

(٢) تنظر ترجمته: ابن الجزري: غاية النهاية ٤٢١/١.

(٣) ذكره الجعبري في جميلة أرباب المراسد ص ٢٤٨، وأشار إليه ابن الجزري في النشر ١٢٨/٢.

(٤) طبع كتاب المصاحف عدة طبعات، منها:

١ - طبعة بتحقيق آثر جفري، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٦م - ١٣٥٥هـ.

٢ - طبعة بتحقيق د. محب الدين عبد السبحان واعظ، وزارة الأوقاف والشؤون =

ويتضمن الكتاب أبواباً عن كتابة القرآن وجمعه في الصحف، ونسخه في المصاحف، وروايات عن مصاحف الصحابة، وتجزئة المصاحف، وآداب كتابة المصحف وتحليلته، وورد فيه باب في رسم المصحف، رواه عن محمد بن عيسى الأصبهاني، عن نصير بن يوسف النحوي^(١)، كما ورد فيه باب عن نقط المصاحف روى أكثره عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني^(٢).

٢ - كتاب «إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ»، لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٧هـ)، تحدث فيه عن رسم المصحف في ثلاثة أبواب: باب الحذف، وباب هاءات التأنيث المرسومة تاء، وباب الفصل والوصل^(٣)، ونقل الداني أكثر مادة هذه الأبواب في المقنع^(٤).

وذكر ابن النديم كتابين آخرين لابن الأنباري لهما صلة بالرسم، وهما كتاب «الرد على من خالف مصحف عثمان ﷺ»، وكتاب «الهجاء»^(٥)، ولم يعين ابن النديم هل هو في هجاء المصاحف، أو هو في الهجاء بعامة.

٣ - كتاب «هجاء مصاحف الأمصار»، لأبي العباس أحمد بن عمار المهدي (ت نحو ٤٤٠هـ)^(٦).

= الإسلامية، قطر ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، وأعدت طبعه دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، وهي المعتمدة في هذا الكتاب.

٣ - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م.

٤ - طبعة بتحقيق محمد بن عبده، دار الفاروق ٢٠٠٢م.

٥ - طبعة بتحقيق سليم بن عيد الهلالي، مؤسسة غراس للنشر، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(١) ينظر: كتاب المصاحف ١/ ٤٢٤ - ٤٥٨.

(٢) ينظر: كتاب المصاحف ٢/ ٥٣٠ - ٥٤١.

(٣) ينظر: إيضاح الوقف ١/ ٢٥٦ و ٢٨١ و ٣١٢، وطُبع كتاب (مرسوم الخط) منسوباً لابن الأنباري، بتحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ. وهناك شك في صحة نسبته إليه.

(٤) ينظر: المقنع ٣٠ و ٦٨ و ٧٧.

(٥) الفهرست ص ٨٢.

(٦) نشره أولاً محيي الدين رمضان عبد الرحمن، في مجلة معهد المخطوطات العربية، =

وهو كتاب مرتب على الأبواب يغلب عليه الاختصار، تحدث فيه المهدوي عن أبرز موضوعات الرسم، مثل رسم هاء التانيث تاء، والموصول والمفصول من الكلمات في المصحف، وما رُسمَ من الألفات ياء، وما يتعلق برسم الهمزة، وما جاء فيه من الزيادة والحذف، والحروف التي اختلفت فيها المصاحف، وصرَّح المهدوي بالمصادر التي أخذ منها مادته في عدد من المواضع^(١)، ولا يخلو ما كتبه المهدوي من تعليل للرسم^(٢).

ورجح الدكتور حازم سعيد حيدر، محقق كتاب شرح الهداية للمهدوي، أن يكون كتاب هجاء مصاحف الأمصار فصلاً أو باباً من أحد كتب المهدوي المفقودة^(٣)، وفي الكتاب إشارات تدل على ذلك^(٤).

٤ - كتاب «البديع في معرفة ما رُسمَ في مصحف عثمان رضي الله عنه»، لمحمد بن يوسف بن معاذ الجهني الأندلسي (ت ٤٤٢هـ)^(٥)، وهو رسالة مختصرة مرتبة على الأبواب، منها المقطوع والموصول، وما رُسمَ بالتاء من هاءات التانيث، وعدد من الأبواب في رسم الهمزة، وما يتعلق بحروف العلة الثلاثة من حذف وبدل وزيادة.

ولم يَنْصَحْ الجهني على مصادره إلا نادراً^(٦)، وصرَّح بالنقل عن أبي عمرو الداني في موضعين، ذكر في أحدهما كتاب التحبير^(٧).

= الجزء الأول من المجلد التاسع، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. وأعاد نشره الدكتور حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي ١٤٣٠هـ.

(١) ينظر: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٢ و ٥٣ و ٥٤ و ١٠٥.

(٢) ينظر: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٠ و ٤٩ و ٥٥ و ٦٧.

(٣) ينظر: شرح الهداية ص ٩٥.

(٤) ينظر: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٢ حيث قال: «وقد قدمنا القول في ذلك في أبواب الهمز»، وليس في الكتاب أبواب للهمز، وتنظر: ص ٦٧.

(٥) مطبوع بتحقيقي، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، وطبع في دار الصحابة للتراث بطنطا، بتحقيق د. حمدي سلطان حسن أحمد العدوي، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٦م.

(٦) ينظر: البديع ص ٢٤ و ٣٣ و ٣٦ و ٦٧.

(٧) ينظر: البديع ص ٢٤ و ٣٣.

٥ - «المُفَنِّع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار»، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، رَتَّبَهُ على الأبواب، وهو من أهم كتب رسم المصحف وأشهرها، ضَمَّنَهُ أبواباً عن جَمْعِ القرآن ونَسَخِ المصاحف، ثم أبواباً في الرسم، واختلاف المصاحف، وختمه بمختصر في النقط والشكل، ونص فيه على المصادر التي نقل منها مادته، وأشار إلى رجوعه إلى عدد من المصاحف المخطوطة في زمانه، وطبعات الكتاب كثيرة^(١).

٦ - «مختصر التبيين لهجاء التنزيل»، لأبي داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ) وهو تلميذ أبي عمرو الداني، جَرَّدَهُ من كتابه المسمَّى «التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان»^(٢)، ورَتَّبَهُ على السور، وهو من أكبر كتب رسم المصحف، اعتمد فيه على كتاب المقنع لأبي عمرو الداني، وغيره من كتب الرسم المعروفة في زمانه^(٣).

٧ - «المختصر في مرسوم المصحف الكريم»، لأبي طاهر إسماعيل بن ظافر العقيلي (ت ٦٢٣هـ)، وهو كتاب مختصر بدأه بأبواب قصيرة في الرسم، ثم ذكر الرسوم على ترتيب المصحف، وختمه بفصل عن اختلاف المصاحف، وآخر في النقط^(٤).

٨ - «الجامع لِمَا يُحْتَاجُ إليه من رسم المصحف»، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن وثيق الأندلسي (ت ٦٥٤هـ)، جعله في قسمين: الأول في

(١) طُبِعَ في إستانبول بتحقيق أوتو برتزل سنة ١٩٣٢م، ودمشق بتحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان سنة ١٩٤٠م، وفي القاهرة بتحقيق الشيخ محمد صادق قمحاوي سنة ١٩٧٨م، وفي الرياض بتحقيق نورة بنت حسن بن فهد الحميد سنة ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

(٢) ينظر: مختصر التبيين ٣/١.

(٣) طُبِعَ في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في خمسة أجزاء، بتحقيق الدكتور أحمد بن محمد بن معمر شرشال ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) طُبِعَ بتحقيقي في دار عمار بعمان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، وطُبِعَ بتحقيق الدكتور محمد بن عمر الجنائني بعنوان (مرسوم خط المصحف) بتمويل من الهيئة القطرية للأوقاف ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

خمسة فصول ضَمَّنَهَا أصول الرسم، والثاني ذكر فيه الرسوم على ترتيب المصحف، وختمه بفصل عن النقط والشكل^(١).

* * *

واتبع مؤلفو هذه الكتب أحد منهجين في وصف الرسوم في المصاحف، وهما:

المنهج الأول: عَرَضُ الرسوم في أبواب، كل باب يتضمن أحد الموضوعات، كما نجد ذلك في كتاب «المقنع» للداني، وكتاب «هجاء مصاحف الأمصار» للمهدوي.

المنهج الثاني: ذَكَرُ الرسوم في مواضعها من السور على ترتيب المصحف، كما نجد ذلك في كتاب «مختصر التبيين لهجاء التنزيل» لأبي داود سليمان بن نجاح الأندلسي، وكتاب «المختصر في رسوم المصحف الكريم» لأبي طاهر إسماعيل بن ظافر العقيلي إلى حد ما، وكثيراً ما يورد المؤلفون الذين يتبعون هذا المنهج أمثلة الظاهرة في الموضع الأول منها.

وَجَمَعَ بعض المؤلفين بين المنهجين في كتاب واحد، كما فعل إبراهيم بن محمد بن وثيق الأندلسي في كتابه «الجامع لما يُحْتَاجُ إليه من رسم المصحف»، فعقد خمسة فصول في أول الكتاب عرض فيها الرسوم مبنوية، ثم ذكرها على ترتيب المصحف بعد ذلك.

ويصعب تقديم قائمة كاملة بكتب رسم المصحف في مثل هذا المقام، وذلك لكثرة المؤلفات في الرسم في مختلف العصور، فهناك كتب أخرى كثيرة، منها ما هو مفقود، ومنها ما هو منخطوط، ومنها ما هو مطبوع، يطول المقام بتتبع ذكرها^(٢)، ولكن ينبغي الإشارة إلى عدد من تلك المؤلفات لأهميتها، فبعد أن نظم الشاطبي منظومته «عقيلة أتراب القصائد»، والخراز

(١) طُبِعَ بتحقيقي في بغداد ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، وفي عمان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر في أسماء تلك المؤلفات: مختصر التبيين ١٧٥/١ - ١٩٩، وسفير العالمين ١/

٦٦ - ١٠٦، ومقدمة تحقيق كتاب «إرشاد القراء والكتابين» ٢٨/١ - ٦٠.

منظومته «مورد الظمان» اشتغل علماء الرسم بشرح القصيدتين، على نحو ما سنشير إلى ذلك في المبحث الآتي، لكن من علماء الرسم من استقل عنهما بالتأليف في رسم المصحف، ومن تلك المؤلفات:

١ - كتاب «كشف الأسرار في رسم مصاحف الأمصار»، لمحمد بن محمود بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٧٨٠هـ^(١).

٢ - «جامع الكلام في رسم مصحف الإمام»، له نسخ خطية كثيرة^(٢)، نُسبَ في بعضها إلى مؤمن بن علي الفلكآبادي المتوفى سنة ٧٩٩هـ^(٣).

ومن المؤلفات المفيدة في الرسم التي أُلِّفَت في القرنين الأخيرين:

١ - «نثر المرجان في رسم نظم القرآن»، تأليف محمد غوث بن ناصر الدين محمد النائطي الأركاتي، المتوفى سنة ١٢٣٨هـ^(٤)، في سبعة مجلدات. وهو مطبوع بمدينة حيدر آباد الدكن، سنة ١٣٣٢ - ١٣٣٩هـ، وقام مركز جمعة الماجد بنشر نسخة إلكترونية منه مؤخراً.

اعتنى فيه مؤلفه بذكر كل كلمة في المصحف، على ترتيب السور، وبيان ما فيها من القراءة والرسم والإعراب والصرف والتوجيه، فهو موسوعة جامعة، لكن للرسم فيه الصدارة، ومما يتميز به هذا الكتاب ذكر المصادر التي اعتمد عليها المؤلف، ولفتت نظري فيه ثلاثة مصادر لم تكن معروفة أو مشهورة من قبل، تكرر ذكرها في معظم صفحات هذه الموسوعة، وهي:

أ - خزانة الرسوم، ويسميه أحياناً بالخزانة اختصاراً^(٥).

ب - خلاصة الرسوم، ويسميه أحياناً بالخلاصة اختصاراً^(٦).

(١) له نسخ خطية متعددة، ينظر: الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط

(المصاحف المخطوطة ومخطوطات رسم المصحف ص ٤٧٠).

(٢) ينظر: الفهرس الشامل المذكور في الهامش السابق ص ٤٤٣.

(٣) تنظر ترجمته: غاية النهاية ٢/ ٣٢٤.

(٤) ينظر: الفهرس الشامل «رسم المصحف» ص ٤٨٠.

(٥) ينظر: نثر المرجان ١٢/١ و ٣٣ و ٩٧ و ١٠١ و ١٠٧ وغيرها.

(٦) ينظر: نثر المرجان ١٣/١ و ٣٣ و ٩٧ و ١٠١ و ١٠٧ وغيرها.

ولم يصرح باسم مؤلِّفِي الكتابين، وذكَّرَ في الفهرس الشامل (الجزء الخاص برسم المصحف) وجود نسخة من (خزانة الرسوم) منسوبة إلى خواجه محمد معصوم بن مُلا محمد رحيم، ونسخة من (خلاصة الرسوم) منسوبة إلى عثمان ابن حافظ طالقاني^(١)، وسَمَّاهُ حاجي خليفة (عثمان ابن الحافظ عبد الرحمن الطالقاني)^(٢).

ج - مصحف ابن الجزري، قال مؤلفه: «واعلم أني عمدت في استخراج ما أحرَّرُ في هذا الكتاب على الكتب المعتمدة، ومنها المقنع... ومنها المصحف الذي كتبه الفاضل طاهر بن عرب بن إبراهيم الحافظ الأصفهاني^(٣)، نقله من نسخة صَحَّحَهَا أستاذه شيخ الإسلام الجزري، واستكتبه أبو الخير محمد ابن شيخ الإسلام الجزري، ووصل ذلك المصحف إلينا عارية من خزانة أمير الوقت عظيم الدولة والجاه وفقه الله لما يحبه ويرضاه، وحيث ما أقول مصحف الجزري فالمراد به ذلك المصحف»^(٤).

٢ - «إرشاد القراء والكتاتيب إلى معرفة رسم الكتاب المبين»، تأليف الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان الشهير بالمخللاتي (ت ١٣١١هـ)^(٥).

٣ - «سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين»، تأليف الشيخ علي محمد الضباع، وقد طبع عدة طبعات^(٦).

وظهرت دراسات حديثة عن رسم المصحف، تتناول بالدراسة أصوله،

(١) الفهرس الشامل «رسم المصحف» ص ٤٤٦. وتحفظ مكتبة تونك بالهند بنسخة من (خزانة الرسوم) في ٩٢ ورقة، وتحفظ الأكاديمية الأزبكية في طشقند بنسخة من (خلاصة الرسوم) في ١٢٨ ورقة.

(٢) كشف الظنون ١/ ٤٣٠.

(٣) وردت له ترجمة في غاية النهاية ١/ ٣٣٩ - ٣٤١.

(٤) نثر المرجان ١/ ١٨.

(٥) حققه عمر بن مالم أبه حسن المراطي، وطُبع في جزئين، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٦) منها طبعة بتحقيق د. أشرف محمد فؤاد طلعت: سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحرير سميير الطالبين، مكتبة الإمام البخاري الإسماعيلية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

ومصادره، وظواهره، ووجوب الالتزام به في طباعة المصحف، منها:

- ١ - رسم المصحف ونقطه، تأليف الدكتور عبد الحي حسين الفرماوي.
- ٢ - رسم المصحف: دراسة لغوية تاريخية، لمؤلف هذا الكتاب.
- ٣ - رسم المصحف وضبطه بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، تأليف الدكتور شعبان محمد إسماعيل.

وليس الهدف من ذكر ما تقدم من مصادر رسم المصحف حصر جميع المؤلفات، فذلك مما يصعب تحقيقه في مثل هذا الكتاب، ولكنني قصدت إلى التعريف بأهم مصادر الرسم، والتعرف على مناهج المؤلفين، ومذاهبهم في تفسير ظواهر الرسم، ومن ثم فإنه ليس من الصعب الاستدراك على ما ذُكِرَ من المؤلفات.

إن المؤلفات التي مرَّ ذكرها في هذا المبحث، وكثير منها موجود بين أيدينا، قد أعطت علم الرسم شكله المكتمل من حيث المادة العلمية، حتى إن الدارس ليتمكن كتابة المصحف بالرسم العثماني بالاعتماد على ما ورد فيها من وصف لرسم المصاحف العثمانية الأولى، مصداق ذلك ما نجده في خاتمة عدد من المصاحف المطبوعة اليوم، مثل المصحف الأميري الذي صدر في القاهرة ومصحف المدينة النبوية، من النص على أن المصحف أُخِذَ هجاءه مما قرره علماء الرسم، وفي مقدمتهم الداني وتلميذه أبو داود سليمان بن نجاح.

ويلفت نظر الدارس عند النظر في قائمة المؤلفات التي كُتِبَتْ في رسم المصحف تعدد البلدان التي ظهرت فيها تلك المؤلفات، فمنها مشرقية، ومنها مغربية، ومنها متقدمة التأليف، ومنها متأخرة، ويعكس ذلك اهتمام علماء المسلمين في شتى بقاعهم وأزمانهم بعلم رسم المصحف، وكان لأهل الأندلس دور بارز في علم رسم المصحف، كما كانت لهم باع طويلة في علوم القرآن الأخرى، وكانت لعلماء المسلمين في الهند جهود متميزة في هذا المجال أيضاً، ويتمثل ذلك في كتاب «نثر المرجان في رسم نظم القرآن» الذي يمثل أكبر موسوعة في علم رسم المصحف، فهو في سبعة مجلدات، لا يقل عدد صفحات المجلد الواحد عن ست مئة صحيفة!

خلاصة

- ١ تطور التأليف في رسم المصحف بعد القرن الثاني، وجمع المؤلفون ما أخذوه عن شيوخهم إلى ما نقلوه هم من المصاحف التي اطلعوا عليها.
- ٢ من أشهر مؤلفات الرسم الجامعة المفقودة: كتاب الغازي بن قيس، وأبي عبيد، ونصير، ومحمد بن عيسى الأصفهاني، وأبي حاتم، وابن مقسم، وابن أشتة، وابن مهران.
- ٣ من أهم المؤلفات القديمة الباقية في رسم المصحف كتاب «المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار» لأبي عمرو الداني.
- ٤ يتميز كتاب المقنع للداني بجمع المادة العلمية في مؤلفات الرسم الأولى، إلى جانب ما لاحظته مؤلفه في المصاحف التي اطلع عليها.
- ٥ من أوسع المؤلفات القديمة في الرسم كتاب «مختصر التبيين لهجاء التزليل» لأبي داود سليمان بن نجاح الأندلسي.
- ٦ من الكتب القديمة المختصرة في الرسم: المختصر لأبي طاهر العقيلي، والجامع لابن وثيق.
- ٧ اعتمد المؤلفون في رسم المصحف أحد منهجين في تأليف كتبهم، الأول: ترتيبها على أبواب حسب الموضوعات، كما فعل الداني في المقنع، والثاني: ذكر الرسوم على ترتيب السور في المصحف، كما فعل أبو داود في مختصر التبيين، وجمع ابن وثيق بين الطريقتين في كتابه الجامع.
- ٨ من الكتب المتأخرة في الرسم: كشف الأسرار للسمرقندي، وجامع الكلام لمؤمن بن علي الفلكيادي.

- ٩ من أشهر الكتب المتأخرة في رسم المصحف كتاب «نثر المرجان في رسم نظم القرآن» لمحمد غوث النائطي الآكاتي الهندي.
- ١٠ استمر التأليف في علم رسم المصحف في العصر الحديث، وتنوعت مناهج المؤلفين، والموضوعات التي تناولوها في كتبهم.

أسئلة تقويمية

- ١ من أين جمع المؤلفون في الرسم بعد القرن الثاني مادة كتبهم؟
- ٢ ما أشهر مؤلفات الرسم الجامعة المفقودة؟
- ٣ اذكر أهم مؤلفات الرسم الجامعة التي ترجع إلى القرن الرابع والخامس؟
- ٤ بم يتميز كتاب «المقنع» للداني؟
- ٥ كيف رتّب الداني موضوعات كتابه «المقنع»؟
- ٦ كيف رتّب أبو داود سليمان بن نجاح موضوعات كتابه «مختصر التبيين»؟
- ٧ كيف رتّب ابن وثيق موضوعات كتابه «الجامع»؟
- ٨ اذكر أشهر مناهج المؤلفين في رسم المصحف؟
- ٩ من مؤلف كتاب «نثر المرجان»، وبم يتميز هذا الكتاب؟
- ١٠ ما أشهر الكتب المؤلفة في علم الرسم في العصر الحديث؟

المبحث الرابع

المؤلفات المنظومة في الرسم



يلجأ العلماء إلى نظم العلوم لتسهيل حفظها على المتعلم، وتتسم أكثر المنظومات بالإيجاز فتحتاج إلى الشرح والتفسير، وقد نظم علماء رسم المصحف عدداً كبيراً من المنظومات، وليس من اليسير الآن تحديد أول منظومة فيه، أو حصر جميع تلك المنظومات، وسأقتصر على ذكر المشهور منها، وهي:

١ - المُنْصِفُ، أرجوزة في هجاء المصاحف، نظمُ أبي الحسن علي بن محمد المرادي البلنسي^(١)، فرغ من نظمها سنة ٥٦٣هـ، كما أشار إلى ذلك في قوله فيها^(٢):

(١) ترجم له ابن الأبار في كتاب (التكملة لكتاب الصلة ٣/٢١٠ - ٢١١) ترجمة موجزة أشار فيها إلى كتابه «المنصف»، لكنه لم يذكر سنة وفاته، وترجم له المراكشي في كتابه (الذيل والتكملة ١/٥ - ٤٠٣ - ٤٠٤)، ونقل أنه قال في الرجز الذي نظم فيه فصيح ثعلب:

فَكُمِّلَ الْمَنْظُومُ فِي شَعْبَانِ سَنَةَ سَبْعَ عَدَدٍ ذِي بِيَانِ
مِنَ السَّنِينَ بَعْدَهَا سِتِّينَا مِنْ بَعْدِهَا خَمْسٌ مِنَ الْوَيْيَانِ

والتبس على بعض الدارسين مؤلف «المنصف»، فنسبوه إلى أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي المتوفى سنة ٥٦٤هـ، الذي ترجم له ابن الأبار في التكملة ٣/٢٠٣ - ٢٠٤، والمراكشي في الذيل والتكملة ١/٥ - ٣٦٩ - ٣٧٢، والذهبي في معرفة القراء ٢/٩٩٠، وابن الجزري في غاية النهاية ١/٥٧٣، وهو صاحب أبي داود سليمان بن نجاح، وصرَّح بعضهم بأن «المنصف» نظم لكتاب التنزيل لأبي داود، ينظر: المخملات: إرشاد القراء والكاتبين (قسم الدراسة ١/٣٦)، والضباع: سمير الطالبين (قسم الدراسة المسمى سفير العالمين ١/٦٨). وكُلُّ ذَلِكَ وَهْمٌ أَوْعَع الدارسين فيه تشابه الاسمين، وعدم الترجمة للمرادي في معرفة القراء وغاية النهاية.

(٢) نقل البيهقي المراكشي في كتاب الذيل والتكملة (١/٤٠٣).

أَكْمَلْتُهُ فِي النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَا فَظَهَرَ الْفَضْلُ فِيهِ وَيَانَا
عَامَ ثَلَاثَةِ إِلَى سِتِّينَا مِنْ بَعْدِهَا خَمْسٌ مِنَ الْمِئِينَا
ونقل منه الخَرَّازُ في منظومته «مورد الظمآن» بعض الحروف، وأشار إلى ذلك في قوله:

٢٨ - وربما ذكرتُ بعضَ أحرفٍ مما تَصَمَّنَ كِتَابُ الْمُنْصِفِ
٢٩ - لِأَنَّ مَا نَقَلَهُ مَرْوِيُّ عَنْ ابْنِ لُبٍّ وَهُوَ الْقَيْسِيُّ
٣٠ - وَشَيْخُهُ مُؤْتَمَنٌ جَلِيلٌ وَهُوَ الَّذِي ضَمَّنَ إِذْ يَقُولُ
٣١ - حَدَّثَنِي عَنْ شَيْخِهِ الْمَغَامِيِّ ذِي الْعِلْمِ بِالتَّنْزِيلِ وَالْأَحْكَامِ

يريد الخَرَّازُ أن ما ذكره المرادي في المُنْصِفِ نقله عن علي بن محمد بن لُبِّ القيسي^(١)، عن شيخه المغامي، وهو محمد بن عيسى بن فرج، أبو عبد الله التجيبي المغامي الطليطلي المتوفى سنة ٤٨٥هـ، صاحب أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ^(٢).

وقال المارغني معلقاً على قول الخراز: «أخبر أنه ذَكَرَ بِقَلَّةٍ فِي هَذَا الرَّجْزِ بَعْضَ أَحْرَفٍ؛ أَي: كَلِمَاتٍ مِنَ الْمَرْسُومِ الَّذِي تَضَمَّنَهُ وَاحْتَوَى عَلَيْهِ الْكِتَابُ الْمَسْمُومُ الْمُنْصِفِ، وَجَمَلَةٌ مَا ذَكَرَهُ مِنْهُ نَحْوُ اثْنَيْ عَشَرَ مَوْضِعاً، وَالْقَصْدُ مِنْ ذِكْرِهَا بَيَانُ انْفِرَادِ مُؤَلِّفِهِ بِهَا، وَإِنَّمَا اقْتَصَرَ النَّازِمُ عَلَيْهَا وَسَكَتَ عَنْ غَيْرِهَا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ صَاحِبُ الْمُنْصِفِ؛ لِأَنَّ تِلْكَ الْمَوَاضِعَ اشْتَهَرَتْ فِي زَمَنِ النَّازِمِ دُونَ بَقِيَّةِ مَا انْفَرَدَ بِهِ»^(٣).

(١) وهو علي بن محمد بن لُبِّ بن سعيد القيسي المقرئ الشهيد، أبو الحسن، يعرف بالباغي، نسبة إلى باغة من دانية، وسكن إشبيلية، ترجم له ابن الأبار في كتاب التكملة (٣/ ١٨٨ - ١٨٩)، وذكر أنه روى عن أبي عبد الله المغامي وأبي داود المقرئ، وأقرأ وحَدَّثَ وكان إماماً في صلاة الفريضة بمسجد ابن بشير، وممن أخذ عنه ابن خير الإشبيلي، وأجاز له في ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وخمس مئة، واستشهد بعد ذلك، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ينظر أيضاً في ترجمته: المراكشي: الذيل والتكملة ١/٥ / ٣٨٧.

(٢) ترجم له الذهبي في معرفة القراء ٢/ ٨٤٦، وابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ٢٢٤.

(٣) دليل الحيران ص ٣٠.

وَحَفِظْتُ لَنَا الْمَصَادِرَ عِدَدًا مِنْ آيَاتِ أَرْجُوزَةِ الْمُنْصَفِ، وَهِيَ قَوْلُهُ (١):
 وَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ الْعُمَرََا مُنْصَرِمًا بَلَغْتُ نَفْسِي عُذْرًا
 فِي رَجَزٍ قَصِدْتُ فِيهِ الْكُشْفَا عَنْ اتِّبَاعِ الرَّسْمِ حَرْفًا حَرْفًا
 دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ عَلَى الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 إِذْ كُنْتُ قَدْ أَخَذْتُهُ رِوَايَةً عَنْ ابْنِ لُبِّ بْنِ ذَوِي الدَّرَايَةِ
 وَكَانَ شَيْخًا خُصَّ بِالِاتِّقَانِ فِي عَصْرِهِ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ
 حَدَّثَنِي عَنْ شَيْخِهِ الْمَغَامِي ذِي الْعِلْمِ بِالتَّنْزِيلِ وَالْأَحْكَامِ
 وَكُلُّ مَا ذَكَرْتُهُ فَعَنْهُ أَخَذْتُهُ مِمَّا اسْتَفَدْتُ مِنْهُ

٢ - عَقِيلَةُ أَتْرَابِ الْقِصَائِدِ فِي أُسْنَى الْمَقَاصِدِ، نَظَّمُ الْإِمَامَ الْقَاسِمَ بْنَ
 فَيْرَةَ الشَّاطِبِيَّ الْمَتُوفَى سَنَةَ ٥٩٠هـ (٢)، نَظَّمَ فِيهَا كِتَابَ «الْمَقْنَعِ فِي مَعْرِفَةِ مَرْسُومِ
 مَصَاحِفِ أَهْلِ الْأَمْصَارِ» لِلدَّانِي، وَهِيَ فِي مِثْتَيْنِ وَثَمَانِيَةِ وَتَسْعِينَ بَيْتًا،
 مَطْلَعُهَا (٣):

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُوَصُولًا كَمَا أَمْرًا مُبَارَكًا طَيِّبًا يَسْتَنْزِلُ الدَّرَارَا
 وَقَالَ فِي الْبَيْتِ الْخَامِسِ وَالْأَرْبَعِينَ:

وَهَاكَ نَظْمٌ الَّذِي فِي مُقْنِعٍ عَنِ أَبِي عَمْرٍو وَفِيهِ زِيَادَاتٌ فَطَبَّ عُمُرَا
 وَحَظِيَّتْ هَذِهِ الْقِصِيدَةُ بِعِنَايَةِ الْعُلَمَاءِ، مِثْلَمَا حَظِيَّتْ أُخْتَهَا (حَرَزُ الْأَمَانِي)
 الَّتِي نَظَّمَ فِيهَا الشَّاطِبِيُّ كِتَابَ «التَّيْسِيرِ فِي الْقِرَاءَاتِ السَّبْعِ» لِلدَّانِي بِعِنَايَتِهِمْ،
 فَشَرَحَهَا عِدَدٌ مِنْهُمْ، وَمِنْ أَشْهُرِ شُرُوحِهَا شَرْحُ عِلْمِ الدِّينِ السَّخَاوِيِّ (ت ٦٤٣هـ)
 الْمَسْمُومِي «الْوَسِيلَةَ إِلَى شَرْحِ الْعَقِيلَةِ» (٤)، وَشَرْحُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرِو الْجَعْبَرِيِّ
 (ت ٧٣٢هـ)، الْمَسْمُومِي «جَمِيلَةَ أَرْبَابِ الْمَرَاصِدِ فِي شَرْحِ عَقِيلَةِ أَتْرَابِ

(١) ينظر: الرجراجي: تنبيه العطشان ص ١٩٢، والمارغني: دليل الحيران ص ٣١، وأبو داود: مختصر التبيين (الدراسة ١/١٧٩).

(٢) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ٣/١١١٠، وابن الجزري: غاية النهاية ٢/٢٠.

(٣) عقيلة أتراب القصائد ص ١.

(٤) مطبوع بتحقيق الدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري، مكتبة الرشد، ط ٣،

الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

القصائد»^(١)، وغيرهما كثير^(٢).

٣ - «مورد الظمان في رسم القرآن»، نظم أبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخزاز (ت ٧١٨هـ)^(٣)، ومطلعها:

١ - الحمد لله العظيم المنن ومُرْسِلِ الرُّسُلِ بأهدى سَنَنِ
وعدد أبياتها ٤٥٤ بيتاً، كما نصَّ على ذلك في آخرها^(٤)، وقال في بيان

مصادره فيها:

- | | |
|--|---|
| ٢١ - وَوَضَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ كُتُبًا | كُلُّ يُبِينُ عَنْهُ كَيْفَ كُتِبَا |
| ٢٢ - أَجْلُهَا فَاعْلَمْ كِتَابُ الْمَقْنَعِ | فَقَدْ أَتَى فِيهِ بِنَصِّ مُقْنَعِ |
| ٢٣ - وَالشَّاطِئِيُّ جَاءَ فِي الْعَقِيلَةِ | بِهِ وَزَادَ أَحْرَفًا قَلِيلَهُ |
| ٢٤ - وَذَكَرَ الشَّيْخُ أَبُو دَاوُدَا | رِسْمًا بِتَنْزِيلٍ لَهُ مَزِيدَا |
| ٢٥ - فَجِئْتُ فِي ذَاكَ بِهَذَا الرَّجَزِ | لَخَّصْتُ مِنْهُنَّ بِلَفْظٍ مُوجَزِ |
| ٢٦ - وَفَوْقَ قِرَاءَةِ أَبِي رُوَيْمِ | الْمَدَنِيِّ ابْنِ أَبِي نَعِيمِ |
| ٢٧ - حَسْبَمَا اشْتَهَرَ فِي الْبِلَادِ | بِمَغْرِبٍ لِحَاضِرٍ وَبَادِ |
| ٢٨ - وَرَبَّمَا ذَكَرْتُ بَعْضَ أَحْرَفِ | مِمَّا تَضَمَّنَ كِتَابُ الْمَنْصَفِ ^(٥) . |

وَشَرِحْتُ هَذِهِ الْمَنْظُومَةَ شَرْوحًا كَثِيرَةً^(٦)، منها:

أ - التبيان في شرح مورد الظمان، لأبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بابن آجطا (ت ٧٥٠هـ)^(٧).

- (١) مطبوع بتحقيق الدكتور محمد الزوبعي، دار الغوثاني، دمشق ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- (٢) ينظر: حاجي خليفة: كشف الظنون ١١٥٩/٢ والفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط «رسم المصحف» ص ٢٩ - ٣٢.
- (٣) تنظر ترجمته: ابن الجزري: غاية النهاية ٢/٢٣٧، والمارغني: دليل الحيران ص ٥.
- (٤) ينظر: مورد الظمان ص ٤١.
- (٥) مورد الظمان ص ٥ - ٦.
- (٦) ينظر: محمد المختار ولد أباه: تاريخ القراءات في المشرق والمغرب ص ٥٠٤ - ٥٠٩، وابن آجطا: التبيان في شرح مورد الظمان (الدراسة) ص ١٣٠ - ١٣٩، والرجراجي: تنبيه العطشان (الدراسة ص ٢٥ - ٢٦).
- (٧) حققه عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي (من أول الكتاب إلى نهاية مباحث =

ب - تنبيه العطشان على مورد الظمآن، لأبي علي حسين بن علي الرَّجْرَجِيِّ الشُّوشَاوِيِّ (ت ٨٩٩هـ) (١).

ج - فَتْحُ الْمَنَانِ الْمَرْوِيِّ بمورد الظمآن، لأبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري (ت ١٠٤٠هـ)، وهو من الشروح الجليلة المشهورة (٢).

ولابن عاشر الأنصاري رجز كَمَّلَ به مورد الظمآن، سماه «الإعلان بتكميل مورد الظمآن»، في ستة وأربعين بيتاً، ضَمَّنَهُ بقايا خلافيات المصاحف في الحذف وغيره، مما يحتاج إليها من تَحَطَّى قراءة نافع إلى غيرها من سائر قراءات الأئمة السبعة، أولها (٣):

بِحَمْدِ رَبِّهِ ابْتَدَأَ ابْنُ عَاشِرٍ مُصَلِّياً عَلَى النَّبِيِّ الْحَاشِرِ
هَآكْ زَائِدٍ بِمَوْرِدٍ تَفِي بِالسَّبْعِ مَعَهُ مِنْ خِلَافِ الْمَصْحَفِ
د - دليل الحيران شرح مورد الظمآن، لإبراهيم بن أحمد المارغني (ت ١٣٤٩هـ) (٤).

٤ - «روضة الطرائف في رسم المصاحف»، نظم إبراهيم بن عمر الجَعْبَرِيُّ المتوفى سنة ٧٣٢هـ، وهي قصيدة لامية في ٢١٨ بيتاً، مطلعها:

اللَّهُ أَحْمَدُ عَلَامُ الْغُيُوبِ عَلَى آثِهِ حَمْدَ رَاجِي الْعَفْوِ مُبْتَهَلًا
ونظم فيها الجعبري ما تضمنته العقيلة وزاد عليها بعض المسائل، وإلى ذلك أشار بقوله فيها:

١١ - لَامِيَةٌ عَدَبْتُ فِي عَقْدِهَا نَظْمَتْ رَائِيَةً وَرَبَّتْ مَسَائِلًا مُثَلًّا

= الحذف في الرسم) رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية القرآن الكريم ١٤٢١ - ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١ - ٢٠٠٢م.

(١) حققه محمد سالم حرشة (من أول الكتاب إلى باب حذف الياء في القرآن الكريم) رسالة ماجستير، جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم/ ترهونة ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م.

(٢) ينظر: الرجراجي: تنبيه العطشان (الدراسة) ص ٢٥، وغانم قدوري الحمد: رسم المصحف، ص ١٨٢، وأشرف محمد فؤاد طلعت: سفير العالمين ١/ ٨٥.

(٣) ينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٤٤٧.

(٤) مطبوع بدار القرآن، القاهرة ١٩٧٤م بمراجعة الشيخ عبد الفتاح القاضي.

وُطِبَتْ ضمن (مجموعة مهمة في التجويد والقراءات والرسم وعد الآي)^(١).
 ٥ - «المحتوي الجامع رَسَمَ الصحابة وَضَبَطَ التابع»، أرجوزة من نظم الطالب عبد الله بن الشيخ محمد أمين الجكني الشنقيطي (ت في حدود ١٣٥٠هـ)، مطلعها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَسَمَ الْكِتَابَ وَضَبَطَهُ عَلَّمَنَا بِلَا عَتَابٍ
 وَشَرَحَتْ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةُ شَرْحاً كَثِيراً، ابتدأها ناظمها بشرحه المسمى
 «الإيضاح الساطع على المحتوى الجامع رسم الصحابة وضبط التابع»^(٢).

٦ - «كَشَفُ الْعَمَى وَالرَّيْنِ عَنِ نَاطِرِي مِصْحَفِ ذِي النُّورَيْنِ»، تأليف
 الشيخ محمد العاقب بن سيدي عبد الله بن ما يَأْبَى الجكني، المتوفى سنة
 ١٣١٢هـ، وهو رجز في ٤١٧ بيتاً في الرسم والضبط، أوله:

حَمْدًا لِمَنْ عَلَّمَ بِالْأَقْلَامِ وَجَمَعَ الْقُرْآنَ فِي الْإِمَامِ
 وَشَرَحَهُ النَّازِمُ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَاهُ «رَشْفُ اللَّمَى عَلَى كَشْفِ الْعَمَى»^(٣).

* * *

ولا يخفى على القارئ أن هذه المنظومات التي أشرت إليها، وهناك
 غيرها كثير يضيق المقام عن ذكرها، قد حَقَّقْتُ غرضين:

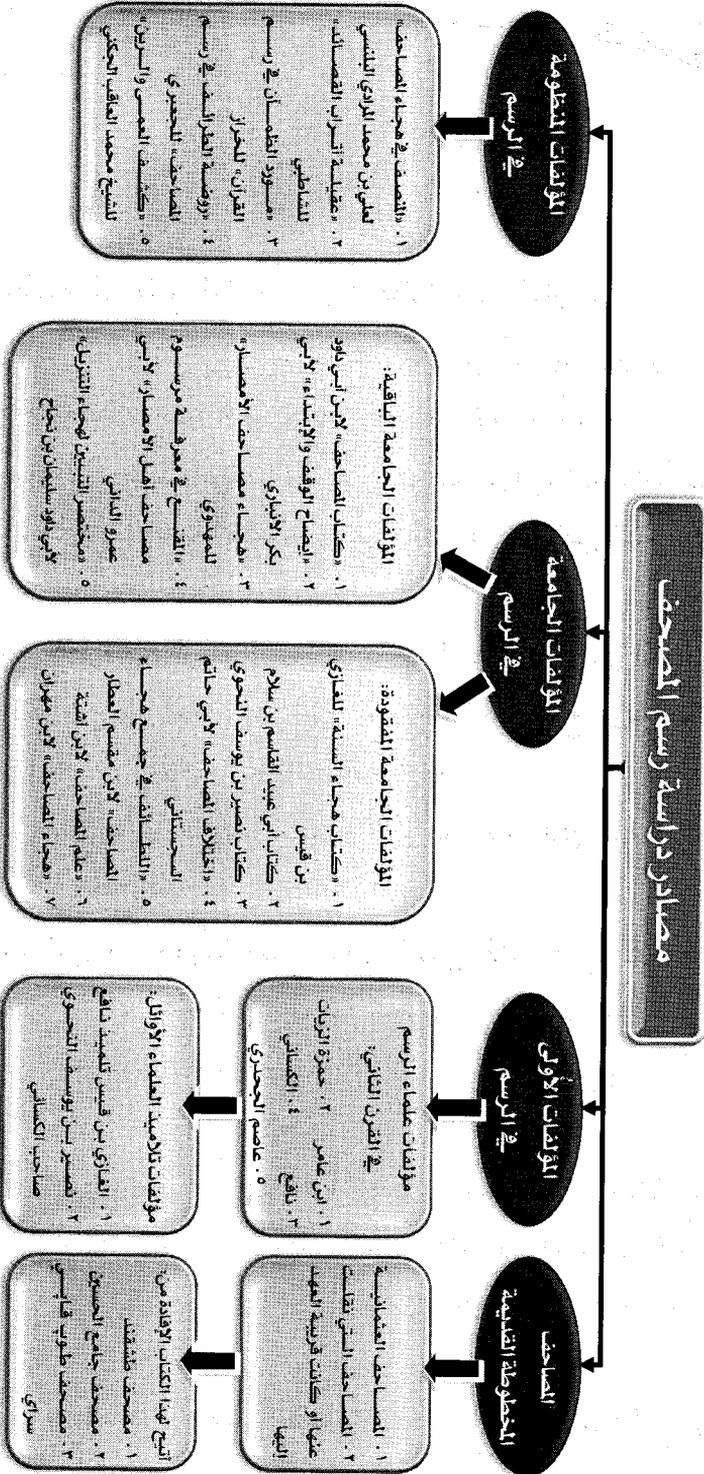
الأول: تيسير حفظ موضوعات رسم المصحف على المتعلمين، فمن
 اليسير على المتعلمين حفظ المنظومات، فيستحضرون من خلالها مبادئ كل
 علم وأمثله.

الثاني: استقطاب جهود العلماء لشرح هذه المنظومات، فيتحقق تلخيص
 مبادئ العلم من خلال النظم، والوقوف على تفاصيل ذلك العلم، وآراء
 العلماء، من خلال الشرح.

(١) تحقيق جمال السيد رفاعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) تحقيق الشيخ بن محمد ابن الشيخ أحمد، ط١، نواكشوط ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

(٣) تحقيق د. محمد بن سيدي محمد مولاوي، وصدر عن دار إيلاف الدولية، الكويت
 ١٤٢٧هـ.



خلاصة

- ١ يلجأ العلماء إلى نظم العلوم لتيسير حفظها على الدارسين.
- ٢ ظهرت عدة منظومات في رسم المصحف، من أقدمها أرجوزة «المنصف في هجاء المصاحف»، لعلي بن محمد المرادي البلنسي.
- ٣ من أشهر منظومات الرسم قصيدة «عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد» لأبي محمد القاسم بن فيرة الشاطبي، التي نظم فيها كتاب المقنع للداني، وتتألف من ٢٩٨ بيتاً.
- ٤ من أوسع منظومات الرسم أرجوزة «مورد الظمآن في رسم القرآن»، لأبي عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الخراز، وجمع فيها بين المقنع والتزويل ومصادر أخرى، وعدد آياتها ٤٥٤ بيتاً.
- ٥ شَرِحَتِ «العقيلة» و«مورد الظمآن» شروحاً عدة، منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط.
- ٦ من أقدم شروح العقيلة شرح علم الدين السخاوي تلميذ الناظم المسمى «الوسيلة إلى كشف العقيلة»، ومن أوسعها شرح الجعبري المسمى «جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد».
- ٧ من أقدم شروح مورد الظمآن شرح أبي محمد عبد الله بن عمر الصنهاجي المعروف بابن آجظا، تلميذ الناظم، المسمى «التبيان في شرح مورد الظمآن»، ومن آخرها «دليل الحيران شرح مورد الظمآن» لإبراهيم بن أحمد المارغني.
- ٨ من منظومات الرسم «روضة الطرائف في رسم المصاحف» للجعبري.

- ٩ من أشهر المنظومات المتأخرة في الرسم أرجوزة «المحتوي الجامع رسم الصحابة وضبط التابع» وشرّحها للطالب عبد الله الجكني، وأرجوزة «كُشِفَ العَمَى والرَّيْنُ» وشرّحها للشيخ محمد العاقب الجكني.
- ١٠ لَحِصَتِ تلك المنظومات موضوعات الرسم، ودارت حولها جهود العلماء المتأخرين.

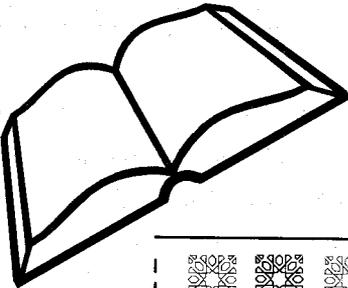
أسئلة تقويمية

- ١ س لماذا يلجأ المؤلفون إلى نظم العلوم؟
- ٢ س ما أشهر المنظومات في رسم المصحف؟
- ٣ س إلى أي كتاب استند الشاطبي في نظم قصيدته العقيلة؟
- ٤ س ما عدد أبيات العقيلة، وما عدد أبيات مورد الظمآن؟
- ٥ س ما أقدم شروح عقيلة أتراب القصائد، وما أوسعها؟
- ٦ س هل اعتمد الحرّاز على كتاب معين في نظم أرجوزته مورد الظمآن؟
- ٧ س ما أشهر شروح منظومة مورد الظمآن؟
- ٨ س للعلماء الشناقطة إسهام واضح في نظم رسم المصحف، اذكر أهم تلك المنظومات.
- ٩ س اذكر مطالع أهم منظومات رسم المصحف.
- ١٠ س ماذا حققت منظومات الرسم للدارسين؟



الفصل الثالث

خصائص الرسم العثماني



الكتابة رموزاً حَظِيَّةً لتمثيل أصوات اللغة المنطوقة، فالخط دليل على اللفظ، واللفظ دليل على المعنى^(١)، والأصلُ مطابقتُ المكتوبِ للمنطوقِ به في ذوات الحروف وعددها^(٢)، والرسم العثماني، ويقال له: الرسم الاصطلاحي، وهو ما كَتَبَ به الصحابة رضي الله عنهم المصاحف، أكثره موافق لقواعد الرسم القياسي، إلا أنه خالفه في أشياء، وهي المدونة في المؤلفات الخاصة بالرسم^(٣).

وعلى الدارس أن يعلم أن الصحابة - رضوان الله عليهم - دَوَّنوا القرآن في المصاحف بالرسم الذي كانوا يستعملونه في ما يكتبون في غيره من الأغراض، كما دَلَّت على ذلك دراسة النقوش العربية القديمة، ومدونات القرن الهجري الأول، كما تقدَّم في التمهيد في هذا الكتاب، إذ كان الخط مجرداً من العلامات، وفيه حذف لرموز بعض الأصوات، كما كانت فيه زيادة بعض الحروف في الكتابة.

وكان الصحابة ومن جاء بعدهم من التابعين وأتباعهم يوافقون الرسم المصحفي في كل ما يكتبونه، ولو لم يكن قرآناً ولا حديثاً، واستمر الأمر على ذلك إلى أن قام علماء العربية في البصرة والكوفة بتأسيس ضوابط لفن الكتابة، بنَّوْها على أقيستهم النحوية وأصولهم الصرفية، وسَمَّوْها علم الخط القياسي^(٤).

وتميَّزَ علم رسم المصحف عن علم الرسم القياسي بعد ظهور مؤلفات علماء العربية التي تُبَيِّنُ قواعد الكتابة، وظهرت بجانبها كتب رسم المصحف التي تُبَيِّنُ خصائص الرسم العثماني، قال ابن دُرُسْتُوَيْهِ: «ووجدنا كتاب الله ﷻ لا يُقَاسُ هجاؤه ولا يُخَالَفُ حَظُّهُ، ولكنه يُتَلَقَّى بالقَبول على ما أودع

(١) ينظر: أبو حيان: الهجاء ص ٤٠.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٦٣.

(٣) ينظر: المالقي: الدر النثير ص ٥٨٩، وابن الجزري: النشر ١/٢٨، والقسطلاني: لطائف الإشارات ١/٢٨٥، والمارغني: دليل الحيران ص ٣٧-٣٨، والضباع: سمير الطالين ١/٦٢.

(٤) ينظر: ابن درستويه: كتاب الكُتَّاب ص ١٦، ونصر الهوريني: المطالع النصرية ص ٢٦، وغانم قدوري الحمد: رسم المصحف ص ٧٣٠.

المصحف، ورأيت العَرُوض إنما هو إحصاء ما لُفِظَ به من ساكن ومتحرك، وليس يلحقه غَلَطٌ ولا فيه اختلاف بين أحد، فلم نعرض لذكرهما في كتابنا»^(١).

وقال أبو حيان: «فقد صار الاصطلاح في الكتابة على ثلاثة أنحاء: اصطلاح العروض، واصطلاح كتابة المصحف، واصطلاح الكُتَّاب في غير هذين»، ومن ثم قالوا: «خَطَّان لا يقاس عليهما: خط المصحف والعروض»^(٢).

والغرض في هذا الفصل بيان خصائص الرسم العثماني، أو قواعده التي اعتمدها الصحابة في كتابة المصاحف، وجمعها ابن وثيق الأندلسي في خمسة فصول حيث قال: «أَعْلَمُ وَفَقَّكَ اللهُ أَنْ رَسَمَ الْمَصْحَفَ يَفْتَقِرُ أَوَّلًا إِلَى مَعْرِفَةِ خَمْسَةِ فُصُولٍ عَلَيْهَا مَدَارَةٌ:

الأول: ما وقع فيه من الحذف.

الثاني: ما وقع فيه من الزيادة.

الثالث: ما وقع فيه من قلب حرف إلى حرف.

الرابع: أحكام الهمزات.

الخامس: ما وقع فيه من القطع والوصل»^(٣).

وزاد عدد من العلماء المتأخرين فصلاً سادساً، قال السيوطي: «وينحصر أمر الرسم في: الحذف، والزيادة، والهمز، والبدل، والوصل والفصل، وما فيه قراءتان فُكِّبَ على إحداهما»^(٤).

ولم تتخلص الكتابة العربية، بعد أن أَعْمَلَ فيها علماء العربية أقيستهم، من جميع تلك الظواهر، بل بَقِيَتْ رواسب منها، قال ابن السراج: «فَحَقُّ الكلمة إذا كُتِبَتْ أن تُوقَى عددَ حروفها التي لها في الهجاء، وأن يُصَوَّرَ كل حرف منها بصورته التي وُضِعَتْ له... فالأصول ما ذَكَرْتُ لك، ثم عرض للكُتَّاب في الخط أشياء اتفقوا عليها، وعرفها القارئ لها منهم، ولم يُشْكِل

(١) كتاب الكُتَّاب ص ١٦.

(٢) الهجاء ص ٤٣.

(٣) الجامع ص ٣١ - ٣٢.

(٤) الإلتقان ٦/٢٢٠٠، وينظر: الضباع: سمير الطالبين ٦٧/١.

عليهم، ولكل شيء من ذلك عِلَّةٌ تُذَكِّرُ عند ذكره، والأشياء التي عَرَضَتْ إنما هي إبدال حرف، وزيادة، وحذف، ووصل منفصلين...»^(١).

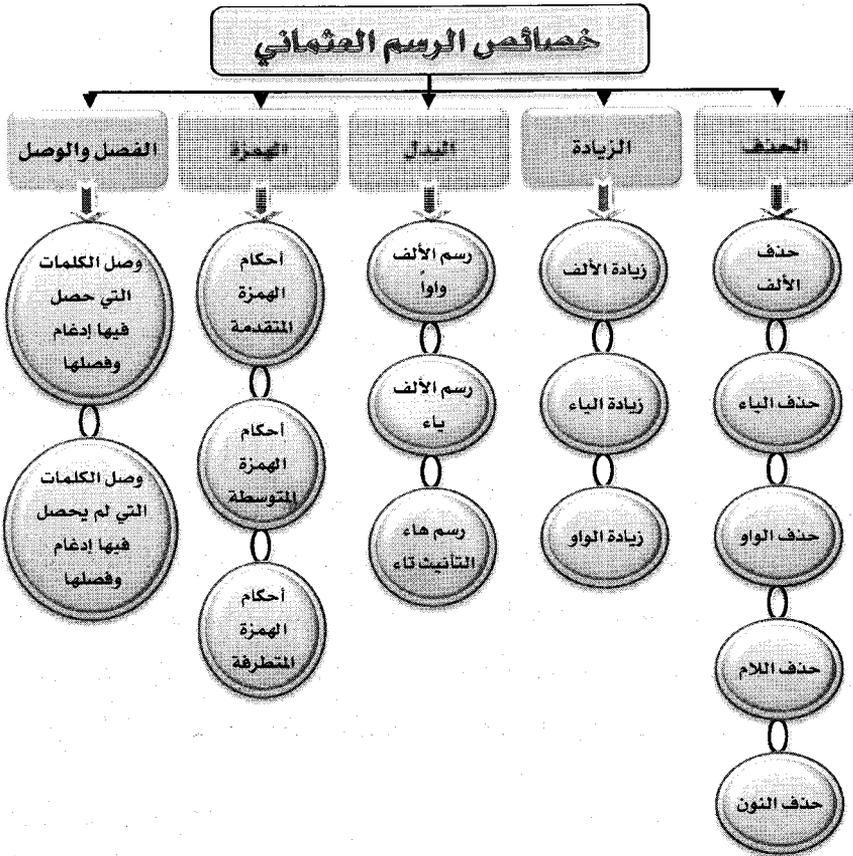
وجمع الشيخ محمد العاقب الجكني قواعد الرسم في قوله^(٢):

٥٤ - الرسمُ في سِتِّ قواعدٍ اسْتَقْلَلُ حذَفَ زيادَةً وهَمْزٌ وَبَدَلُ

٥٥ - وما أتى بالفصلِ أو بالوصلِ موافقاً لللفظِ أو للأصلِ

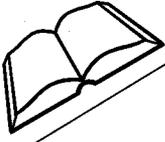
٥٦ - وذو قراءتين مما قد شُهِرَ فيه على إحداهما قد اقْتَصِرَ

وسوف أعرض ظواهر رسم المصحف الخمسة التي ذكرها ابن وثيق، كَلَّ ظاهرة في مبحث، وأُرْجِيُ الحديث عن تعليل تلك الظواهر إلى الفصل الرابع، وأعرض ما فيه قراءتان في الفصل الخامس إن شاء الله.



(١) كتاب الخط ص ١٠٧، وينظر: ابن درستويه: كتاب الكُتَّاب ص ١٦.

(٢) كشف العمى والرين ص ١٠٦.



المبحث الأول

الحذف

الحَدْفُ لغة: الإسقاط، والمقصود به هنا وجود صوت ملفوظ به ليس له مقابل في الرسم^(١)، والذي يُحَدَفُ في المصاحف من الحروف خمسة: حروف المد الثلاثة (الألف، والياء، والواو)، واللام، والنون^(٢).

ولعلماء الرسم طريقتان في ذكر الكلمات التي وقع فيها الحذف:

الأولى: ذُكِرَتْ تلك الكلمات في أبواب، كما نجد ذلك في كتاب «المقنع» للداني.

والثانية: ذُكِرْها بحسب مواقعها من السور، كما في كتاب «مختصر التبيين» لأبي داود سليمان بن نجاح، وجمَعَ ابن وثيق الطريقتين في كتابه «الجامع» فذكرها في أبواب مفردة أولاً، ثم ذكرها في مواضعها من السور.

ولا يتسع المقام للحديث عن جميع المواضع التي حصل فيها الحذف، وما ورد فيها من اختلاف؛ لأن استيعاب ذلك يحتاج إلى صفحات لا تسمح بها طبيعة الكتاب والمنهج الذي انبنى عليه، وسوف أقتصر على ذكر

(١) قَسَمَ بعض علماء الرسم المتأخرين الحذف على ثلاثة أقسام، هي:

١ - حَدْفُ الإشارة، وهو ما يكون موافقاً لبعض القراءات.

٢ - حذف الاختصار (أي: التقليل) وهو ما لا يختص بكلمة دون مماثلها.

٣ - حذف الاقتصار، وهو ما اختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها.

ينظر: اللبيب: الدرر الصقيلة ١٩ظ، والمارغني: دليل الحيران ص ٤٢، والضباع: سمير الطالبين ٦٩/١.

(٢) ينظر: ابن وثيق: الجامع ص ٣٣، والمارغني: دليل الحيران ص ٤١، والضباع: سمير الطالبين ٧٢/١.

الاتجاهات العامة للحذف، ونَقَلَ أمثلة لها، وَمَنْ رَغِبَ فِي الْوُقُوفِ عَلَى التَّفَاصِيلِ أَمَكَنَهُ ذَلِكَ بِمِرَاجَعَةِ الْمَصَادِرِ الْمَشْهُورَةِ فِي رِسْمِ الْمَصْحَفِ.

أولاً: حذف الألف:

مواضع حذف الألف كثيرة جداً في المصحف، ووقع أكثر ذلك في الألفات المتوسطة، وفي سورة الفاتحة حُذِفَتِ الألف من الكلمات الآتية: ﴿الرَّحْمَنُ﴾، ﴿الْعَلَمِينَ﴾، ﴿مَلِكٍ﴾ وحُذِفَتْ من ﴿الصِّرَاطِ﴾ و﴿صِرَاطِ﴾ على خلاف.

ويجد الدارسون صعوبة في ذكر الكلمات التي وقع فيها حذف الألف وفق ضابط محدد، ولذلك قال ابن وثيق: «اعلم أن هذا الباب كثير الاضطراب، متشعب لا يرجع إلى قياس فيُحَصَرُ»^(١)، وحاول كل مؤلف في الرسم حصر تلك الكلمات في أبواب وفصول، ووجدت الشيخ علي محمد الضباع سلك طريقاً يحصر تلك الكلمات على نحو يسهلُ معه حفظها أو تذكُّرها، على أن المقام لا يتسع لإيراد جميع الأمثلة، كما أشرت من قبل.

قال الشيخ الضباع: حَذَفَ الألف جاء في القرآن على قسمين:

القسم الأول: ما يدخل تحت قاعدة، وهو خمسة أنواع:

١ - حَذَفَ أَلْفُ جَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ، نحو: ﴿الْعَلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، و﴿الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، و﴿اللَّعُونُ﴾ [البقرة: ١٥٩]، و﴿لِحَافِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢]، وإذا كان بعد الألف همزة نحو ﴿خَائِفِينَ﴾ [البقرة: ١١٤]، و﴿قَائِلُونَ﴾ [الأعراف: ٤]، و﴿لَسَّائِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]، ففي بعض المصاحف بألف وفي بعضها بحذفها.

واستثنى من حذف الألف ما كان بعدها حرف مُشَدِّدٌ، نحو ﴿الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، و﴿الضَّالُّونَ﴾ [الصفات: ١٦٥].

وفي بعض الكلمات من هذا النوع اختلاف في إثبات الألف وحذفها

يرجع إلى سببين، هما:

الأول: اختلاف مصاحف الأمصار في ذلك، قال الداني في باب ما اختلفت فيه مصاحف الأمصار بالإثبات والحذف: «.. وفي الدخان في بعض المصاحف (فيها فَاكِهَيْنَ) [٢٧] بالألف، وفي بعضها ﴿فَكَهَيْنَ﴾ بغير الألف»^(١).

الثاني: اختلاف العلماء في الرواية، كما في قوله تعالى: ﴿التَّوْبِينَ﴾ في البقرة [٢٢٢]، فَرُوِيَ بحذف الألف لأبي داود سليمان بن نجاح، وبإثباتها لأبي عمرو الداني^(٢).

٢ - حَذَفُ أَلْفِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ، نَحْوُ ﴿مُسَلِّمَاتٍ﴾ [التحریم: ٥]، و﴿أَلْبِنْتُ﴾ [البقرة: ٨٧]، و﴿كَمَنَاتٍ﴾ [لقمان: ٢٧]، و﴿ءَايَاتِنَا﴾ [البقرة: ١٥١]، وَاسْتُثْنِيَ عِدَدٌ مِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا الْجَمْعِ، مِثْلُ ﴿سَيِّئَاتٍ﴾ كَيْفَ جَاءَ، وَ﴿رَوْضَاتٍ أَلْجَنَاتِ﴾ [الشورى: ٢٢]، فَقَدْ رُسِمَتْ فِيهَا الْأَلْفُ.

وكذلك حُذِفَتِ الْأَلْفُ فِي مَا كَانَ فِيهِ أَلْفَانٌ مِنْ هَذَا الْجَمْعِ، نَحْوُ ﴿أَصْلِحَتِ﴾ [ص: ٢٨]، و﴿قَلْبِنْتُ﴾ [النساء: ٣٤]، و﴿وَعَلَّمَتِ﴾ [النحل: ١٦]، و﴿رَسَلَتِ﴾ [الأعراف: ٦٢]، و﴿السَّمَوَاتِ﴾ [البقرة: ٣٣]^(٣)، بِحَذْفِ الْأَلْفَيْنِ فِي ذَلِكَ، وَإِذَا كَانَ بَعْدَ أَلْفِهِ الْأُولَى هَمْزٌ أَوْ تَشْدِيدٌ نَحْوُ ﴿وَالصَّيِّمَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، و﴿وَالصَّفَّاتِ﴾ فَجُلُّ الْمَصَاحِفِ عَلَى حَذْفِ أَلْفِيهِ^(٤).

٣ - حَذَفُ أَلْفِ ضَمِيرِ الرَّفْعِ الْمُتَّصِلِ، إِذَا تَوَسَّطَ بِاتِّصَالِ ضَمِيرِ بِهِ، نَحْوُ ﴿زَدْنَهُمْ﴾ [النحل: ٨٨]، و﴿عَلَّمَنَّهُ﴾ [يوسف: ٦٨]، ﴿ءَايَاتِكَ﴾ [الحجر: ٨٧]، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

٤ - حَذَفُ أَلْفِ التَّشْيِئَةِ، فِي وَسْطِ الْكَلِمَةِ، فِي اسْمٍ كَانَتْ أَوْ فَعْلٌ، وَنَقْلٌ

(١) المقنع ص ٩٧.

(٢) ينظر: أبو داود: مختصر التبيين ٢/٢٨٠، والمخجلاتي: إرشاد الكاتبين ١/٣٥٧، والضباع: سمير الطالبين ١/٨٣.

(٣) حكى الداني في المقنع ص ١٩، وأبو داود في مختصر التبيين (٤/١٠٨٢) إثبات الألف بعد الواو في موضع فصلت [١٢] ﴿سَمَوَاتٍ﴾، وعليه العمل في مصحف المدينة.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ٢٢.

أبو داود الاختلاف في إثبات هذه الألف وحذفها في جميع القرآن، والعمل على إثباتها في مصحف المدينة، نحو: ﴿رَجُلَانِ﴾ [المائدة: ٢٣]، و﴿يَعْلَمَانِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، ونصّ الداني على حذفها في جميع القرآن إلا قوله تعالى ﴿تَكَذَّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣]، فبالوجهين^(١).

٥ - حَذَفُ أَلْفِ الْأَسْمَاءِ الْأَعْجَمِيَّةِ الزَّائِدَةِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَحْرَفٍ، وَالْوَارِدِ مِنْهَا فِي الْقُرْآنِ وَاحِدٌ وَعِشْرُونَ اسْمًا^(٢)، خَاصَّةً مَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ، مِثْلَ ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، و﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، و﴿إِسْحَاقَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، و﴿إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، وَاخْتَلَفُوا فِي إِثْبَاتِهَا فِي مَا قَلَّ دَوْرُهُ، وَاسْتَثْنَوْا مِنْهَا ﴿دَاوُدَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، و﴿طَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، و﴿جَالُوتَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، فَرُسِمَتْ فِيهَا الْأَلْفُ اتِّفَاقًا.

القسم الثاني: حذف ألف ما لا يدخل تحت قاعدة:

وهو الجزئيات، تكررّت أم لم تتكرر، وقد رتبها الشيخ علي محمد الضباع على حروف المعجم، بحسب الحرف الذي قبل الألف، ليسهل الاطلاع عليها، وهو باب طويل لا يتسع المقام لإيراد جميع ما تضمنه، وسوف أكتفي بذكر مثالٍ من كل حرف، مما وقع الاتفاق على حذف الألف فيه^(٣):

حذف الألف بعد الهمزة: ﴿بُرءُؤُا﴾ [المتحنة: ٤].

وبعد الباء: ﴿أَلَأَلْبِبُ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وبعد التاء: ﴿وَمَمَّعُ﴾ [البقرة: ٣٦].

وبعد الثاء: ﴿مَيْتُنُقُ﴾ [البقرة: ٨٣].

وبعد الجيم: ﴿يَحْدَرَةُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وبعد الحاء: ﴿أَصْحَبُ﴾ [البقرة: ٣٩].

وبعد الخاء: ﴿يُخَدِّعُونَ﴾ [البقرة: ٩].

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ١٧ و ٩٨، وأبو داود: مختصر التيسين ١٨٨/٢ و ٤٣٠.

(٢) ينظر: الضباع: سمير الطالبين ٩٩/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ١٠٤ - ٢٣٣.

- وبعد الدال: ﴿تَدَارَكُمُو﴾ [القلم: ٤٩].
 وبعد الذال: ﴿ذَلِكَ﴾ كيف جاء.
 وبعد الراء: ﴿وَرَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٢].
 وبعد الزاي: ﴿زُرُورٌ﴾ [الكهف: ١٧] على قراءة إثبات الألف.
 وبعد السين: ﴿مَسْكِينٌ﴾ [المائدة: ٨٩].
 وبعد الشين: ﴿شَيْبَةً﴾ [البقرة: ٧٠].
 وبعد الصاد: ﴿نَضْرِي﴾ [البقرة: ١١١].
 وبعد الضاد: ﴿مُضْتَعَفَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣٠].
 وبعد الطاء: ﴿سُلْطَنِينَ﴾ [الأعراف: ٧١].
 وبعد الظاء: ﴿ظَهْرَةً﴾ [لقمان: ٢٠].
 وبعد العين: ﴿عَهْدُوا﴾ [البقرة: ١٠٠].
 وبعد الغين: ﴿غَنَشِيَّةٌ﴾ [يوسف: ١٠٧].
 وبعد الفاء: ﴿فَقَوَّيْتُ﴾ [الملك: ٣] على قراءة إثبات الألف.
 وبعد القاف: ﴿مَقْلَعِدٌ﴾ [آل عمران: ١٢١].
 وبعد الكاف: ﴿نَكَالًا﴾ [البقرة: ٦٦].
 وبعد اللام: ﴿لَنَكِينٌ﴾ حيث وقع.
 وبعد الميم: ﴿مَلِكٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].
 وبعد النون: ﴿مَنْفَعٌ﴾ [الحج: ٢٨].
 وبعد الهاء: ﴿الْأَنْهَرُ﴾ [البقرة: ٢٥].
 وبعد الواو: ﴿أَنْوَابٌ﴾ [الأنعام: ٤٤].
 وبعد الياء: ﴿يَتَأْتِيهَا﴾ [البقرة: ٢١].

ولم تحذف الألف من آخر الكلمة رسماً إلا من كلمة (أَيَّهَا) في ثلاثة مواضع: ﴿أَيَّهِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ في النور [٣١]، و﴿يَتَأْتِيهِ السَّاحِرُ﴾ في الزخرف [٤٩]، و﴿أَيَّهِ الثَّقَلَيْنِ﴾ في الرحمن [٣١]^(١).

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٧٨/١، والداني: المقنع ص ٢٠، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨١، والجهني: البديع ص ٤٩.

ثانياً: حذف الياء:

حُذِفَتِ الياء في المصحف في عدد من الكلمات، وليس هناك قاعدة مطردة لذلك الحذف، لكن علماء الرسم لاحظوا مجموعة من الضوابط التي تحكم تلك الظاهرة وتتلخص في ما يأتي:

١ - حُذِفَتِ الياء في وسط الكلمة إذا اجتمعت مع ياء أخرى، وذلك في ﴿الْحَوَارِثِينَ﴾ [المائدة: ١١١]، و﴿الْأُمِّيْنَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، و﴿النَّبِيِّنَ﴾ [البقرة: ٦١]، و﴿يَبْلُغِينَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

٢ - حُذِفَتِ الياء أيضاً من كل كلمة وقع في آخرها ياءان، فمنها ما كانت فيه الياء الثانية ساكنة، نحو ﴿يَسْتَحْيَ﴾ [البقرة: ٢٦]، و﴿يُحْيِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، و﴿وَلِيَّ﴾ [يوسف: ١٠١]، ومنها ما كانت فيه الياء الثانية متحركة، نحو: ﴿وَلِيَّ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، و﴿لُحْيَى﴾ [الفرقان: ٤٩]، و﴿أَنْ يُحْيَى الْمَوْتَى﴾ [القيامة: ٤٠].

واستثنى من ذلك ما كان متصلاً بضمير، نحو ﴿مُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، و﴿يُحْيِيهَا﴾ [يس: ٧٩]، و﴿حُيِّتُمْ﴾ [النساء: ٨٦]، وما أشبه ذلك، و﴿أَقْيَيْنَا﴾ [ق: ١٥]، و﴿عَلَيْتَ﴾ [المطففين: ١٨]، فكتبت ذلك بياءين^(١).

٣ - حُذِفَتِ الياء الأصلية من آخر عدد من الكلمات مراعاة لسقوطها في اللفظ لساكن بعدها، أو للوقف عليها بغير ياء، وأشهرها^(٢):

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ﴾ في النساء [١٤٦].

﴿وَنُجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في يونس [١٠٣].

﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ في طه [١٢] والنازعات [١٦].

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٩، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٦، وأبو داود: مختصر التبيين ١٥٠/٢ و ٥٨٩/٣، والضباع: سمير الطالبين ٢٩٧/١ - ٢٩٩.

(٢) ينظر: المهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٧، والجهني: البديع ص ٥٢، وابن ثيوق: الجامع ص ٥٠، والضباع: سمير الطالبين ٢٧٩/١ وما بعدها.

﴿لَهَاذِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في الحج [٥٤].

﴿عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ في النمل [١٨].

﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ في القصص [٣٠].

﴿بِهَدْيِ الْعَمِيِّ﴾ في الروم [٥٣].

﴿يُنَادِ الْمُنَادِ﴾ في ق [٤١].

﴿فَمَا تَعْنِ النَّذْرُ﴾ في القمر [٥].

﴿الْجَوَارِ الْمُسْتَأْتِ﴾ في الرحمن [٢٤].

﴿الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ في التكوير [١٦].

٤ - حُذِفَتِ الْيَاءُ فِي رُوُوسِ الْآيِ طَلِباً لِلْمَجَانَسَةِ، سِوَاءَ كَانَتْ ضَمِيرَ مَفْعُولٍ، أَوْ لِلإِضَافَةِ أَوْ يَاءٍ أَصْلِيَّةٍ، وَذَلِكَ فِي عَشْرَاتِ الْمَوَاضِعِ، مِنْهَا عَلَى سَبِيلِ التَّمثِيلِ^(١):

﴿فَأَرْهَبُونَ﴾ في البقرة [٤٠].

﴿فَأَنْقُوتُونَ﴾ في البقرة [٤١].

﴿وَلَا تَكْفُرُونَ﴾ في البقرة [١٥٢].

﴿وَأَطِيعُونَ﴾ في آل عمران [٥٠].

﴿فَلَا تُنظِرُونَ﴾ في الأعراف [١٩٥].

﴿الْمُتَعَالِ﴾ في الرعد [٩].

﴿مَتَابِ﴾ في الرعد [٣٠].

﴿دُعَاةِ﴾ في إبراهيم [٤٠].

٥ - حُذِفَتِ يَاءُ ضَمِيرِ الْمُتَكَلِّمِ الْمُضَافِ إِلَى الْإِسْمِ الْمُنَادِي، نَحْوِ ﴿يَنْقُورِ أَذْكَرُوا﴾ فِي الْمَائِدَةِ [٢٠]، وَ﴿رَبِّ أَرْجُونَ﴾ فِي الْمُؤْمِنِينَ [٩٩]، وَمَا

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٠ - ٣٣، وابن وثيق: الجامع ص ٥٢ - ٥٣، والضباع:

كان مثله إلا في ثلاثة مواضع أثبتت فيها الياء، أولها: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في العنكبوت [٥٦]، و﴿قُلْ يَاعِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ في الزمر [٥٣]، واختلف في الموضوع الثالث ﴿يَعْبَادِ لَا حَوفُ عَلَيْكُمْ﴾ في الزخرف [٦٨] ففي بعض المصاحف بإثبات الياء وفي بعضها بحذفها^(١)، وعليه العمل في مصحف المدينة.

٦ - حُذِفَتِ الياء في عدد من الكلمات من غير علة ظاهرة إلا للاجتماع بالكسرة، مما ليس بمنادى ولا منقوصاً ولا لَقِيَهُ ساكن، ولا هو رأس آية، وذلك في نحو^(٢):

﴿إِذَا دَعَا﴾ في البقرة [١٨٦].

و﴿وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ﴾ في آل عمران [١٧٥].

و﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ في هود [١٠٥].

و﴿أَنْ يَهْدِينَ﴾ في الكهف [٢٤].

و﴿اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ﴾ في غافر [٣٨].

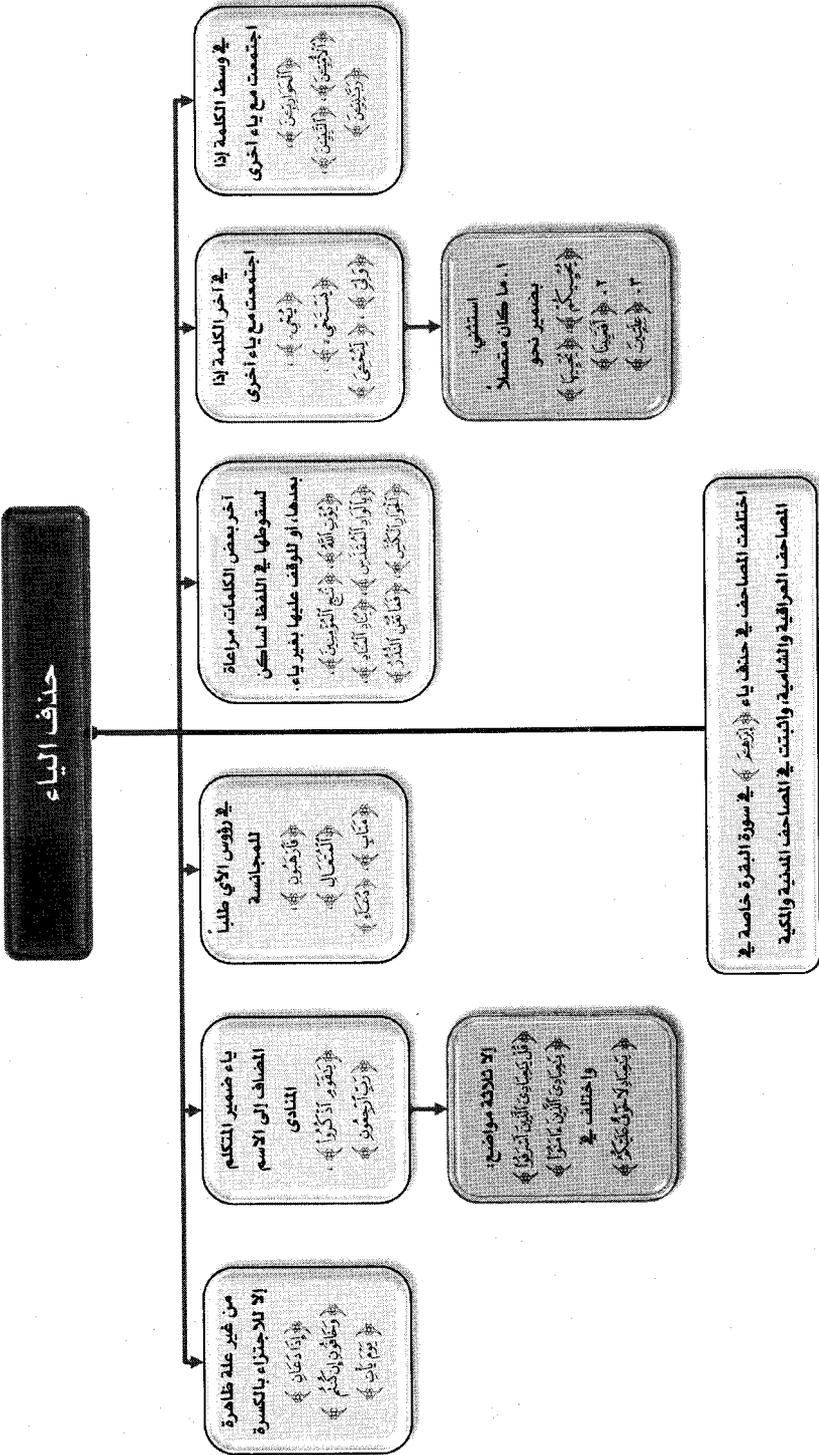
٧ - اختلفت المصاحف في حذف الياء من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ في سورة البقرة خاصة، وهي خمسة عشر موضعاً، في المصاحف العراقية والشامية، وأثبتت في المصاحف المدنية والمكية، واتفقت المصاحف كلها على حذف الألف فيه^(٣).

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٤٦/١، والداني: المقنع ص ٣٤،

والجهني: البدیع ٢٥٦، وابن وثيق: الجامع ص ٤٩.

(٢) ينظر: ابن وثيق: الجامع ص ٥٤.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٩٢، وأبو داود: ٢٠٥/٢ - ٢٠٦ والضباع: سمير الطالبين



ثالثاً: حذف الواو:

حُذِفَتِ الواو في المصحف في عدد من الكلمات، وذكر علماء الرسم ضوابط لذلك الحذف، تتلخص في ما يأتي:

١ - إذا اجتمعت واوان في كلمة وكانت الثانية ساكنة بعد ضمٍّ، حُذِفَت إحداهما في الرسم، وذلك في مثل: ﴿يَسْتَوْنَ﴾ [التوبة: ١٩]، و﴿وَرَى﴾ [الأعراف: ٢٠]، و﴿أَلْفَاوْنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، و﴿دَاوُدُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، حيث وقع^(١).

٢ - حُذِفَتِ الواو إذا كانت صورة للهمزة وبعدها واو أخرى، نحو ﴿مَشُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، و﴿يَتُوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]، و﴿وَبَدْرًا وَت﴾ [الرعد: ٢٢]، و﴿وَلَا يَطْشُونَ﴾ [التوبة: ١٢٠]، وما كان مثله، وكذلك إذا كانت الواو صورة للهمزة، وهي بين واوين، حُذِفَت أيضاً، وحُذِفَت معها إحدى الواوين، نحو ﴿لَيْسَتُوا﴾ [الإسراء: ٧]، و﴿أَلْمُوءِدَةُ﴾ [التكوير: ٨]^(٢).

٣ - حُذِفَتِ الواو من آخر الفعل في أربعة مواضع^(٣):

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ في الإسراء [١١].

﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾ في الشورى [٢٤].

﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ في القمر [٦].

﴿سَدَعُ الزَّيْبَانَةِ﴾ في العلق [١٨].

٤ - تذكر كتب رسم المصحف حرفين ذكر بعض العلماء حذف الواو

فيهما:

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٦، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٥، وابن وثيق: الجامع ص ٤٥.

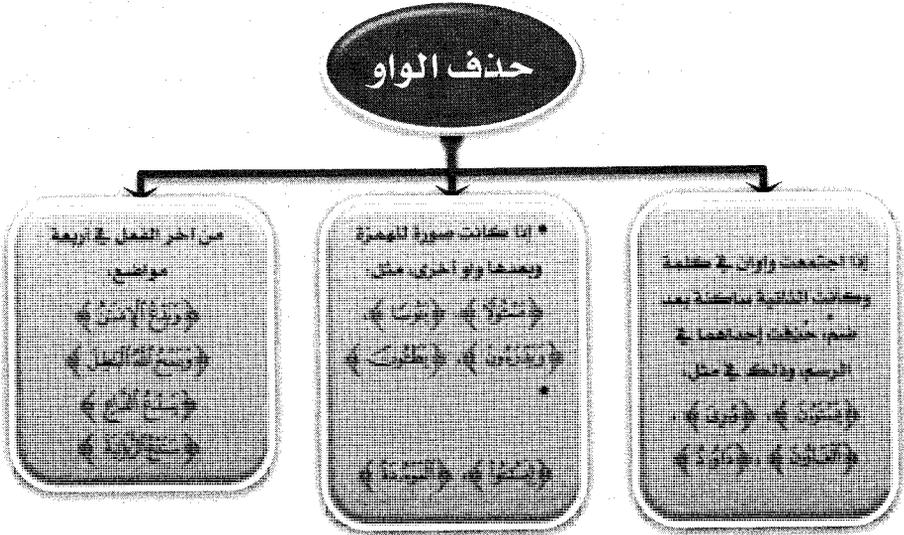
(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٦، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٥، وابن وثيق: ص ٤٥، والضباع: سمير الطالبين ١/٣٠٤.

(٣) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/٢٦٨ - ٢٦٩، والداني: المقنع ص ٣٥، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٤، والجهنبي: البديع ص ٥٨، وابن وثيق: الجامع ص ٤٦.

الأول: ما نقله ابن الأنباري عن الفراء أن واو الجمع حذفت في المصحف في قوله تعالى: ﴿سَوُّوا اللَّهَ﴾ وهو في التوبة [٦٧]، والحشر [١٩]، قال ابن الأنباري: «والذي وجدناه في مصاحفنا ﴿سَوُّوا﴾ بالواو»^(١).

الثاني: قوله تعالى: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في التحريم [٤]، بناء على أنه جمعٌ مُذَكَّرٍ سَالِمٌ، وأن الأصل فيه (وَصَالِحُو)، وذهب بعض العلماء إلى أنه مفرد يؤدي معنى الجمع، فلا حذف حينئذ^(٢)، وهو ما يفهم من كلام أهل المعاني وبعض المفسرين^(٣)، ويدل على ذلك إثبات واو الجمع في المواضع الأخرى، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُونَ النَّاقَةَ﴾ في القمر [٢٧]، و﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ في الدخان [١٥]^(٤).

حذف الواو



- (١) إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٧١ - ٢٧٢، وينظر: الداني: المقنع ص ٣٥، ولم أجد ذلك في معاني القرآن للفراء في الموضوعين، كما لم أجد في كتابه المقصور والممدود.
- (٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٥، وابن وثيق: الجامع ص ٤٧، والمارغني: دليل الحيران ص ٢٠٣، والضباع: سمير الطالبين ص ١/ ٣٠٢.
- (٣) ينظر: الفراء: معاني القرآن ٣/ ١٦٧، والزجاج: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٣، والطبري: جامع البيان ٢٨/ ١٦٣.
- (٤) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٧٠، والجهمي: البديع ص ٥٨.

رابعاً: حذف اللام:

إذا دخلت (أل) التي للتعريف على كلمة أوَّلها لامٌ رُسِمَتِ اللامان، نحو ﴿اللَّعِنُونَ﴾ في البقرة [١٥٩]، و﴿الْقَنَةَ﴾ في الرعد [٢٥]، و﴿اللَّعِين﴾ في الأنبياء [٥٥]، و﴿اللَّغُو﴾ في المؤمنون [٣]، و﴿اللَّهُو﴾ في الجمعة [١١]، وغيرها، واسْتُشِي من ذلك كلمة ﴿أَيْل﴾ أين وقعت، فإنها رسمت بلام واحدة. وكذلك رُسِمَتِ لامٌ واحدة في أوَّل الأسماء الموصولة وهي: ﴿الَّذِي﴾ و﴿الَّتِي﴾ و﴿الَّذَانِ﴾ و﴿الَّذَيْنِ﴾ و﴿الَّذِينَ﴾ حيث وقعت، وكذلك ﴿الَّتِي﴾، و﴿الَّتِي﴾ حيث وقعا^(١).

وأكثر هذه الأمثلة يوافق فيها الرسمُ الإملائي رسم المصحف، إلا في رسم كلمة (الليل) و(اللدان) و(اللاتي واللائي)، فإنها ترسم بلامين في الرسم الإملائي.

وقال ابن وثيق: «وذكر بعضهم أن ﴿الَّذِينَ﴾ تشنية ﴿الَّذِي﴾ إذا كان منصوباً أو مجروراً كُتِبَ بلامين، وإذا كان مرفوعاً كُتِبَ بلام واحدة، والأول المشهور في خط المصحف»^(٢)، يعني حذف إحدى اللامين. وكَتَبَ الكُتَّاب في غير المصحف (الَّذَيْنِ) و(اللَّتَيْنِ) مُثَنَّى (الذي) و(التي) بلامين في جميع أحوالهما^(٣)، وعلى دارس رسم المصحف أن ينتبه لذلك، حتى لا يلتبس عليه الأمر.

خامساً: حذف النون:

وردت كلمات في المصحف مرسومة بنون واحدة وقرئت بنون واحدة وبنونين، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَنُجِّيَ مِنْ نَشْأَةٍ﴾ في يوسف [١١٠]،

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٧، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٩٥ - ٩٦، وأبو داود مختصر التبيين ٥٦/٢ و٢٣٤.

(٢) الجامع ص ٥٥.

(٣) ينظر: ابن السراج: كتاب الخط ص ١٢٨، وابن قتيبة: أدب الكاتب ص ٢٠٠، وأبو حيان: الهجاء ص ١٤٠.

﴿تُسَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في الأنبياء [٨٨]^(١)، قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم ﴿فَنَجِّي﴾ بنون واحدة مضمومة، وتشديد الجيم وفتح الياء، وقرأ الباقر بنونين الثانية ساكنة وتخفيف الجيم وإسكان الياء^(٢). وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم نُجِّي واحدة وتشديد الجيم، وقرأ الباقر بنونين الثانية ساكنة وتخفيف الجيم^(٣).

وَرُسِمَ بِنُونَيْنِ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في يونس [١٠٣] ولم يُخْتَلَفَ في قراءته.

واتفقت المصاحف على رسم قوله تعالى: ﴿لَا تَأْتِنَا﴾ في يوسف [١١] بنون واحدة على لفظ الإدغام الصحيح^(٤)، وقرأه أبو جعفر بالإدغام من غير إشارة إلى الضمة، والباقر كذلك إلا أنهم يُشِيرُونَ إليها رَوْماً أو إشمائاً^(٥).

ولم يشتهر حذف النون من رسم كلمة مع الاتفاق على إثباتها في القراءة، لكن وردت روايات عن بعض علماء الرسم الأوائل بذلك، على نحو ما نَقَلَ الداني رواية في رسم كلمة ﴿لِنَنْظُرَ﴾ في يونس [١٤] بنون واحدة، وكذلك رسم ﴿لِنَنْصُرُ﴾ في غافر [٥١] بنون واحدة أيضاً، لكن الداني عقب على الروایتين بقوله: «ولم نجد ذلك كذلك في شيء من المصاحف»^(٦).

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٨٦ و ٨٧ و ٩١، وأبو داود: مختصر التبيين ٦٥٠/٣ و ٧٣٢ و ٨٦٥/٤.

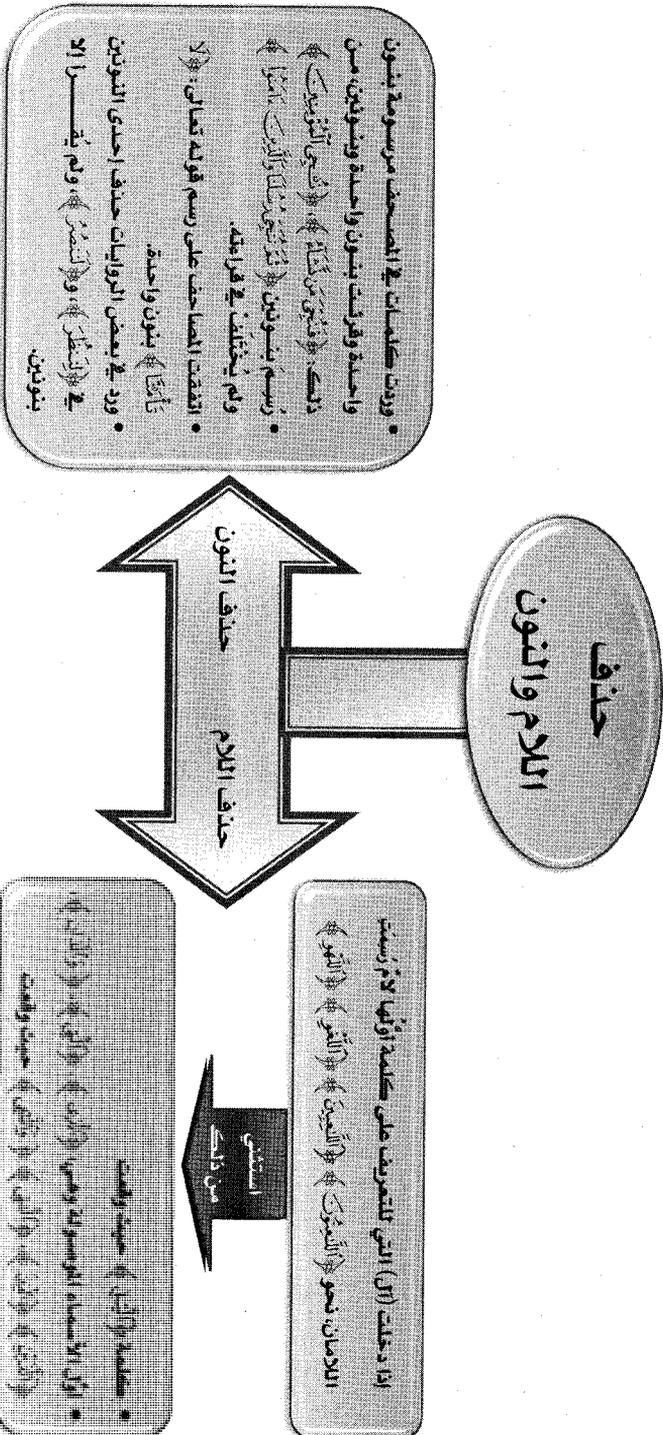
(٢) ينظر: الواسطي: الكنز ٥١٦/٢، وابن الجزري: النشر ٢٩٦/٢.

(٣) ينظر: الواسطي: الكنز ٥٦٥/٢، وابن الجزري: الشر ٣٢٤/٢.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ١٣٣، والمحكم ص ٨٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٣/٧٠٨.

(٥) ينظر: الواسطي: الكنز ٥١٢/٢، وابن الجزري: النشر ٣٠٣/١ - ٣٠٤.

(٦) المقنع ص ٩٠ و ٩٩، وينظر: أبو داود: مختصر التبيين ٦٤٨/٣ - ٦٤٩، والضباع: سمير الطالبين ٣٠٧/١.



ضوابط منظومة:

قال الخراز في مورد الظمان في باب حذف الواوات:

- ٢٨٣ - وهاك واواً سَقَطَتْ في الرَّسْمِ في أَحْرَفٍ لِلإِكْتِفَا بِالضَّمِّ
 ٢٨٤ - ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ و﴿يَوْمَ يَدْعُ﴾ في سورة القمر مَعِ ﴿سَدَّعُ﴾
 ٢٨٥ - ﴿وَيَمْنَحُ﴾ في حَمِ مَعِ ﴿وَصَلِّحُ﴾ الحذف في الخمسة عنهم واضح
 ٢٨٦ - فَضْلٌ وَقُلْ إِحْدَاهُمَا قَدْ حُذِفَتْ مِمَّا لَجَمْعٍ أَوْ بِنَاءٍ دَخَلَتْ
 ٢٨٧ - كَنَحْوِ وُورِيٍّ وَيَسْتَوُونَا مَوْءُودَةً دَاوُودَ وَالْعَاوُونَا
 ٢٨٨ - وَرَسْمُ الْاَوْلَى فِي الْجَمِيعِ أَحْسَنُ وفي يَسُوءُ وَاَعْكُسُ هَذَا أَبْيَنُ

وقال الشاطبي في العقيلة في ما روي من حذف النون:

- ٧٩ - وفي ﴿لِنَنْظُرَ﴾ حَذْفُ النونِ رُدُّوْفِي ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ﴾ عَن مَنصُورِ انْتَصَرَا

خلاصة

- ١ كَتَبَ الصحابة ﷺ القرآن في الصُّحُفِ والمصاحف بالكتابة العربية التي كانوا يستخدمونها قبل نزوله.
- ٢ تطورت قواعد الكتابة العربية على يد علماء العربية، فأخضعوها لأقيستهم الصرفية والنحوية، وصار الخط نوعين: الخط القياسي في غير المصحف، والخط الاصطلاحي في المصحف.
- ٣ تُلخَص خصائص الرسم المصحفي في خمس ظواهر: الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل.
- ٤ الحذف: يعني وجود صوت ملفوظ به ليس له مقابل في الرسم.
- ٥ وقع الحذف كثيراً في حروف العلة الثلاثة: الألف والواو والياء، وقليلاً في اللام والنون.
- ٦ ليس هناك قاعدة لحذف الألف في الرسم، وأكثر ما وقع في الألفات المتوسطة، خاصة إذا طالت حروف الكلمة، وحاول علماء الرسم قديماً وحديثاً وضع ضوابط لذلك.
- ٧ حُذِفَت الياء من آخر عدد من الكلمات لسقوطها في اللفظ، أو لوقوعها في رؤوس الآي.
- ٨ تُحذَف إحدى الياءين إذا اجتمعا في وسط الكلمة أو في آخرها، واشتُتِي من ذلك ما كان متصلاً بضمير.
- ٩ حُذِفَت الواو من آخر عدد من الأفعال لسقوطها في اللفظ عند الوصل.
- ١٠ حُذِفَ أحد الواوين إذا اجتمعا في وسط الكلمة، سواء كانا أصليين أو كان أحدهما صورة للهمزة.

١١ إذا دخلت (آل) على كلمة في أولها لام رُسِمَت بلامين إلا في كلمة ﴿الْبَيْلِ﴾ و﴿الَّذِي﴾ و﴿الَّتِي﴾ وما تَفَرَّعَ عنهما.

١٢ وَرَدَ في بعض الروايات حَذْفُ إحدى النونين في ﴿لِنَنْظُرَ﴾ في يونس [١٤]، و﴿لِنَنْصُرُ﴾ في غافر [٥١]، ولم يقرأ إلا بنونين.

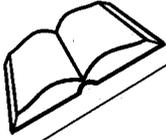
أسئلة تقويمية

- ١ هل استعمل الصحابة رسماً خاصاً في المصحف؟
- ٢ صار الرسم العربي نوعين في العصور المتأخرة، اذكرهما، ثم بيّن الميدان الذي يستعمل فيه كل منهما؟
- ٣ اذكر أهم خصائص الرسم العثماني؟
- ٤ ما المقصود بالحذف في الرسم؟
- ٥ ما الحروف التي وقع فيها الحذف في رسم المصحف؟
- ٦ هل لحذف الألف قاعدة يمكن الاعتماد عليها أو ضوابط يمكن الاستدلال بها؟ اذكرها.
- ٧ اذكر أهم المواضع التي حُذِفَتْ منها الباء في المصحف؟
- ٨ ما أهم المواضع التي حُذِفَتْ منها الواو في المصحف؟
- ٩ ما أهم المواضع التي حُذِفَتْ منها اللام في المصحف؟
- ١٠ هل اظَّردَ حذف النون في المصحف؟

تطبيق عملي

بيِّن نوع الحذف الذي وقع في رسم الآيات المذكورة في الجدول:

نوع الحذف	النص	السورة والآية	ت
	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	الفاتحة ٢	١
	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا﴾	البقرة ٢٦	٢
	﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّكَ بِغَيْرِ حَقِّ﴾	آل عمران ٢١	٣
	﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	النساء ١٤٦	٤
	﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾	التوبة ١٩	٥
	﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ مَنٍّ تُكْرَهُ﴾	القمر ٦	٦
	﴿وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾	النور ٣١	٧
	﴿مَا بَأْسَ الْبَسُوتِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾	يوسف ٥٠	٨
	﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونَ﴾	يونس ٧١	٩
	﴿فَقَالَ الضَّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾	إبراهيم ١٤	١٠



المبحث الثاني

الزيادة

يُقَصَّدُ بالزيادة أن يُكْتَبَ حرفٌ في الرسم من غير أن يكون له مقابل في النطق، في الوصل أو الوقف.

والذي يُزَادُ في رسم المصحف من حروف الهجاء ثلاثة: الألف والياء والواو، وهي تزداد في وسط الكلمة، وفي آخرها، وهذا عرض لمواضع زيادة هذه الحروف، من غير تعرض لعلل زيادتها، لاختصاص الفصل الرابع بذلك.

أولاً: زيادة الألف:

زِيدَتِ الألف في وسط عدد من كلمات، منها ﴿مَائَةٌ﴾ و﴿مَائَتَيْنِ﴾ حيث وقعتا^(١).

واجتمعت المصاحف على زيادة الألف بعد اللام ألف في ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ في النمل [٢١]، واختلفت في زيادة الألف وعدمها في مواضع أخرى، منها:

﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ في آل عمران [١٥٨].

﴿وَلَاؤَضَعُوا حَنَلَكُمْ﴾ في التوبة [٤٧].

﴿لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ في الصافات [٦٨].

وزيدت الألف بعد الشين في قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ في الكهف [٢٣]، وفي رواية أنها زيدت في بعض المصاحف في كلمة (شيء) في

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٢، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٤، وابن

وثيق: الجامع ص ٥٧.

كل القرآن، وليس بالمشهور^(١).

وزِيدَتِ الألف في ﴿وَجَاءَ﴾ في سورة الزمر [٦٩] والفجر [٢٣]^(٢).

وزادوا الألف في: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ﴾ في سورة يوسف [٨٧]، وفي ﴿أَفَلَمْ يَأْتِينَ﴾ في الرعد [٣١]، واخْتَلَفَ في زيادتها في: ﴿فَلَمَّا أَسْتَيْسُوا مِنْهُ﴾ في يوسف [٨٠]، و﴿حَتَّىٰ إِذَا أَسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ﴾ [١١٠] في يوسف أيضاً، ففي بعضها بالألف، وفي بعضها بغير ألف^(٣).

وزاد كُتِّبُ المصاحف الألف بعد الواو الواقعة في آخر الكلمة سواء كانت لاماً للفعل، أو ضميراً للجمع، أو علامة للإعراب، أو بدلاً من الهمزة، إلا ما اسْتُشِّيَ من ذلك^(٤):

فمثال زيادة الألف بعد واو الجمع المنطرفة المتصلة بالفعل ﴿ءَامَنُوا﴾ [البقرة: ٩]، و﴿لَا تُفْسِدُوا﴾ [البقرة: ١١]، و﴿فَأَسْعُوا﴾ [الجمعة: ٩]، وخرَجَ عن ذلك ستة أفعال، وهي: ﴿وَبَاءُوا﴾ و﴿جَاءُوا﴾ حيث وقعا، و﴿فَاءُوا﴾ في البقرة [٢٢٦]، و﴿وَعَتُوا﴾ في الفرقان [٢١]، و﴿سَعَوْ﴾ في سبأ [٥]، و﴿تَبَوَّءُوا﴾ في الحشر [٩]، فُرْسِمَتْ بدون ألف.

ومثال زيادتها بعد الواو الواقعة لاماً للفعل: ﴿أَشْكُوا﴾ في يوسف [٨٦]، و﴿فَلَا يَرِيئُوا﴾ [الروم: ٣٩]، و﴿لَنْ نَدْعُوا﴾ [الكهف: ١٤]، و﴿حُدِفَتْ﴾ في ﴿أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ﴾ في النساء [٩٩].

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٢، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٣، وأبو داود: مختصر التبيين ٣/٨٠٥، وابن وثيق: الجامع ص ٥٨.

(٢) ينظر: الداني: المحكم ص ١٧٤ - ١٧٥، وأبو داود: مختصر التبيين ٢/٩٣، و٥/١٢٩٥، وابن وثيق: الجامع ص ٥٨، والضباع: سمر الطالبين ١/٣١٥.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٨٥ - ٨٦، وأبو داود: مختصر التبيين ٣/٧٢٥ - ٧٢٦ و٧٣٢، وابن وثيق: الجامع ص ٥٨.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ٢٧ - ٢٨ و٤٢ و٥٥ - ٥٨، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ٥٧ - ٦٠، والجهني: البديع ص ٣٧ - ٤٠، وأبو داود: مختصر التبيين ٢/٧٨ - ٨٥، وابن وثيق: الجامع ص ٥٦ - ٥٧.

ومثال زيادتها بعد الواو الواقعة علامة للإعراب في الجمع المذكور السالم المضاف: ﴿مُرْسِلُوا أَلْتَأَقَةَ﴾ في القمر [٢٧]، و﴿كَاشِفُوا الْعَذَابِ﴾ في الدخان [١٥].

ومثال زيادتها بعد الواو الواقعة بدلاً عن الهمزة في آخر الكلمة: ﴿جَزَوُا﴾ في المائدة [٣٣]، و﴿الْبَلْتَوَا﴾ في الصافات [١٠٦]، و﴿شُرَكَوَا﴾ في الأنعام [٩٤]، و﴿الْعَلَمَوُا﴾ في فاطر [٢٨]، و﴿نَشْتَوُا﴾ في هود [٨٧]، و﴿شَفَعَوُا﴾ في الروم [١٣]، و﴿دُعَتَوُا﴾ في غافر [٥٠]، و﴿يَعْبَوُا﴾ في الفرقان [٧٧]، و﴿نَبَوُا﴾ في إبراهيم [٩]، و﴿يَبْدَوُا﴾ في يونس [٤].

وتشير بعض كتب رسم المصحف إلى زيادة الألف في قوله تعالى: ﴿لَيْكِنَّا﴾ في الكهف [٣٨]، وفي ﴿الظُّنُونَا﴾ [١٠]، و﴿الرَّسُولَا﴾ [٦٦]، و﴿السِّيَلَا﴾ [٦٧] في سورة الأحزاب، وفي ﴿قَوَارِبَا﴾ في الإنسان [١٤ و ١٥]^(١)، وهذه الزيادة ليست كزيادة الألف في المواضع السابقة؛ لأن أكثر القراء يُثْبِتُونَ هذه الألفات في الكلمات المذكورة وصلاً ووقفاً أو وقفاً فقط^(٢)، وإنما يُحَكِّمُ على الحرف بالزيادة إذا لم يكن هناك ما يقابله في النطق والقراءة.

ثانياً: زيادة الياء:

زِيدَتِ الياء في الرسم في عدد من الكلمات، منها ما وقعت الزيادة فيها في وسط الكلمة، بعد همزة محركة بالكسر، أو همزة مفتوحة بعد كسرة، وذلك في المواضع الآتية^(٣):

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٨ - ٣٩، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٣،

وأبو داود: مختصر التبيين ٩٩٩/٤، وابن وثيق: الجامع ٥٨.

(٢) ينظر: الداني: التيسير ص ١٤٣ و ١٧٨ و ٢١٧، وابن الجزري: النشر ٣١١/٢ و ٣٤٧ و ٣٩٥.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٧، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٦، والجهني:

البدیع ص ٤٥، وأبو داود: مختصر التبيين ٣٦٩/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٦٠.

ونص الداني في المقنع ص ٩٤، وأبو داود في مختصر التبيين ٧٤٥/٣ على رسم ﴿يَأْتِنِم﴾ في إبراهيم [٥] بيايين من غير ألف في بعض المصاحف، وتحتمل الياء =

﴿أَفَايِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾ في سورة آل عمران [١٤٤].

و﴿أَفَايِن مَتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ في الأنبياء [٣٤].

و﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ في الذاريات [٤٧].

و﴿يَايَتِيكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ في القلم [٦].

وزِيدَتِ الياء أيضاً في آخر بعض الكلمات، منها: ﴿مِن نَّبَائِي الْمُرْسَلِينَ﴾ في الأنعام [٣٤]، وقيل زيدت في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ نَبَلٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ في الأنعام أيضاً [٦٧]^(١).

وعدَّ علماء الرسم مما زيدت فيه الياء الكلمات الآتية التي وقعت في آخرها همزة مكسورة قبلها ألف، وكان حقها ألا تُرسم فيها صورة للهمزة، لكن كُتِبَ المصاحف رسموها ياء^(٢):

﴿مِن تِلْقَائِي نَفْسِي﴾ في يونس [١٥].

و﴿وَإِنِّي ذِي الْفُرْتِ﴾ في النحل [٩٠].

و﴿وَمِنْ آتَائِي اللَّيْلِ﴾ في طه [١٣٠].

و﴿مِن وَرَائِي حِجَابٍ﴾ في الشورى [٥١].

واختلفت المصاحف في زيادتها في ﴿بَلِقَائِي رَبِّهِمْ﴾ [٨]، و﴿وَلِقَائِي الْأَخْرَةِ﴾ [١٦] في الروم^(٣).

ثالثاً: زيادة الواو:

زاد كُتِبَ المصاحف الواو في عدد من الكلمات، خاصة بعد همزة

= الثانية أن تكون زائدة، وأن تكون صورة للألف، وهو ما جرى عليه ضبط مصحف المدينة النبوية.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٨، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٦، والجهني: البديع ص ٤٥.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٧، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٦، والجهني: البديع ص ٤٥.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٧، وأبو داود: مختصر التبيين ٢/٣٧٠، وابن وثيق: الجامع ص ٦٠.

مضمومة، فزادوها في الكلمات الآتية: ﴿أُولَآءِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، و﴿يَتَأُولِي﴾ [البقرة: ١٧٩]، حيث وقعا، و﴿أُولَاتٍ﴾ في الطلاق [٤ و ٦]، و﴿أُولَآءِ﴾ كيف جاء، نحو: ﴿أُولَآءِ يُحِبُّونَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩]، و﴿أُولَآئِكَ عَلَىٰ هُدًى﴾ [البقرة: ٥]، و﴿وَأُولَآئِكَ جَعَلْنَا﴾ [النساء: ٩١]^(١).

وزيدت الواو في مصاحف أهل المدينة وأهل العراق في:

﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَنَسِيقِينَ﴾^(١٤٥) في الأعراف [١٤٥].

و﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ في الأنبياء [٣٧].

واختلفت مصاحفهم في زيادتها في ﴿وَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾ في طه [٧١]، والشعراء [٤٩]، فوقعت في بعضها بالواو (وَأَصْلَبَنَّاكُمْ) وفي بعضها بغير واو، ولم يختلفوا في حذفها من التي في الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّاكُمْ﴾ [١٢٤]^(٢).

ضوابط منظومة:

قال الشاطبي في العقيلة في باب ما زيدت فيه الياء:

- ١٩٠ - ﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ زيد ياءه وفي
 ١٩١ - وفي ﴿وَإِنِّي ذِي الْفُرْتَحِ﴾ ﴿بَابِيكُمْ﴾
 ١٩٢ - ﴿مِنْ نَبِيٍّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ثُمَّ فِي مَلٍ
 ١٩٣ - (لِقَائِي) فِي الرُّومِ لِلغَزَايِ، (وَكُلُّهُمْ)
 ﴿تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ ﴿وَمِنْ أَنَايِ﴾ لَا عَسِرًا
 ﴿بِأَيْدِي﴾ إِنْ مَاتَ مَعَ إِنْ مِتَّ طَبَّ عُمَرَا
 إِذَا أَضِيفَ إِلَىٰ إِضْمَارٍ مِّنْ سِتْرًا
 بَالِيَا بَلَا أَلْفٍ فِي ﴿الَّتِي﴾ قَبْلُ تُرَىٰ

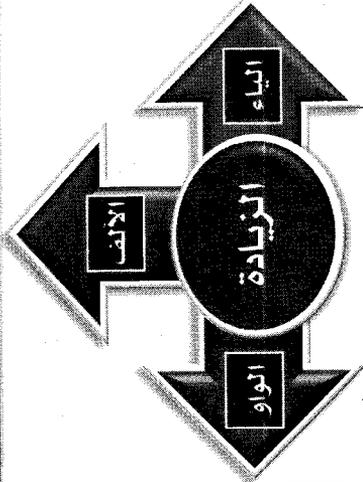
(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٥٣، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٨، وأبو

داود: مختصر التبيين ٧٥/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٥٩.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٥٣، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٨، وأبو

داود: مختصر التبيين ٥٧٢/٣، وابن وثيق: الجامع ص ٥٩.

- (١) زِيدَتِ الألفُ في الرسمِ في وسطِ عددٍ من الكلماتِ مثل: ﴿وَمَاكَ﴾، ﴿بِنَاتِي﴾، ﴿رَبَانِي﴾.
- (٢) زِيدَتِ الألفُ بعد اللامِ الف في عددٍ من الكلماتِ، منها: ﴿أَأْتِيَنَّ﴾، وَاخْتَلَفَتِ المصاحفُ في غيرها.
- (٣) زِيدَتِ الألفُ بعد الواوِ المتطرفةِ في الأسماءِ والأفعالِ، نحو: ﴿عَاشِرًا﴾، ﴿أَنكَرًا﴾، ﴿مُرْتَلِمًا﴾، ﴿الْمَكْتُومًا﴾.
- (٤) زِيدَتِ الفُ في آخرِ ﴿لِنَكَا﴾، ﴿الْمَطْرُفَا﴾، ﴿التَّيْبِلَا﴾، ﴿قَوْرِيهَا﴾، وَاخْتَلَفَ القراءُ في إضافتها وحذفها، وأكثرهم وقفٌ عليها بالألفِ.



- زِيدَتِ الواوُ في ﴿أُولَا﴾، ﴿أُولِيكَ﴾ ونحوها.
- زِيدَتِ الواوُ في بعضِ المصاحفِ في ﴿سَأُزِيرُكَ﴾، وَاخْتَلَفَ في زيادتها في ﴿رَأَيْتَ سَيْدًا﴾.

- زِيدَتِ الياءُ بعد همزةٍ مكسورةٍ أو همزةٍ مفتوحةٍ بعد كسرةٍ، نحو: ﴿قَاتِنِ﴾، ﴿بَاتِرِ﴾.
- زِيدَتِ الياءُ في آخرِ بعضِ الكلماتِ التي آخرها همزةٌ مكسورةٍ، نحو: ﴿بَيْنَ﴾ و﴿بَيْنَ تَلْقَايَ﴾، ﴿بِنَاتِي﴾.

خلاصة

- ١ الزيادة هي أن يُرَسَمَ حرف ليس له مقابل صوتي في النطق.
- ٢ وقعت الزيادة في رسم المصحف في حروف العلة الثلاثة: الألف والواو والياء.
- ٣ زيدت الألف في الرسم في وسط عدد من الكلمات مثل ﴿يَأْتِي﴾ و﴿يَأْتِي﴾، و﴿يَأْتِي﴾.
- ٤ زيدت الألف بعد اللام ألف في عدد من الكلمات، منها: ﴿لَأَنْبَحْتَهُ﴾، واختلفت المصاحف في غيرها.
- ٥ زيدت الألف بعد الواو المتطرفة في الأسماء والأفعال، نحو: ﴿أَمْتُوا﴾ و﴿أَشْكُوا﴾ و﴿مَرَبُوا﴾ و﴿أَعْلَمُوا﴾.
- ٦ زيدت الياء بعد همزة مكسورة أو همزة مفتوحة بعد كسرة، نحو: ﴿أَقْبَانٍ﴾ و﴿بَاتِرٍ﴾.
- ٧ زيدت الياء في آخر عدد من الكلمات التي آخرها همزة مكسورة، نحو: ﴿مِنْ تَبَانٍ﴾ و﴿مِنْ تَبْقَانِي﴾ و﴿بِلْقَانِي﴾.
- ٨ زيدت الواو في ﴿أَوْوُوا﴾ و﴿أَزْلَيْتَكَ﴾ ونحوها.
- ٩ زيدت الواو في بعض المصاحف في ﴿سَأَلْتُمْكُمْ﴾ واختلفت في زيادتها في ﴿وَأَسْأَلْتُمْكُمْ﴾.
- ١٠ رُسِمَتِ الألف في آخر ﴿لِكِنَّا﴾ و﴿الْقُنُوتَا﴾ و﴿الرَّسُولَا﴾ و﴿السَّبِيلَا﴾ و﴿تَوَارِيهَا﴾، واختلف القراء في إثباتها وحذفها، وأكثرهم وَقَفَ عليها بالألف.

أسئلة تقويمية

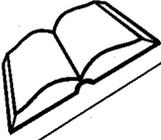
- ١ - ما المقصود بالزيادة في الرسم؟
- ٢ - اذكر الحروف التي وقعت فيها الزيادة؟
- ٣ - ما أشهر الكلمات التي وقعت فيها زيادة الألف في وسطها؟
- ٤ - ما الأفعال التي استُثِنَتْ من زيادة الألف بعد الواو في آخرها؟
- ٥ - ما نوع زيادة الألف في آخر ﴿لَكِنَّا﴾ و﴿الظُّنُونَا﴾ و﴿الرَّسُولَا﴾ و﴿السَّبِيلَا﴾ و﴿قَوَارِيرَا﴾؟
- ٦ - اذكر الكلمات التي اتَّفَقَ على زيادة ألف بعد اللام ألف فيها، والكلمات المختلف في زيادتها فيها؟
- ٧ - ما الكلمات التي زيدت الياء في وسطها؟
- ٨ - ما الكلمات التي زيدت الياء في آخرها؟
- ٩ - ما الأسماء التي زيدت فيها الواو؟
- ١٠ - ما الأفعال التي زيدت فيها الواو؟

تطبيق عملي

بيِّن نوع الزيادة وموضعها في الكلمات القرآنية الآتية:

الزيادة	النص	السورة والآية	ت
	﴿يَأْتِيَكُمْ الْمَفْتُونُ﴾	القلم ٦	١
	﴿يَقْلِبُوا مَا فِي يَدَيْهِ﴾	الأَنْفَال ٨	٢
	﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾	البقرة ٢٧	٣
	﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَأِ الْمُرْسَلِينَ﴾	الأنعام ٣٤	٤

الزيادة	النص	السورة والآية	ت
	﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ﴾	الكهف ١٨	٥
	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	فاطر ٢٨	٦
	﴿الَّذِينَ يُظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا رَبَّهُمْ﴾	البقرة ٤٦	٧
	﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾	يوسف ١٢	٨
	﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾	الشورى ٥١	٩
	﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	الأحزاب ١٠	١٠



المبحث الثالث

البدل

الْبَدَلُ هو ما وقع في المصحف من قلبِ حرفٍ إلى حرفٍ، أو رَسَمِ صوتٍ بغير الرمز الذي وُضِعَ له في الكتابة العربية، والحروف التي وقع فيها البدل في المصحف الألف التي رُسِمَتْ واواً في عدد من الكلمات وياءً في أخرى، وكذلك وقع البدل في تاء التأنيث في الأسماء فَرُسِمَتْ هاءً مرة وتاءً أخرى.

وذكر عدد من علماء الرسم من البدل رسم السين صاداً في ﴿الصِّرَاطِ﴾ و﴿صِرَاطِ﴾ حيث وقعا، وكذلك ﴿وَيَبْصُطُ﴾ في البقرة [٢٤٥]، و﴿بَصْطَةً﴾ في الأعراف [٦٩]^(١)، وأحسب أن هذا لا يدخل في باب البدل المحض؛ لأن أكثر القراء يقرؤون تلك الكلمات بالصاد.

وكذلك رَسَمُ التنوين نوناً في ﴿وَكَايْنِ﴾ حيث وقع، ورَسَمُ النون الساكنة ألفاً في لفظة ﴿إِذَا﴾ حيث وقعت، وفي قوله ﴿وَلِيَكُونَا﴾ في يوسف [٣٢]، و﴿لَسْتَفَا﴾ في العلق [١٥]، ليس من البدل المحض الذي يُرَسَمُ فيه الصوت بغير الرمز المخصص له^(٢).

ومن ثم فإن هذا المبحث سيدور على البدل المحض الذي رُسِمَتْ فيه الألف واواً، أو ياءً، والذي رُسِمَتْ فيه التاء هاءً.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٩١ - ٩٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٥٦/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٦٣، والضباع: سمير الطالبين ٤١٢/٢.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٣ - ٤٤، وابن وثيق: الجامع ص ٦٦، والضباع: سمير الطالبين ٤١٤/٢.

أولاً: رسم الألف واوياً:

اتفقت المصاحف على رسم الألف واوياً في ﴿الصَّلَاةُ﴾ و﴿الرَّكُوعَةُ﴾ و﴿الْحَيَاةُ﴾، حيث وقعت، ما لم تكن مضافة إلى ضمير، فإن أُضيفت إلى ضمير كُتِبَت بالألف على الأرجح، وفي إثبات الألف في الرسم وحذفها خلاف، والأشهر إثباتها، وذلك في نحو ﴿صَلَاتِي﴾ [الأنعام: ١٦٢]، و﴿حَيَاتِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وما أشبه ذلك.

واخْتَلَفَ في ﴿رُكُوعًا﴾ و﴿حَيَاةً﴾ النكرتين، والأشهر كتبهما بالواو.

ومن ذلك أيضاً ﴿كَمَشْكُورًا﴾ في النور [٣٥]، و﴿الْجُودَةُ﴾ في غافر [٤١]، و﴿وَمِنَّةً﴾ في النجم [٢٠]، و﴿بِالْعُدُوَّةِ﴾^(١) في الأنعام [٥٢] والكهف [٨]، و﴿الرِّيَافًا﴾ حيث وقع إذا كان بالألف واللام، فإن كان نكرة وذلك في الروم في قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ [الروم: ٣٩] فالأشهر كُتِبَ بالألف^(٢).

ثانياً: رسم الألف ياءً:

إذا كانت الألف متطرفة فإن الأصل فيها أن تُرْسَمَ برمز الألف، وقد اتفقت المصاحف على رسم ما كان من الأسماء والأفعال على ثلاثة أحرف، وكان أصل الألف فيها الواو، بالألف، نحو: ﴿الصَّفَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، و﴿شَفَا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، و﴿سَنَا﴾ [النور: ٤٣]، و﴿خَلَا﴾ [البقرة: ٧٦]، و﴿عَفَا﴾ [آل عمران: ١٥٢]، و﴿دَعَا﴾ [آل عمران: ٣٨]، و﴿بَدَا﴾ [الأنعام: ٢٨]، و﴿نَجَا﴾ [يوسف: ٤٥]، و﴿عَلَا﴾ [القصص: ٤].

(١) قرأ ابن عامر الكلمة في الموضعين بالواو وضم الغين (بالْعُدُوَّةِ)، ومن ثم لا إبدال في رسم الكلمة على قراءته، وقرأ الباقون من السبعة بالألف وفتح الغين (بالغداة)، ينظر: الداني: التيسير ص ١٠٢.

(٢) ينظر: في مواضع رسم الألف واوياً:

الداني: المقنع ص ٥٤، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٥١ - ٥٣، وأبو داود: مختصر التبيين ٧٠/٢ - ٧٢ وابن وثيق: الجامع ص ٦٣، والضباع: سمير الطالبيين ٣٩٥/٢.

واستثنِي من ذلك إحدى عشرة كلمة، فإنها رسمت بالياء، وهي:
﴿صُحِّي﴾ في الأعراف [٩٨]، وفي طه [٥٩]، و﴿زَكَّى﴾ في النور [٢١]،
و﴿دَحَنَهَا﴾ [٣٠] و﴿صَحَّهَا﴾ [٢٩ و ٤٦] في النازعات، و﴿وَضَحَّهَا﴾ [١]، و﴿لَلَّهَا﴾
[٢]، و﴿طَحَّهَا﴾ [٦] في الشمس، و﴿وَالضَّحَى﴾ ﴿١﴾ وَاللَّ إِذَا سَجَى﴾ في الضحى
[٢، ١] (١).

وانفقت المصاحف على رسم الألف ياء في كل موضع كانت الألف فيه
لام الكلمة: منقلبة عن ياء، أو منقلبة إليها في بعض الأحوال، أو مُشَبَّهَةٌ
بالمنقلبة، سواء اتصل بها ضمير أم لم يتصل، لَقِيَهَا ساكن أو متحرك، وذلك
نحو: ﴿أَنَّى﴾ [النحل: ١]، و﴿ءَاتَنكُمْ﴾ [الأنعام: ٤٠]، و﴿هُدَى﴾ [البقرة: ٢]،
و﴿مُوسَى﴾ [البقرة: ٥١]، و﴿عَزَى﴾ [آل عمران: ١٥٦]، و﴿كُسَالَى﴾ [النساء:
١٤٢]، و﴿يَوَيْلَى﴾ [المائدة: ٣١]، و﴿مَتَى﴾ [البقرة: ٢١٤]، و﴿وَعَسَى﴾
[البقرة: ٢١٦]، و﴿أَنَّى﴾ [البقرة: ٢٢٣]، و﴿بَلَى﴾ [البقرة: ٨١]، و﴿حَتَّى﴾ [البقرة:
٢١٤]، و﴿عَلَى﴾ [البقرة: ٥]، و﴿إِلَى﴾ [البقرة: ١٤]، و﴿مُرْجَلَةٌ﴾ [يوسف: ٨٨]،
و﴿إِنَّهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، و﴿تَقَنَّتْ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وما أشبه ذلك، حيث
وقع.

واستثنِي من ذلك أصل مطرد وسبعة أحرف، فإن المصاحف لم تختلف
في رسمها بالألف، فالأصل المطرد هو كل موضع لو كتبت فيه الألف ياء
لاجتمع فيه ياءان، نحو: ﴿الدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٨٥]، و﴿الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠]،
و﴿الرِّيَا﴾ [الإسراء: ٦٠]، و﴿الْحَوَايَا﴾ [الأنعام: ١٤٦]، و﴿فَأَحْيَا﴾ [البقرة:
١٦٤]، و﴿مُتَوَاتٍ﴾ [يوسف: ٢٣]، و﴿هُدَايَ﴾ [البقرة: ٣٨]، وما أشبه ذلك، إلا
ما كان من لفظ ﴿يَحْيَى﴾ اسم النبي، و﴿وَيَحْيَى مِّنْ حَى﴾ [الأنفال: ٤٢]،
و﴿وَلَا يَحْيَى﴾ في طه [٧٤]، والأعلى [١٣]، فإن ذلك كُتِبَ بالياء، أما قوله
تعالى: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ في المؤمنون [٣٧] والزخرف [٢٤] فبالألف لا غير.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٦، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٥٠، وأبو
داود: مختصر التبيين ١٦٥/٢.

أما الأحرف السبعة التي كُتِبَت بالألف وإن كان القياس يقتضي رسمها بالياء؛ لأن أصلها الياء، فهي: ﴿عَصَانِي﴾ في إبراهيم [٣٦]، و﴿أَلْفَصَا﴾ في الإسراء [١]، و﴿تَوَلَّاهُ﴾ في الحج [٤]، و﴿أَقْصَا﴾ في القصص [٢٠] ويس [٢٠]، و﴿سِيمَاهُمْ﴾ في الفتح [٢٩]، و﴿طَفَا﴾ في الحاقة [١١]^(١).

واستثنى من ذلك ما كان من لفظ ﴿رَأَى﴾ و﴿رَأَاهُ﴾ حيث وقع ذلك، فكَتِبَ بالألف إلا في موضعين في سورة النجم ﴿رَأَى﴾ [١١]، و﴿لَقَدْ رَأَى﴾ [١٨]، فُكِّبَا بالياء مع الألف.

واختلِفَ في ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ في غافر [١٨] فُكِّبَ بعضهم ﴿لَدَى﴾ بالياء وبعضهم بالألف، وأما ﴿لَدَا أَلْبَابٍ﴾ في يوسف [٢٥] فبالألف لا غير. واختلِفَ في رسم الألف في ﴿وَسَقِيَهَا﴾ في الشمس [١٣]، فكتبها بعضهم بياءين، وبعضهم بياء وألف بعدها، وبعضهم بياء واحدة وحذَفَ الألف، وعليه العمل في مصحف المدينة.

ولا خلاف في أن ﴿كَلَّمَ﴾ [الكهف: ٣٣]، و﴿تَرَاتُّبًا﴾ [المؤمنون: ٤٤]، أنهما بالألف^(٢).

ثالثاً: رسم هاء التانيث تاء:

اعتنى علماء الرسم بحصر المواضع التي رُسِمَتْ فيها هاء التانيث في الأسماء تاء، وكان علماء العربية قد اختلفوا في تحديد أيهما الأصل التاء أو الهاء، فذهب سيبويه وجماعة من النحويين إلى أن التاء هي الأصل، وذهب ثعلب وآخرون إلى أن الهاء هي الأصل^(٣).

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٣ - ٦٤، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٥٣، وأبو داود: مختصر التبيين ٦٣/٢ - ٦٩، وابن وثيق: الجامع ص ٦٤.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٣ و ٦٤ و ٦٥، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٥٤، وابن وثيق: الجامع ص ٦٥، والمارغني: دليل الحيران ص ٢٧٤.

(٣) ينظر: سيبويه: الكتاب ١٦٦/٤ و ٢٨٣، وابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٨٢، وابن يعيش: شرح المفصل ٨١/٩، والإستراباذي: شرح الشافية ٢/ ٢٨٨، والجعبري: جميلة أرياب المراصد ص ٧٠٢.

ولما كان أكثر تلك الأسماء قد رُسِمَتْ بالهاء فإن علماء الرسم اعتنوا بإحصاء الكلمات التي رسمت بالتاء لأنها الأقل، وهي:

١ - رحمة:

وردت كلمة (رحمة) في المصحف معرفة بآل، أو مضافة إلى اسم ظاهر، أو غير مضافة، في تسعة وسبعين موضعاً^(١)، رُسِمَتْ في سبعة مواضع منها بالتاء المسبوطة، وهي^(٢):

﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ في البقرة [٢١٨].

﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في الأعراف [٥٦].

﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ في هود [٧٣].

﴿ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ في مريم [٢].

﴿فَأَنْظِرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ في الروم [٥٠].

﴿أَمْرٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ في الزخرف [٣٢].

﴿وَرَحْمَتِ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الزخرف أيضاً [٣٢].

وجميع هذه الكلمات مما أضيف إلى اسم ظاهر، وما لم يُصَفَّ كُلُّهُ مرسوم بالهاء، وليس جميع ما أضيف إلى اسم ظاهر مرسوماً بالتاء، فقد جاءت ثلاثة مواضع مرسومة بالهاء، وهي:

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِن رَّحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في آل عمران [١٠٧].

﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ في الإسراء [١٠٠].

﴿لَا تَقْطُطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ في الزمر [٥٣].

٢ - نعمة:

وردت كلمة (نعمة) مكسورة النون^(٣) مضافةً أو مُنْكَرَةً غير مضافة في

(١) ينظر: محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٠٥.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٣/١، والداني: المقنع ص ٧٧، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٦، والجهني: البديع ص ٣١.

(٣) وردت (نعمّة) مفتوحة النون مرسومة بالهاء في موضعين:

أربعة وثلاثين موضعاً، وهي مرسومة بالهاء سوى أحد عشر موضعاً فإنها رُسِمَتْ بالتاء، أولها في سورة البقرة ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [٢٣١]، وفي آل عمران [١٠٣]، وفي المائدة [١١]، وفي إبراهيم موضعان [٢٨ و ٣٤]، وفي النحل ثلاثة مواضع [٧٢ و ٨٣ و ١١٤]، وفي لقمان [٣١]، وفي فاطر [٣] وفي الطور [٢٩]^(١).

٣ - امرأة:

وردت كلمة (امرأة) في المصحف مضافةً أو مُنْكَرَةً غير مضافة في أحد عشر موضعاً، رُسِمَتْ في سبعة مواضع بالتاء، وهي المواضع التي أُضيفت فيها، وأولها في سورة آل عمران: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾ [٣٥]، وفي يوسف موضعان [٣٠ و ٥١]، وفي القصص موضع [٩] وفي التحريم ثلاثة مواضع [١٠ و ١١]^(٢).

٤ - سُنَّة:

وردت كلمة (سُنَّة) في المصحف مضافة إلى اسم ظاهر في ثلاثة عشر موضعاً، رُسِمَتْ في خمسة مواضع منها بالتاء، أولها في الأنفال: ﴿فَقَدَّ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [٣٨]، وثلاثة مواضع في فاطر [٤٣]، وموضع في غافر [٨٥]^(٣).

٥ - لعنة:

وردت كلمة لعنة في المصحف في ثلاثة عشر موضعاً، سبعة مضافة،

= الأول: ﴿وَتَعْمَرُوا فِيهَا فَنكِهِنَّ﴾ في الدخان [٢٧].

الثاني: ﴿وَدَرَبِي وَالْكَذِبِينَ أُولَى التَّعْمَةِ﴾ في المزمّل [١١].

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٤/١، والداني: المقنع ص ٧٧ -

٧٨، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٥، والجهنّي: البديع ص ٣١.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٥/١، والداني: المقنع ص ٧٨،

والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٧، والجهنّي: البديع ص ٣٢.

(٣) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٣/١، والداني: المقنع ص ٧٨،

والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٦، والجهنّي: البديع ص ٣٢.

وثلاثة معرفة بآل، وثلاثة نكرة غير مضافة، رسمت في موضعين بالتاء، الأول: في آل عمران ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾ [٦١]، والثاني: في النور ﴿وَالْحَمْسَةُ اَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ [٧]^(١).

٦ - معصية:

رُسِمَتْ كلمة (معصية) بالتاء في موضعين في سورة المجادلة: ﴿وَيَنْتَجُونَ بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ﴾ [٨]، و﴿فَلَا تَنْتَجِبُوْا بِالْاِثْمِ وَالْعُدْوٰنِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُوْلِ﴾ [٩]^(٢)، ولا ثالث لهما في القرآن الكريم.

٧ - كلمة:

وردت لفظة (كلمة) في ستة وعشرين موضعاً في المصحف، رُسِمَتْ فيها بالهاء إلا أربعة مواضع فإنها مرسومة بالتاء^(٣)، في الأعراف ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنٰى﴾ [١٣٧]، وفي يونس موضعان ﴿كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [٣٣]، و﴿اِنَّ الَّذِيْنَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [٩٦]، وفي غافر موضع ﴿حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِيْنَ كَفَرُوْا﴾ [٦]، وفي بعضها اختلاف^(٤).

وهناك كلمات رسمت بالتاء في موضع واحد، وهي^(٥):

﴿اِنَّ شَجَرَتَ الرَّقُوْمِ﴾ في الدخان [٤٣].

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٦/١، والداني: المقنع ص ٨٠، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٧، والجهني: البديع ص ٣٣.

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٦/١، والداني: المقنع ص ٨٠، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٧، والجهني: البدين ص ٣٤.

(٣) قرأ نافع وابن عامر حرفي يونس وحرف غافر بالجمع، والباقون على التوحيد، ينظر: الداني: التيسير ص ١٢٢، قال الجهني: في البديع (ص ٣٣): «فمن قرأ بالجمع فلا تكون كتابتها على قراءته إلا بالتاء، وكذلك يقف».

(٤) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٦/١، والداني: المقنع ص ٧٩، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٨، والجهني: البديع ص ٣٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٢٧٤/٢ - ٢٧٥.

(٥) ينظر: الداني: المقنع ص ٨٠ - ٨١، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٣٩، والجهني: البديع ص ٣٤ - ٣٥، وابن وثيق: الجامع ص ٦٨ - ٦٩.

﴿وَحَنَّتْ نَعِيرٍ﴾ في الواقعة [٨٩].

﴿يَقِيْتُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ في هود [٨٦].

﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكُ﴾ في القصص [٩].

﴿فَظَرَّتْ اللَّهُ﴾ في الروم [٣٠].

﴿أَبْنَتْ عِمْرَانَ﴾ في التحريم [١٢].

وهناك عدد من الكلمات رُسِمَت بالتاء، وقُرِئَتْ بالإفراد والجمع، فَمَنْ قرأها بالجمع كان حقها أن ترسم بالتاء، وَمَنْ قرأها بالإفراد كان رسمها بالتاء بدل الهاء^(١)، من ذلك: ﴿فَهُمْ عَلَى بَيِّنَاتٍ مِّنْهُ﴾ في فاطر [٤٠]، قرأ نافع وابن عامر وشعبة عن عاصم والكسائي (عَلَى بَيِّنَاتٍ) بالألف على الجمع، والباقون بغير ألف على التوحيد^(٢).

ضوابط منظومة:

قال الشاطبي في العقيلة في باب رسم الألف واوا:

٢٢٢ - والواو في ألفات ك: الزكوة ومشد كوة منوة ﴿التجوة﴾ واضح صوراً

٢٢٣ - وفي ﴿الفلوة﴾ ﴿الحيرة﴾ وأنجلي ألف ال مضاف والحذف في خلف العراق يرى

٢٢٤ - في ألفات المضاف، والعميم بها لدى ﴿حيوة﴾ ﴿زكوة﴾ واو من خبراً

٢٢٥ - وفي ألف صلوات خلف بعضهم والواو تثبت فيها مجوعاً سيراً

وقال الخراز في مورد الظمان في فصل كلمات مخصوصة رُسِمَت فيها

هاء التانيث تاء:

٤٤٤ - فصل وأحرف كذاك رُسِمَت منها ابنت وفي الدخان شجرت

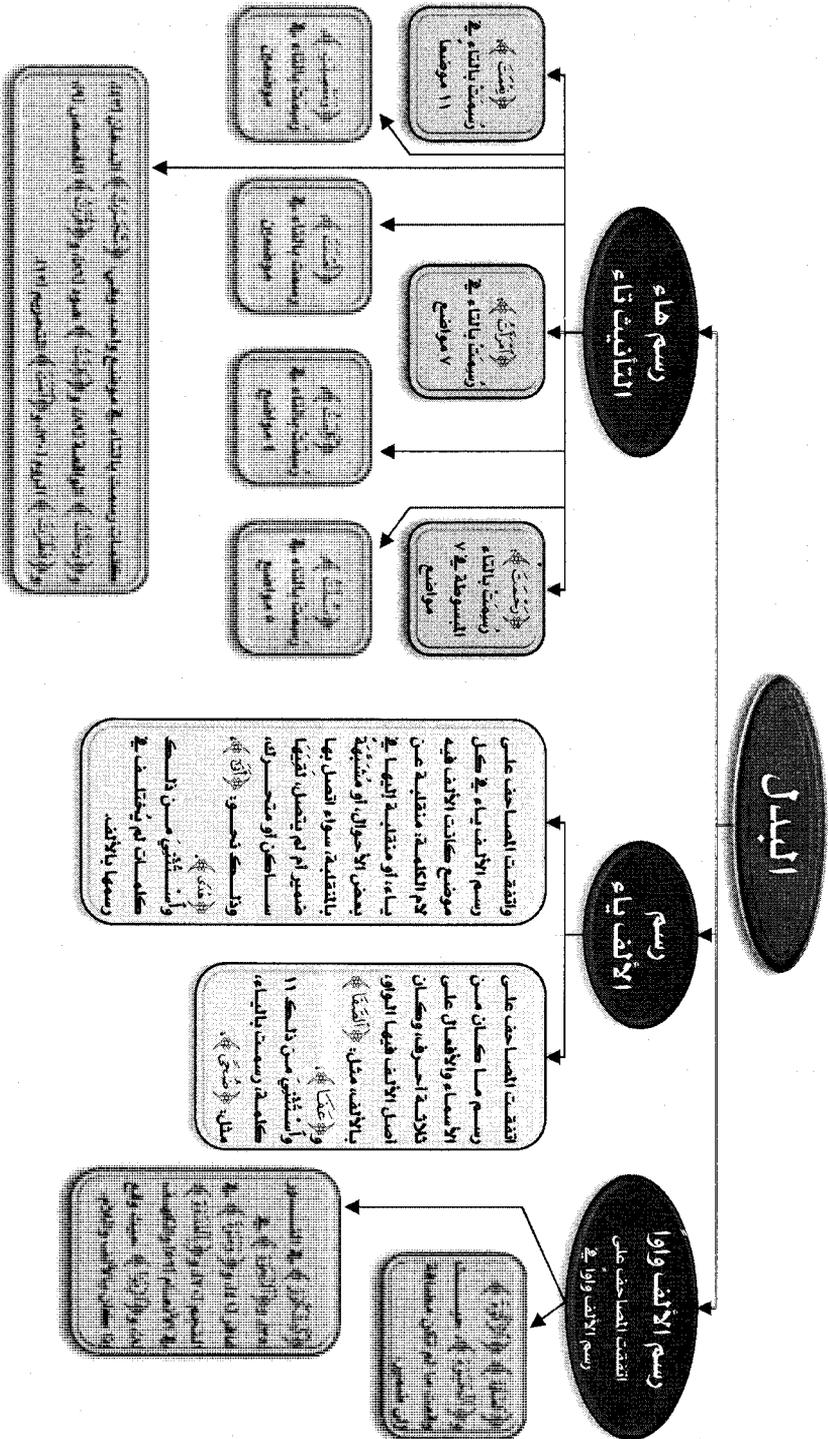
٤٤٥ - وامرات سبعتها وقُرت عَيْن كذا بقيت وِفْطرت

٤٤٦ - ثُمَّ فَنجعل لعنت ولعنت في النور قل والمزُن فيها جنت

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٨١، وابن وثيق: الجامع ص ٦٩، والسخاوي: الوسيلة ص ٤٥٣، والجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٧١٨ - ٧١٩، وابن الجزري: النشر ١٣٠/٢.

(٢) ينظر: الداني: التيسير ص ١٨٢.

- ٤٤٧ - وَمَعْصِيَتْ مَعَاً وَفِي الْأَعْرَافِ كَلِمَتْ جَاءَتْ عَلَى خِلَافِ
 ٤٤٨ - فَرَجَّحَ التَّنْزِيلُ فِيهَا الْهَاءَ وَمُقْنِعٌ حَكَاهُمَا سِوَاءَ
 وجمع ابن الجزري ما رُسِمَ بالتاء في المصحف في قوله في المقدمة:
- ٩٤ - وَرَحِمَتْ: أَلْزُخْرُفِ بِالتَّاءِ زَبْرَهُ لَأَعْرَافِ رُومِ هُودَ كَافِ أَلْبَقَرَةَ
 ٩٥ - نِعْمَتُهَا: ثَلَاثُ نَحْلِ، إِبْرَهُمْ مَعَاً أَخِيرَاتٌ، عُقُودُ الثَّانِ هَمَّ
 ٩٦ - لُقْمَانُ، ثُمَّ فَاطِرٌ، كَالطُّورِ عِمْرَانَ، لَعْنَتْ بِهَا، وَالنُّورِ
 ٩٧ - وَأَمْرَاتٌ: يُوْسُفَ، عِمْرَانَ، أَلْفَصْصَ تَحْرِيْمُ، مَعْصِيَتْ: بِقَدْ سَمِعَ يُحْصِ
 ٩٨ - شَجَرَتْ: أَلدُّخَانَ، سُنَّتْ: فَاطِرِ كُلاً، وَالْأَنْفَالَ، وَأُخْرَى غَافِرِ
 ٩٩ - قُورَتْ عَيْنِ، جَنَّتْ: فِي وَقَعَتْ فِظَرَتْ، بَقِيَّتْ، وَأَبْنَتْ، وَكَلِمَتْ
 ١٠٠ - أَوْسَطَ الْأَعْرَافِ، وَكُلُّ مَا أُخْتَلِفَ جَمْعاً وَفَرْداً فِيهِ بِالتَّاءِ عُرِفَ



خلاصة

- ١ البدل هو رسم صوت بغير الرمز الذي وضع له.
- ٢ وقع البدل في رسم الألف واوياً أو ياءً، ورسم تاء التانيث هاءً.
- ٣ رُسِمَتِ الألف واوياً في ﴿الْمَكْلُوءَ﴾ و﴿الْأَكُوَّةَ﴾ و﴿الْحَبْوَةَ﴾ حيث وقعت ما لم تُضَفَّ إلى ضمير، فإنها تُرْسَمُ حينئذٍ بالألف، واخْتَلَفَ في ما جاء منكراً منها، ورُسِمَتْ واوياً أيضاً في عدد من الكلمات، منها ﴿كَيْشَكُوزَ﴾ و﴿وَمَنُودَ﴾.
- ٤ رُسِمَتِ الألف ياءً إذا كانت لأمّاً للكلمة، وكان أصلها الياء، أو تنقلب إليها في بعض أحوالها، أو أشبهت المنقلبة.
- ٥ اسْتَشْبَهَ من رسم الألف ياءً أصلُ مطرد، وسِعَّ كلمات، فالأصل المطرد كل موضع لو كُتِبَتْ فيه الألف ياءً لاجتمع فيه ياءان، نحو: ﴿الْتِيَا﴾ إلا ما كان من لفظ ﴿بَحِينِ﴾. أما الكلمات السبع فمنها: ﴿الْأَقْصَا﴾ و﴿مَلَقَا﴾ في الحاقة [٦٩].
- ٦ رُسِمَتِ الألف التي أصلها الواو في الكلمات الثلاثية في الأسماء والأفعال بالألف، إلا إحدى عشرة كلمة فإنها رسمت فيها بالياء، منها: ﴿سُحَيِّ﴾ و﴿رَكِي﴾.
- ٧ رُسِمَتِ تاء التانيث في عدد من الأسماء هاءً في مواضع، وتاءً في مواضع أخرى، منها: ﴿رَحْمَةً﴾ و﴿بَعْنَةً﴾ و﴿أَمْرَأَةً﴾، وغيرها.
- ٨ رُسِمَتِ تاء التانيث بالتاء في عدد من الكلمات، وقُرِئَتْ بالإنفراد والجمع، فمن قرأها بالإنفراد كانت التاء بدلاً من الهاء، مثل: ﴿فَهُمْ عَلَى بَيْتِي بَيْتَهُ﴾.

أسئلة تقويمية

- ١ س ما المقصود بالبدل في رسم المصحف؟
- ٢ س اذكر الحروف التي وقع فيها البدل في الرسم؟
- ٣ س ما الكلمات التي رُسِمَتْ فيها الألف واواً باطراد، والكلمات التي رُسِمَتْ فيها الألف واواً في بعض المواضع؟
- ٤ س متى تُرَسَّم الألف ياءً في المصحف؟
- ٥ س ما الكلمات التي اسْتُثِنَتْ من رسم الألف فيها ياء في المصحف؟
- ٦ س ما الكلمات التي رُسِمَتْ فيها الألف ياءً، وكان حَقُّهَا أَنْ تُرَسَّمَ أَلْفًا؟
- ٧ س أيهما الأصل في علامة التانيث في الأسماء: التاء أو الهاء؟
- ٨ س ما الكلمات التي رُسِمَتْ فيها تاء التانيث هاء مرة وتاء أخرى؟

تطبيق عملي

يَبَيِّنُ مَوْضِعَ الْبَدْلِ وَنَوْعَهُ فِي الْكَلِمَاتِ الْقُرْآنِيَةِ الْآتِيَةِ:

ت	السورة والآية	النص	نوع البدل
١	البقرة ٤٣	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾	
٢	الضحى ١ - ٢	﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾	
٣	البقرة ٢٧٦	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتُ﴾	
٤	طه ٧٤	﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾	
٥	البقرة ٢١٨	﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾	
٦	آل عمران ١٠٣	﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	
٧	النجم ٢٠	﴿وَمَنْزُةَ النَّالِةِ الْأُخْرَىٰ﴾	

ت	السورة والآية	النص	نوع البدل
٨	الأحزاب ٥٣	﴿عَبَّرَ نَظْرَيْنِ إِنَّهُ﴾	
٩	النور ٧	﴿وَالْحَلِيسَةَ أَنْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾	
١٠	هود ٨٦	﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ حَيْرٌ لَكُمْ﴾	



المبحث الرابع

أحكام الهمزات

الهمزة أحد حروف العربية، وهي التي نجدها في أول ترتيب الحروف (أ ب ت...)، ويطلق عليها لفظ (ألف)؛ لأن «لفظة الألف كانت مختصة بالهمزة»^(١)، ثم غلب إطلاق لفظ الألف على مدّة الفتحة في مثل: كان، وصارت الهمزة مختصة بالحرف الأول من الأبجدية.

والهمزة حرف مستقل في النطق، «لأنه بُعدُ مخرجها...»^(٢)، ومن ثم فإن كثيراً من العرب كانوا يُخَفِّفُونَهَا في نطقهم، والتخفيف «لغة قريش وأكثر أهل الحجاز... والتحقيق لغة تميم وقيس»^(٣). وانعكس ذلك على طريقة رسمها، فأهل التحقيق رسموها ألفاً أينما وقعت وبأي حركة تحركت، وأهل التخفيف رسموها ألفاً في أول الكلمة، وبحسب ما تؤول إليه في التخفيف في غيره^(٤).

وجرى أكثر رسم الهمزة في المصحف على مذهب أهل التخفيف، قال الداني: «إن أكثر الرسم ورد على التخفيف، والسبب في ذلك كونه لغة الذين وُلُوا نسخ المصاحف زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وهم قريش... فلذلك ورد أكثر الهمز على التسهيل، إذ هو المستقر في طباعهم والجاري على ألسنتهم»^(٥).

(١) ينظر: الإسترأبادي: شرح الشافية ٣/٣٢٠.

(٢) سيويه: الكتاب ٣/٥٤٨.

(٣) ابن يعيش: شرح المفصل ٩/١٠٧، وينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٢٠٩.

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن ٢/١٣٤ و ٣/٣٠، وابن السراج كتاب الخط ص ١١٧، وابن جني: سر صناعة الإعراب ١/٤٦.

(٥) المحكم ص ١٥١.

وقال أبو حيان الأندلسي: «والكتابُ والخطُ في الأكثرِ على حسب تسهيلها لوجهين:

أحدهما: أن التسهيل لغة أهل الحجاز في الجملة...
الثاني: أنه خط المصحف فكان البناء عليه أولى»^(١).

وكانت المصاحف الأولى مجردة من العلامات، ولم يكن للهمزة علامة مميزة حتى وضع لها الخليل رأس العين^(٢)، فكانت توضع على الألف أو الواو أو الياء على قراءة أهل التحقيق.

ولرسم الهمزة في المصحف قواعد، بحسب موقع الهمزة من الكلمة، متقدمة ومتوسطة ومتطرفة، وبحسب حركتها أيضاً، وكان عدد من الكلمات خرج رسم الهمزة فيها على تلك القواعد، وجرى المؤلفون في الرسم على أفراد أحكام رسم الهمزة بفصل مستقل، وإن كانت من باب البدل والقلب، نظراً لكثرة أحكامها، وهذا عرض لأحكام رسم الهمزة بحسب موقعها من الكلمة^(٣):

أولاً: أحكام الهمزة المتقدمة:

وهي الهمزة التي تقع في أول الكلمة، وتُرسم ألفاً سواء كانت مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة، نحو ﴿أَمَرَ﴾ [البقرة: ٢٧]، و﴿أَخَذَ﴾ [آل عمران: ٨١]، و﴿إِزْهَرَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، و﴿إِيَّاكَ﴾ [الفاتحة: ٥]، و﴿أَنْزَلَ﴾ [البقرة: ٤]، و﴿أَوْحَى﴾ [الأنعام: ٩٣]^(٤).

(١) الهجاء ص ١٠٥.

(٢) ينظر: ابن درستويه: كتاب الكتاب ص ٩٩.

(٣) عَرَضَ الداني أحكام رسم الهمزة في المصحف بناء على كونها ساكنة أو متحركة، والساكنة تقع وسطاً وطرفاً، والمتحركة تقع من الكلمة ابتداءً ووسطاً وطرفاً (المقنع ص ٥٩ - ٦٢)، وعرضها ابن وثيق بناء على موقعها من الكلمة: متقدمة ومتوسطة ومتطرفة ثم فصلَ أحوال كل منها من حيث الحركة والسكون (الجامع ص ٧١ - ٨٥)، وعلماء الرسم بين هذا وذاك، وقد اتبعت منهج ابن وثيق في عرض أحكام الهمزة في هذا المبحث، بصورة عامة؛ لأنه أسهل على الدارس.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٠، وأبو داود: مختصر التبيين ٤٢/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٧١.

وكذلك حكمها إذا اتصل بها حرف سابق، مثل ﴿سَاصِرْفُ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، و﴿سَازُنُلُ﴾ [الأنعام: ٩٣]، و﴿لِيَامِرُ﴾ [الحجر: ٧٩]، إلا مواضع رُسِمَتْ فيها الهمزة رَسَمَ المتوسطة، منها ﴿لِثَلَا﴾ [النساء: ١٦٥]، ﴿هَوَّلَاءُ﴾ [البقرة: ٣١]، و﴿يَبَنُومُ﴾ [طه: ٩٤]^(١).

ومما يتعلق برسم الهمزة المتقدمة وجاء على غير القياس زيادة واو بعد الألف في ﴿أُولَئِكَ﴾ [البقرة: ٥]، و﴿سَأُورِيكُمْ﴾ [الأنبياء: ٣٧]، وياء في ﴿بِأَيْدِي﴾ في الذاريات [٤٧]، وتقدمت الإشارة إلى ذلك في المبحث الخاص بالزيادة.

وإذا دخلت همزة الاستفهام على الهمزة المتقدمة، فإن كانت الهمزة التي بعد همزة الاستفهام مفتوحة لم تُرَسَمَ في الكلمة إلا أَلِفٌ واحدة، نحو ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، و﴿أَلِدُّ﴾ [هود: ٧٢].

وإذا كانت الهمزة التي بعد همزة الاستفهام مضمومة رُسِمَتْ بألف واحدة أيضاً، نحو ﴿أَنْزَلَ﴾ [ص: ٨]، و﴿أَلْفِي﴾ [القمر: ٢٥]، إلا في قوله تعالى: ﴿أُوَيْبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥]، فإن همزة الاستفهام رُسِمَتْ أَلِفاً والتي بعدها رُسِمَتْ واواً.

وإذا كانت الهمزة التي بعد همزة الاستفهام مكسورة رُسِمَتْ أَلِفٌ واحدة، نحو ﴿أَاءَدَا﴾ [الرعد: ٥]، و﴿أَاءَنَا﴾ [الرعد: ٥]، وشبهه، إلا في بضعة مواضع فإنها رُسِمَتْ بياء بعد الألف، وذلك في قوله ﴿أَيْتَكُمْ﴾ في الأنعام [١٩]، والنمل [٥٥]، والعنكبوت [٢٩]، وفصلت [٩]، و﴿أَيْنَ﴾ في الشعراء [٤١]، ﴿أَيْتَانَا﴾ في النمل [٦٧]، والصفات [٣٦]، و﴿أَيْدَا﴾ في الواقعة [٤٧]^(٢).

ومما له صلة برسم الهمزة المتقدمة في أول الكلمة همزة الوصل، وهي «همزة زائدة يُوصَلُ بها إلى النطق بالساكن»^(٣)، ولا خلاف في رسم أَلِف

(١) ينظر: ابن وثيق: الجامع ص ٧١، والسخاوي: الوسيلة ص ٣٦٧، والجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٥٧٤.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٥١، والجهني: البديع ص ٤٢ - ٤٤، وابن وثيق: الجامع ص ٧٣.

(٣) ابن السراج: كتاب الخط ص ١٠٨.

الوصل في أول الكلمة، إلا في خمسة مواضع فإنها حُذِفَتْ منها في كل المصاحف، وهي^(١):

- ١ - في (اسم) مضافاً إلى اسم الجلالة في التسمية ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾.
- ٢ - إذا أتت مكسورة ودخلت عليها همزة الاستفهام، نحو قوله: ﴿أَطَّلِعَ﴾ [مريم: ٧٨]، و﴿أَسْتَكْبَرْتَ﴾ [ص: ٧٥].
- ٣ - إذا دخلت همزة الوصل على همزة الأصل الساكنة، وسبقها واو أو فاء، نحو ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، و﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ [البقرة: ٢٣]، فإن سبقها (ثم) أو غيرها مما ينفصل من الكلام ويمكن السكوت عليه أُثْبِتَتْ همزة الوصل بلا خلاف، وذلك نحو قوله: ﴿ثُمَّ أَتَتْهُ﴾ [طه: ٦٤]، و﴿قَالُوا أَتَتْهُ﴾ [الجاثية: ٢٥]، و﴿الَّذِي أَوْتَيْنَ﴾ [البقرة: ٢٨٣].
- ٤ - أن تقع في فعل الأمر من (السؤال) بعد الواو أو الفاء، نحو ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، و﴿فَسَلِّ الْعَادِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٣].
- ٥ - أن تقع مع لام المعرفة، ووليتها لام أخرى قبلها، للتأكيد كانت أو للجر، نحو ﴿لِلَّذِي بِنِكَتِ﴾ [آل عمران: ٩٦]، و﴿وَلِلَّذَارِ الْآخِرَةِ﴾ [الأنعام: ٣٢]، و﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، و﴿لِلَّذِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

ثانياً: أحكام الهمزة المتوسطة:

الهمزة المتوسطة تكون ساكنة أو متحركة، فإن كانت ساكنة فما قبلها لا يخلو من أن يكون مضموماً أو مكسوراً أو مفتوحاً. فالمضموم ما قبلها تُرْسِمُ واو، ونحو: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وما أشبه ذلك إلا أن يقع بعد الهمزة واو نحو: ﴿وَتَوَيَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، و﴿تَوَيَّ﴾ [المعارج: ١٣]، فلا يُصَوَّرُ لها صورة، وكذلك ﴿الرَّيَّ﴾ [الإسراء: ٦٠]، و﴿رَيْيَا﴾ حيث وقع^(٢)، لم تُصَوَّرْ لها صورة أيضاً.

(١) ينظر: المقنع ص ٢٩، وأبو داود: مختصر التبيين ٢٣/٢ - ٢٩ والضباع: سمير الطالين ٣٣٢/١.

(٢) في المصحف: ﴿رَيْيَا﴾ في يوسف [٥]، و﴿رَيْيَى﴾ في يوسف أيضاً [٤٣ و ١٠٠].

والمكسور ما قبلها تُرْسَمُ ياء، نحو ﴿وَيَسَّ﴾ [البقرة: ١٢٦]، و﴿وَيَبَّرِ﴾ [الحج: ٤٥]، و﴿الذَّبُّ﴾ [يوسف: ١٣]، وما أشبه ذلك، إلا أن يقع بعد الهمزة ياء فلا تُصَوَّرُ لها صورة، وذلك في قوله: ﴿وَرِيَاءًا﴾ في مريم [٧٤].

والمفتوح ما قبلها ترسم ألفاً، نحو ﴿الرَّأْسُ﴾ [مريم: ٤]، و﴿وَأَكْسِ﴾ [الواقعة: ١٨]، و﴿يَأْكُلُ﴾ [يونس: ٢٤]، وما أشبه ذلك، إلا في قوله: ﴿فَأَذَرْتُمْ﴾ في البقرة [٧٢] فلم تُصَوَّرَ لها صورة، واختلف في قوله: ﴿أَمْتَلَاتِ﴾ في ق [٣٠] ففي بعض المصاحف بالألف وفي بعضها بحذفها^(١).

وإذا كانت الهمزة المتوسطة متحركة فإن ما قبلها قد يكون ساكناً، وقد يكون متحركاً بإحدى الحركات الثلاث، فإن كان ما قبلها ساكناً فقد يكون الساكن ألفاً أو غيره.

فإن كان الساكن قبل الهمزة غير الألف لم تُرْسَمْ للهمزة صورة بأي حركة تحركت، نحو: ﴿يَسْتَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]، و﴿وَالْأَفِيدَةُ﴾ [النحل: ٧٨]، و﴿مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، و﴿سَيِّتٌ﴾ [الملك: ٢٧]، وما أشبه ذلك، إلا ثلاث كلمات جاءت على غير قياس، وُصُوِّرَتْ فيها الهمزة، وهي: ﴿الْشَّأَةُ﴾ في العنكبوت [٢٠]، والنجم [٤٧]، والواقعة [٦٢]^(٢)، و﴿مَوِيلًا﴾ في الكهف [٥٨]، و﴿السُّوَائِي﴾ في الروم [١٠]^(٣).

وإن كان الساكن قبل الهمزة المتوسطة المتحركة ألفاً فلا تخلو الهمزة أن تكون مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة.

فإن كانت الهمزة مفتوحة لم ترسم لها صورة، نحو ﴿أَبْنَاءَنَا﴾ [آل عمران:

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٥٩، وأبو داود: مختصر التبيين ٥٣/٢ - ٥٥، وابن وثيق: الجامع ص ٧٧، والضباع: سمير الطالبين ٣٣٥/١.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو في المواضع الثلاثة بفتح الشين وألف بعدها، والباقون بإسكان الشين من غير ألف، ينظر: الداني: التيسير ص ١٧٣، والواسطي: الكنز ٥٩٩/٢.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٦١، وأبو داود: مختصر التبيين ٤٧/٢، والسخاوي: الوسيلة ص ٣٧٥، والجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٥٨٩، والمارغني: دليل الحيران ص ٢١٧.

[٦١]، و﴿وَسَاءَ نَأَى﴾ [آل عمران: ٦١]، و﴿جَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٩٢].

وإن كانت الهمزة مضمومة أو مكسورة رُسِمَتِ المضمومة واواً والمكسورة ياء، نحو ﴿ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ [النساء: ١١]، و﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، و﴿إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وما أشبه ذلك، إلا أن يقع بعد المضمومة واو ساكنة، وبعد المكسورة ياء ساكنة أو ياء المتكلم، فإنها حينئذ لا تُرْسَمُ، نحو ﴿جَاءَكُمْ﴾ [النساء: ٩٠]، و﴿إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٤٠]، و﴿ءَابَاءِي﴾ [يوسف: ٣٨]، و﴿دُعَايِي﴾ [نوح: ٦]^(١)، وما أشبه ذلك^(٢).

وإذا تحرك ما قبل الهمزة المتوسطة المتحركة، فإن كانت مفتوحة وانفتح ما قبلها، ولم يقع بعدها ألف، رُسِمَتِ ألفاً، نحو ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١]، و﴿بَدَأَكُمْ﴾ [الأعراف: ٢٩]، و﴿أَسْأَأَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٨]، وما أشبه ذلك، إلا ثلاث كلمات، وهي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ حيث وقعت^(٣)، و﴿وَأَطْمَأَنُّوا﴾ في يونس [٧]، و﴿أَسْمَارَتَّ﴾ في الزمر [٤٥]، فَرُسِمَتْ في بعض المصاحف بإثبات الألف وفي بعضها بحذفها، والعمل على إثباتها في مصحف المدينة^(٤).

فإن وقع بعدها ألف لم ترسم لها صورة، نحو ﴿بَوَّأَ﴾ [يونس: ٨٧]، و﴿مَلَجَتْ﴾ [التوبة: ٥٧].

فإن انضم ما قبلها رُسِمَتِ واواً، سواء أتى بعدها ألف أو لم يأت،

(١) اختلفت المصاحف في قوله: ﴿أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّغُوتُ﴾ في البقرة [٢٥٧]، و﴿إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، ونحوها فَحَذَفَ بعضهم الواو والياء مع الألف التي قبلها، وأثبتها بعضهم وهو الأكثر، ومثل ذلك: ﴿جَزَّؤُهُ﴾ في يوسف في المواضع الثلاثة [٧٤ و ٧٥] بحذف الواو، والأكثر إثباتها، ينظر: الداني: المقنع ص ٣٧، والمارغني: دليل الحيران ص ٢٢٠.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٧، ٦٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٥٠/٢، والسخاوي: الوسيلة ص ٣٨٩، وابن وثيق: الجامع ص ٧٨.

(٣) جاءت في أربعة مواضع في المصحف: في الأعراف [١٨]، وهود [١١٩]، والسجدة [١٣]، وص [٨٥]، وقد أثبت الألف فيها في مصحف المدينة.

(٤) ينظر: الداني المقنع ص ٢٥ - ٢٦، وأبو داود: مختصر التبيين ٥٣٥/٣، والمارغني: دليل الحيران ص ٢٣٦، والضبياع: سمير الطالبين ٣٤٩/١.

نحو: ﴿مُوجَلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، و﴿أَلْفَاؤًا﴾ [النجم: ١١]، وما أشبه ذلك.
وإن انكسر ما قبلها رُسِمَتْ ياءٌ، سواء أتى بعدها ألف أو لم يأت، نحو
﴿خَاطِلَةٌ﴾ [العلق: ١٦]، و﴿السَّيِّئَةِ﴾ [الأعراف: ٩٥]، و﴿رَثَاءً﴾ [البقرة: ٢٦٤]،
وما أشبه ذلك، إلا قوله تعالى: ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ حيث وقع مضافاً أو غير
مضاف، فلم ترسم للهمزة صورة^(١).

وإن كانت الهمزة المتوسطة مضمومة، فإن انفتح ما قبلها ولم يأت بعدها
واو، رُسِمَتْ واواً، نحو: ﴿يَذَرُوكُمْ﴾ [الشورى: ١١]، و﴿يَكَلُوكُمْ﴾ [الأنبياء:
٤٢]، وما أشبه ذلك، وكذلك لو انضم ما قبلها، فإن وقع بعدها واو لم
ترسم، نحو ﴿يُودُهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و﴿يُوسَا﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿رُءُوسَهُمْ﴾
[الإسراء: ٥١]، و﴿رُءُوفٌ﴾ [البقرة: ٢٠٧]، وشبهه.

وإن انكسر ما قبلها ولم يأت بعدها واو رُسِمَتْ ياءٌ، نحو ﴿سَقُرْتُكَ﴾
[الأعلى: ٦]، فإن أتى بعدها واو لم تُصَوَّرَ، نحو ﴿يَسْتَهْرِئُونَ﴾ [الأنعام: ٥]،
و﴿مُتَكُونٌ﴾ [يس: ٥٦]، و﴿لِيُؤَاطَفُوا﴾ [التوبة: ٣٧] وما أشبه ذلك^(٢).

وإن كانت الهمزة المتوسطة مكسورة، ولم يقع بعدها ياءٌ، رُسِمَتْ ياءٌ،
سواء انفتح ما قبلها أو انضم أو انكسر نحو ﴿يَيْسٌ﴾ [المائدة: ٣]، و﴿سَلَّتْ﴾
[التكوير: ٨]، و﴿بَارِيكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤]، وما أشبه ذلك، فإن أتى بعدها ياء لم
تُصَوَّرَ، نحو ﴿مُتَكِينٌ﴾ [الكهف: ٣١]، و﴿السَّهْرَيْنِ﴾ [الحجر: ٩٥]^(٣).

ثالثاً: أحكام الهمزة المتطرفة:

تُرْسَمُ الهمزة المتطرفة حرفاً من جنس حركة ما قبلها، فإن كان ما قبلها
ساكناً لم ترسم لها صورة، سواء كانت هي ساكنة أو متحركة.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٠، وأبو داود: مختصر التبيين ٤٦/٢، وابن وثيق:
الجامع ص ٧٩.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٠ - ٦١، وأبو داود: مختصر التنزيل ٤٧/٢، وابن وثيق:
الجامع ص ٨٠.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٠ - ٦١، وأبو داود: مختصر التبيين ٤٥/٢، وابن وثيق:
الجامع ص ٨٠.

فإن كانت الهمزة المتطرفة ساكنة رُسِمَتْ بعد الفتحة ألفاً، وبعد الكسرة ياء، نحو ﴿أَقْرَأْ﴾ [الإسراء: ١٤]، و﴿نَبِيٌّ﴾ [الحجر: ٤٩]، و﴿وَهَيَّيْ﴾ [الكهف: ١٠]، وشبهه، ولم تأت الهمزة المتطرفة ساكنة بعد ضمة في القرآن، وقياس رسمها أن ترسم واواً^(١).

وإذا كانت الهمزة المتطرفة متحركة فإن سكن ما قبلها لم تُرَسِّمْ لها صورة، بأي حركة تحركت، نحو ﴿دَفَّءٌ﴾ [النحل: ٥]، و﴿أَلْخَبَاءُ﴾ [النمل: ٢٥]، و﴿شَيْءٌ﴾ [البقرة: ٢٠]، و﴿فُرُوءٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، و﴿جَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، وما أشبه ذلك، إلا مواضع نادرة جاءت على خلاف الأصل، فَجُعِلَ للهمزة فيها صورة، وذلك قوله: ﴿أَنْ تَبَوَّأُ﴾ [المائدة: ٢٩]، و﴿لَتَنُوَّأُ﴾ [القصص: ٧٦] فُرَسِّمَتْ الهمزة فيها ألفاً.

وكذلك ﴿أَبْتَوَّأُ﴾ في الأنعام [٥] والشعراء [٦]، و﴿الضَّعْفَتَوَّأُ﴾ في إبراهيم [٢١]، وغازر [٤٧]، و﴿شَفَعَتَوَّأُ﴾ في الروم [١٣]، و﴿عَلَمَتَوَّأُ﴾ في الشعراء [١٩٧]، و﴿أَلْعَلَمَتَوَّأُ﴾ في فاطر [٢٨]، و﴿دُعَتَوَّأُ﴾ في غافر [٥٠]، و﴿أَلْبَلَتَوَّأُ﴾ في الصافات [١٠٦]، و﴿بَلَتَوَّأُ﴾ في الدخان [٣٣]، و﴿بِرَّءَتَوَّأُ﴾ في الممتحنة [٤]، و﴿جَزَّءَتَوَّأُ﴾ في المائدة مواضعان [٢٩ و ٣٢] وفي الزمر [٣٤] والشورى [٤٠] والحشر [١٧]، فقد صُوِّرَتِ الهمزة في هذه المواضع واواً، وحُذِفَتِ الألف التي قبلها، ورُسِمَتْ أَلِفٌ بعدها، تشبيهاً لها بواو الضمير.

ورُسِمَتْ الهمزة المتطرفة بعد الألف ياء في قوله: ﴿مِنْ تَلْقَائِي﴾ في يونس [١٥]، و﴿وَأَيْتَائِي﴾ في النحل [٩٠]، و﴿وَمِنْ أَيْنَائِي﴾ في طه [١٣٠]، و﴿وَرَائِي﴾ في الشورى [٥١]، و﴿وَلِقَائِي﴾ في الموضعين في الروم [٧ و ١٦]^(٢).

وقياس رسم الهمزة في هذه الكلمات أن تُرَسِّمْ وفق القاعدة المطردة على السطر، وسيأتي تعليل رسمها ألفاً أو واواً أو ياء في الفصل الرابع.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٢، وأبو داود مختصر التبيين ٥٤/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٨٢.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٥٧ - ٥٨ و ٦٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٥١/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٨٢ - ٨٣.

وإذا كانت الهمزة المتطرفة مُحَرَّكَةً، وتحرك ما قبلها، رُسِمَت بحرف من جنس حركة ما قبلها، فإذا كانت مفتوحة وانفتح ما قبلها رُسِمَت ألفاً، نحو ﴿ذُرّاً﴾ [الأنعام: ١٣٦]، وإن انكسر ما قبلها رُسِمَت ياء نحو ﴿فُرِيء﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ولم تأت في القرآن مفتوحة بعد ضمة^(١).

وإذا كانت مضمومة وانضم ما قبلها رُسِمَت واواً، نحو ﴿تَوَلَّوْا﴾ [الطور: ٢٤]، و﴿أَمْرُؤُا﴾ [النساء: ١٧٦]، وإذا انكسر ما قبلها رُسِمَت ياء، نحو ﴿تَبَوُّؤُا﴾ [آل عمران: ١٢١].

وإذا كانت مضمومة وانفتح ما قبلها رُسِمَت ألفاً نحو ﴿وَيَسْتَهْزِؤُا﴾ [النساء: ١٤٠]، و﴿أَلْمَلَأُ﴾ [الأعراف: ١٠٩]، وما أشبه ذلك، إلا مواضع قليلة جاءت خارجة عن هذا القياس، فَصُوِّرَتْ فيها الهمزة واواً، ورُسِمَ بعدها ألف، وهي إحدى عشرة كلمة: ﴿نَبَأُ﴾ [إبراهيم: ٩]، حيث وقع، ما عدا الموضع الذي في التوبة ﴿نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [٧٠] فإنه بالألف، وقيل: إنه في مصاحف أهل العراق كسائر المواضع بالواو والألف.

و﴿أَلْمَلَأُ﴾ في أربعة مواضع: في سورة (المؤمنون) موضع [٢٤]، وثلاثة في النمل [٢٩، ٣٢، ٣٨]، و﴿يَبْدُؤُا﴾ [يونس: ٤]، حيث وقع، و﴿تَفْتَوُؤُا﴾ في يوسف [٨٥]، و﴿يَنْفِيؤُا﴾ في النحل [٤٨]، و﴿يَعْبُؤُا﴾ في الفرقان [٧٧]، و﴿يُسْئِؤُا﴾ في الزخرف [١٨]، و﴿يُبْنِؤُا﴾ في القيامة [١٣]^(٢).

وإن كانت الهمزة المتطرفة مكسورة وتحرك ما قبلها فإن انفتح ما قبلها رُسِمَت ألفاً نحو ﴿لِكُلِّ نَبِئٍ﴾ في الأنعام [٦٧]، وشبهه، واختلِفَ في قوله: ﴿مِنْ نَبِئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ في الأنعام [٣٤]، فقيل: إن الياء صورة للهمزة والألف زائدة، وقيل: إن الألف صورة للهمزة والياء زائدة.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٥٠/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٨٣.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٥٥ - ٥٦ و ٦٢، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦١ - ٦٢، وابن وثيق: الجامع ص ٨٣ - ٨٤.

وإن انكسر ما قبلها رُسِمَت ياء، نحو ﴿السَّيِّءِ﴾ [فاطر: ٤٣]، و﴿أَمْرِي﴾ [النور: ١١]، وما أشبه ذلك.

وإن انضم ما قبلها رُسِمَت واواً نحو ﴿اللُّؤْلُؤِ﴾ في الواقعة [٢٣]^(١).

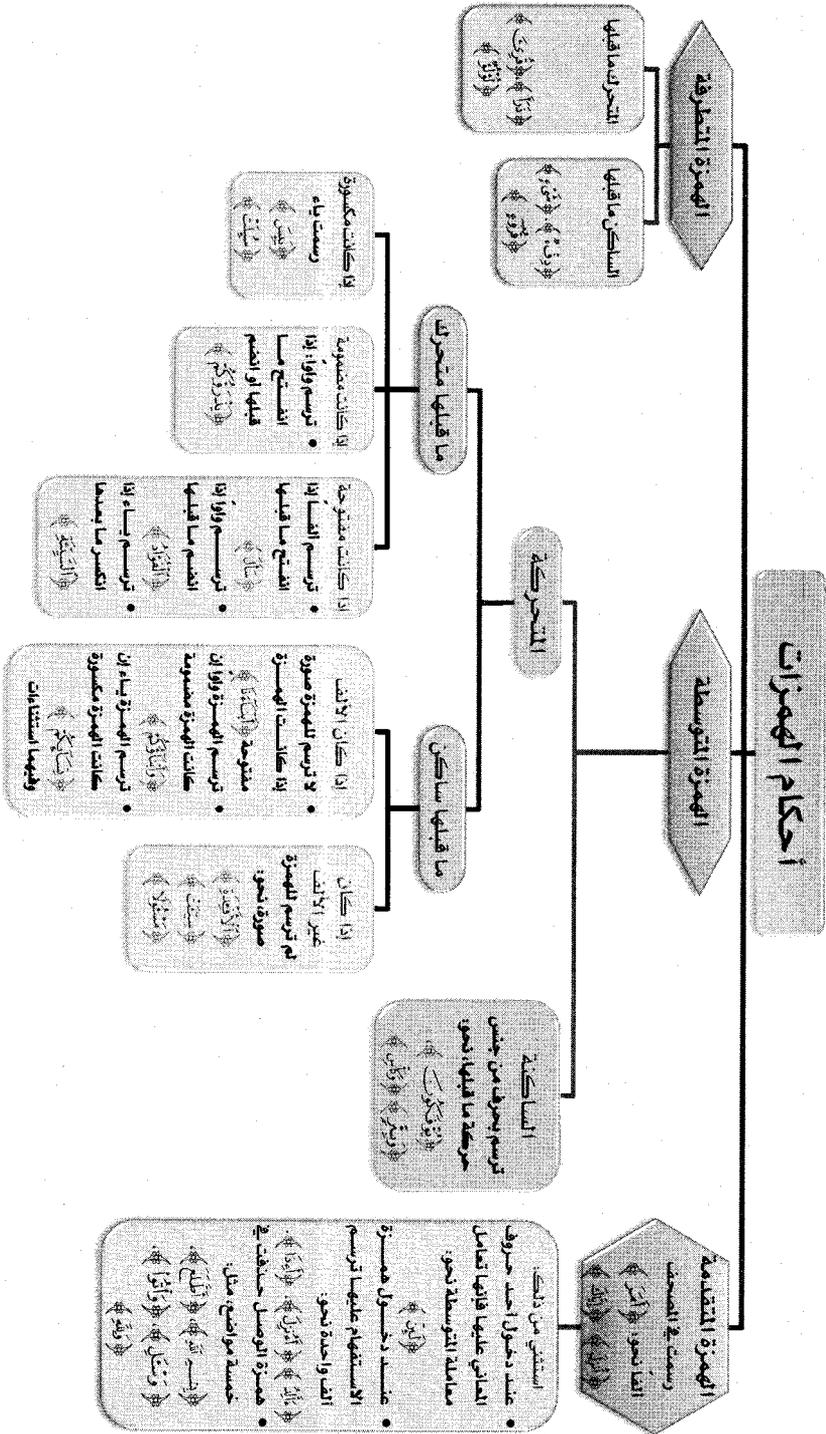
ضوابط منظومة:

قال الخراز في مورد الظمان في باب رسم الهمزة:

- | | | |
|-------|--|--|
| ٢٩١ - | وَهَاكَ حُكْمُ الهمزِ فِي المرسومِ | وَضَبَطُهُ بِالسَّائِرِ المعلومِ |
| ٢٩٢ - | فَأَوَّلُ بِأَلِفٍ يُصَوِّرُ | وَمَا يُزَادُ قَبْلُ لَا يُعْتَبَرُ |
| ٢٩٣ - | نَحْوُ بَأَنَّ وَسَأَلْتِي وَقَلْبَانِ | وَبِمُرَادِ الوصلِ بِالياءِ لَئِنْ |
| ٢٩٤ - | ثُمَّ لِيَأَلَا أَيْفَكَأ يَوْمِيذُ | أَيْنَنَّ مَعَ أَيْنَنَّكُمْ وَحِينَئِذُ |
| ٢٩٥ - | أَيْنَنَّ الأَوْلَانِ وَكَذَا | أَيْمَّةً وَالمُزْنُ فِيهَا أَيْذَا |

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٧ و ٦٢، وأبو داود: مختصر التبيين ٥٠/٢ و ٣٧٠، وابن

وثيق: الجامع ص ٨٤ - ٨٥.



خلاصة

- ١ الهمزة أحد حروف العربية، لكنه حرف مستقل في النطق لبعده مخرجه، فانقسم العرب في نطقه قسمين: أهل التحقيق، وأهل التسهيل.
- ٢ كان أهل التحقيق يَرُسُّونَ الهمزة ألفاً أينما وقعت وبأيّ حركة تحركت، ويَرُسُّونها أهل التخفيف ألفاً في أول الكلمة، وبحسب ما تؤول إليه في الوسط والطرف ألفاً أو واواً أو ياءً.
- ٣ جرى أكثر رسم الهمزة في المصاحف العثمانية على مذهب أهل التسهيل؛ لأنه لغة قريش الذين أنزل القرآن بلغتهم.
- ٤ رُسِمَتِ الهمزة المتقدمة في المصحف ألفاً، فإذا توسطت بدخول أحد حروف المعاني عليها غُوِيَتْ معاملتها المتوسطة، كما في ﴿إِنَّمَا﴾ و﴿لَيْتَ﴾، فإذا دخلت عليها همزة الاستفهام رُسِمَتِ أَلْفٌ واحدة مثل: ﴿أَنْذَرْتَهُمْ﴾.
- ٥ تُرْسِمُ همزة الوصل ألفاً إلا في خمسة مواضع حُدِّقَتْ فيها.
- ٦ تُرْسِمُ الهمزة المتوسطة الساكنة بحرف من جنس حركة ما قبلها، فإن تحركت وسكن ما قبلها لم ترسم لها صورة، إلا إذا كان الساكن ألفاً فإنها ترسم واواً إذا كانت مضمومة وياء إذا كانت مكسورة.
- ٧ إذا تحركت الهمزة المتوسطة وتحرك ما قبلها فإنها إن كانت مفتوحة ترسم ألفاً إذا انفتح ما قبلها، وواواً إذا انضم، وياء إذا انكسر.
- ٨ وإذا كانت المتوسطة مضمومة وانفتح ما قبلها رُسِمَتْ واواً، وكذلك تُرْسِمُ واواً إذا انضم ما قبلها، فإن انكسر رُسِمَتْ ياءً. وكذلك تُرْسِمُ ياءً إذا كانت هي مكسورة بأي حركة تحرك ما قبلها.
- ٩ رُسِمَتِ الهمزة المتطرفة حرفاً من جنس حركة ما قبلها، فإن كان مفتوحاً

رُسِمَتْ أَلْفَاءٌ، وَإِنْ كَانَ مَضمُومًا رُسِمَتْ وَاوًا، وَإِنْ كَانَ مَكسُورًا رُسِمَتْ يَاءً، فَإِنْ سَكَنَ مَا قَبْلَهَا لَمْ تُرَسَمْ لَهَا صُورَةٌ.

خَرَجَتْ مَوَاضِعٌ فِي المِصْحَفِ عَنِ هَذِهِ الضُّوَابِطِ، فَقَدْ عُوْمِلَتْ الهمزة المتطرفة في بعض المواضع معاملة المتوسطة، مثل ﴿الْعَلَمَوُا﴾ و﴿وَيْنَ وَرَائِي﴾ في الشورى، وكذلك إن أدى رسم الهمزة إلى اجتماع واوين أو ياءين أو ألفين لَمْ يُرَسَمْ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مثل: ﴿يُؤَدُّهُ﴾ و﴿مُتَّكِنِينَ﴾ و﴿تَبَوَّءَا﴾.

أسئلة تقويمية

- ١ س اذكر مذاهب العرب في النطق بالهمزة.
- ٢ س اذكر مذاهب العرب في رسم الهمزة.
- ٣ س على أي مذاهب العرب انبنى أكثر رسم الهمزة في المصحف، ولماذا؟
- ٤ س ما القاعدة في رسم الهمزة المتقدمة، وما حكمها إذا عرض لها التوسط.
- ٥ س كيف تُرَسَّم همزة الوصل، ومتى تُحَدَفُ صورتها من الرسم؟
- ٦ س كيف تُرَسَّم الهمزة المتوسطة إذا كانت ساكنة وتحرك ما قبلها؟
- ٧ س كيف تُرَسَّم الهمزة المتوسطة إذا تحركت وسكن ما قبلها؟
- ٨ س كيف تُرَسَّم الهمزة المتوسطة إذا تحركت وتحرك ما قبلها؟
- ٩ س كيف تُرَسَّم الهمزة المتطرفة؟
- ١٠ س ما الكلمات التي خرجت عن ضوابط رسم الهمزة في المصحف، اذكرها؟

تطبيق عملي

يَبِّينُ الكلمات التي خرجت عن ضوابط رسم الهمزة في المصحف في الكلمات القرآنية الآتية:

ت	السورة والآية	النص	طريقة رسم الهمزة
١	الكهف ٥٨	﴿أَنْ يَحْجُدُوا مِنْ دُونِهِ، مَوْيَلًا ﴿٥٨﴾﴾	
٢	طه ٩٤	﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾	
٣	الإسراء ٨٣	﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾	
٤	إبراهيم ٢١	﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾	
٥	النحل ٩٠	﴿وَإِنِّي ذِي الْفُرُوفِ﴾	
٦	يوسف ٨٥	﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَقْتُلُوا تَذَكَّرُ يُوسُفُ﴾	
٧	الأنعام ٣٤	﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾	
٨	البقرة ٨٢	﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾	
٩	الأعراف ١٤٥	﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾	
١٠	البقرة ٧٢	﴿وَإِذْ قُلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرُؤْهُمْ فِيهَا﴾	



المبحث الخامس

الفصل والوصل

حَقُّ كُلِّ كَلِمَةٍ أَنْ تُرْسَمَ مَفْصُولَةً فِي الْكِتَابَةِ مِمَّا قَبْلَهَا وَمِمَّا بَعْدَهَا (١)، والأصل في الخط أن تُكْتَبَ كُلُّ كَلِمَةٍ عَلَى حَرْفَيْنِ فِصَاعِدًا مَفْصُولَةً عَمَّا بَعْدَهَا، ما لم يكن ضميراً متصلاً، وكل حرف من حروف المعاني على حرف واحد أن يُكْتَبَ متصلاً بالكلمة التي يدخل عليها؛ كاللام والباء والكاف ونحوها، إلا في ما لم يمكن وصله من الحروف، مثل الألف والذال والذال والراء والزاي والواو (٢).

وجاءت كلمات في المصحف مفصولة عن غيرها في مواضع وموصولة في مواضع أخرى، وقد اعتنى علماء الرسم بحصرها، واختار المهدي ذكر تلك الكلمات في مجموعتين الأولى ما فيها إدغام بين الكلمتين، والثانية ما ليس فيها إدغام (٣)، وهذه الخطة أفضل للدراسة من عرضها على غير أساس محدد.

أولاً: وَصَلُ الْكَلِمَاتِ الَّتِي حَدَثَ فِيهَا إِدْغَامٌ وَفَضَّلَهَا:

١ - أَنْ لَا:

كل ما ورد في كتاب الله من (أَنْ لَا) فهو موصول في المصحف

﴿إِلَّا﴾، إلا عشرة مواضع جاءت (أَنْ) مفصولة عن (لَا)، وهي (٤):

- (١) ينظر: درسته: كتاب الكُتَاب ص ٤٧، والجعبري: جميلة أرباب المراد ص ٦٤٨.
- (٢) ينظر: ابن وثيق: الجامع ص ٨٧.
- (٣) هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٢.
- (٤) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/١١٥، والداني: المقنع ص ٦٨، =

- ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ في الأعراف [١٠٥].
 ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ في الأعراف أيضاً [١٦٩].
 ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ في التوبة [١١٨].
 ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في هود [١٤].
 ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ في هود أيضاً [٢٦].
 ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾ في الحج [٢٦].
 ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ في يس [٦٠].
 ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ في الدخان [١٩].
 ﴿عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرَكَ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ في الممتحنة [١٢].
 ﴿أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾ في القلم [٢٤].

واختلقت المصاحف في موضع من غير هذه العشرة، وهو قوله:
 ﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ في سورة الأنبياء [٨٧] فرُسم في
 بعض المصاحف مفصلاً (أن لا)، وفي بعضها موصولاً ﴿أَلَّا﴾^(١)، ورجَّح
 أبو داود سليمان بن نجاح فصله^(٢)، وعليه العمل في مصحف المدينة^(٣).

وما عدا هذه المواضع موصول في المصحف، وقد أحصيت في «معجم
 الأدوات والضمائر في القرآن الكريم» خمسة وأربعين موضعاً موصولاً^(٤)، منها
 في البقرة ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِمَا فِيهَا أَنْفَدْتُمْ بِهِ﴾ [٢٢٩]، وفيها أيضاً: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
 الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [٢٤٦].

= والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٢، والجهني: البديع ص ٢٨، وابن وثيق:
 الجامع ص ٨٧.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٩٥. والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٢، وابن
 وثيق: الجامع ص ٨٧.

(٢) مختصر التبیین ٥٥٧/٣.

(٣) ينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٢٩٢، والضباع: سمر الطالين ٤١٦/٢.

(٤) معجم الأدوات والضمائر ص ٩٠ - ١٠٣.

وإذا كانت (إن) مكسورة الهمزة رُسِمَتْ موصولة في جميع المواضع، مثل ﴿إِلَّا نُنْصِرُوهُ﴾ في التوبة [٤٠].

٢ - مِنْ مَا:

جميع ما في كتاب الله منه فهو موصول بغير نون (مِمَّا)، نحو: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [٢٥] في البقرة [٣]، و﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ فيها أيضاً [٢٣]، سوى ثلاثة مواضع رُوِيَ أنها مرسومة بالنون (من ما)، وهي:

﴿فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ في النساء [٢٥].

﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ﴾ في الروم [٢٨].

﴿وَأَنفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في المنافقون [١٠].

ورُوِيَ الخلاف في الذي في الروم والمنافقون، أما حرف النساء فمقطوع باتفاق، والعمل على القطع في الثلاثة في مصحف المدينة^(١).

أما إذا وقعت بعدها (من) فإنها جاءت موصولة في جميع القرآن، نحو^(٢):

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ في البقرة [١١٢].

﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ﴾ في البقرة أيضاً [١٤٣].

٣ - أَنْ لَنْ:

هي في جميع القرآن مرسومة بالنون (أن لَنْ) على القطع، نحو ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ في الأنبياء [٨٧]، سوى موضعين كُتِبَا في المصحف بغير نون على الوصل، وهما^(٣):

﴿أَلَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ في الكهف [٤٨].

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٩، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٣، والجهني: البديع ص ٢١، وابن وثيق: الجامع ص ٨٩، والضباع: سمير الطالبين ٢/٤٢٣.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٩، وابن وثيق: الجامع ص ٨٩.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٠، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٣، والجهني: البديع ص ٢٦، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨.

﴿أَلَنْ يَجْمَعَ عِظَامُهُ﴾^(٣) في سورة القيامة [٣].

واختلِفَ في موضع ثالث، وهو ﴿عَلِمَ أَنْ لَنْ نُخْصِئَهُ﴾ في المزمّل [٢٠]، فقليل موصولة، والأشهر القطع^(١)، وعليه العمل في مصحف المدينة^(٢).

ووقعت ﴿أَنْ لَوْ﴾ مفصولة في الأعراف [١٠٠] والرعد [٣١] وسبأ [١٤]، وروي وصلها في سورة الجن [١٦] ﴿وَأَلْوِ اسْتَقَمُوا﴾ وعليه العمل في مصحف المدينة، ونص المارغني على فصلها في السور الأربع^(٣).

٤ - عَنْ مَنْ:

وكتبوا في كل المصاحف (عَنْ مَنْ) مفصلاً في موضعين:

﴿وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ﴾ في النور [٤٣].

﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى﴾ في النجم [٢٩].

قال الداني: «وليس في القرآن غيرهما»^(٤)، قال الجعبري: «أي: لا مفصلاً ولا موصلاً»^(٥).

٥ - عَنْ مَا:

كُتِبَتْ (عَنْ مَا) موصولة (عَمَّا) في كل القرآن، إلا موضع واحد في الأعراف رُسِمَ مفصلاً (عَنْ مَا)، وهو قوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [١٦٦]^(٦)، وأحصيت خمسة وأربعين موضعاً رُسِمَتْ فيها موصولة^(٧)، أولها في البقرة: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٧) [٧٤].

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٠، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨.

(٢) ينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٣٠٨، والضباع: سمير الطالبين ٤١٨/٢.

(٣) ينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٣٠٣، وينظر: الضباع: سمير الطالبين ٤١٧/٢.

(٤) المقنع ص ٧١.

(٥) جميلة أرباب المراصد ص ٦٦٣، وينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ٨٨.

(٦) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٩، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٤،

والجهني: البديع ص ٢١، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨.

(٧) ينظر: معجم الأدوات والضمائر ص ٢٧١ - ٢٧٨.

٦ - فَإِنْ لَمْ:

جميع ما في كتاب الله ﷻ من ذكر (فإن لم) ^(١) فإنه رُسم في المصحف مفصلاً بالنون، إلا موضعاً واحداً في سورة هود ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [١٤] فإنه موصل ^(٢)، ورُسم ﴿أَنْ لَمْ﴾ مفصلاً، وهو في موضعين: في الأنعام [١٣١] والبلد [٧].

٧ - إِنْ مَا:

اتَّفَقَتِ المصاحف على قطع (إن) عن (ما) في قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿وَإِنْ مَا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ [٤٠]، وما سواه موصل (إمّا) ^(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ في يونس [٤٦]، و﴿فَكِيمًا نُزِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعُدُّهُمْ﴾ في غافر [٧٧].

٨ - أَمْ مَنْ:

وكل ما في كتاب الله ﷻ من ذكر (أَمْ مَنْ) فهو في المصحف موصل (أمن)، إلا في أربعة مواضع كُتِبَتْ مقطوعة، وهي ^(٤):
 ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا﴾ في النساء [١٠٩].
 ﴿أَمْ مَنْ أَسَسَ بُيُوتَهُ﴾ في التوبة [١٠٩].
 ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ في الصافات [١١].
 ﴿أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ في السجدة [فصلت: ٤٠].

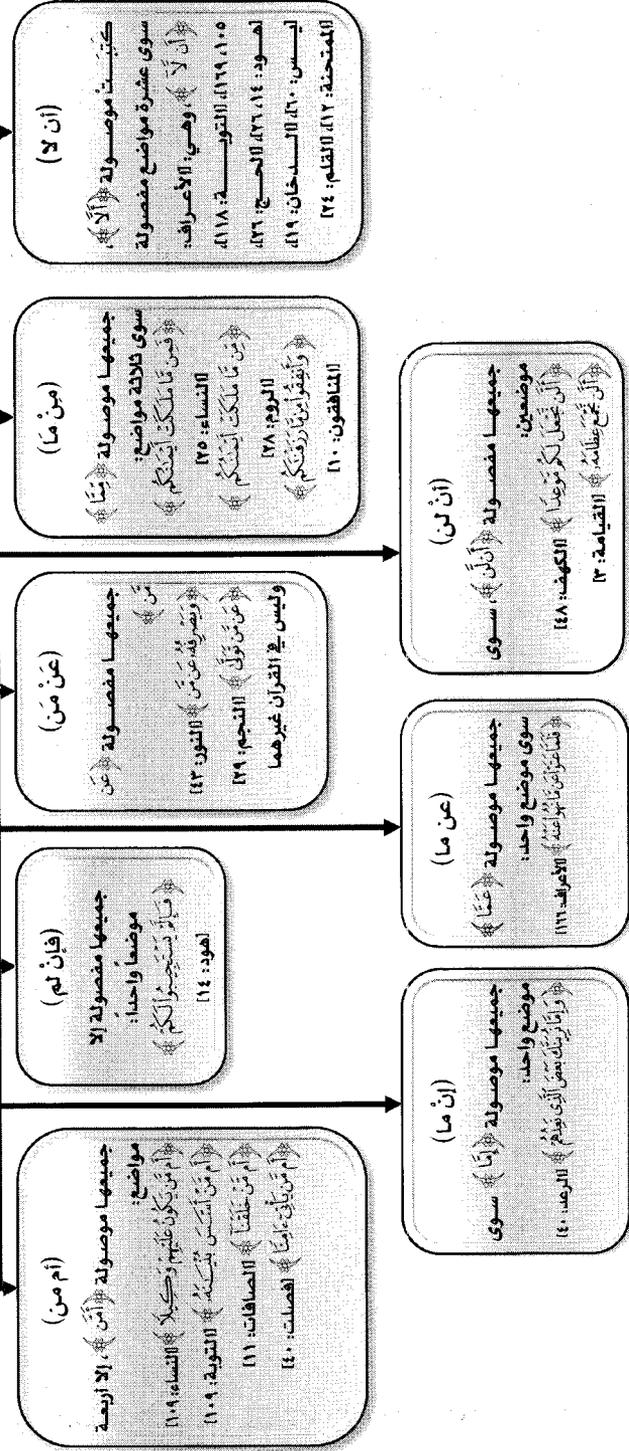
- (١) أحصيت اثني عشر موضعاً في معجم الأدوات والضمائر ص ٥٠٧ - ٥١٤ وردت فيها (فإن لم) مفصولة، أولها في البقرة ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ [٢٤].
- (٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٠، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٤، والجهني: البديع ص ٢٧، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨.
- (٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٦٩ - ٧٠، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٤، والجهني: البديع ص ٢٧، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨.
- (٤) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٣٤٣/١، والداني: المقنع ص ٧١، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٤ - ٤٥، والجهني: البديع ص ٢٧، وابن وثيق: الجامع ص ٨٩.

واتفق كُتَّاب المصاحف على وصل ما عدا هذه الأربعة المواضع، نحو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَّ﴾ في يونس [٣٥]، و﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ في النمل [٦٠]، و﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ في النمل أيضاً [٦٢].

وإذا وقعت (ما) بعد (أم) فإن المصاحف اجتمعت على رسمها موصولة هكذا (أَمَّا) وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمَّا أَسْتَمَلَّتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْبِيَاءِ﴾ في الأنعام في الموضعين [١٤٣ و ١٤٤]، و﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ في النمل [٥٩]، و﴿أَمَّا ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في النمل أيضاً [٨٤]^(١).

(١) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٤٢ - ٣٤٣، والداني: المقنع ص ٧١، وأبو داود: مختصر التبيين ٣/٥٢٠.

وصل الكلمات التي فيها ادغام وفصلها



ثانياً: وَضُلُّ الكَلِمَاتِ الَّتِي لَمْ يَحْدُثْ فِيهَا إِدْغَامٌ وَفَضْلُهَا:

١ - في ما:

إذا وقعت (ما) بعد (في) كُتِبَتْ موصولة، نحو ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في البقرة [١١٣] ^(١)، إلا في أحد عشر موضعاً، فهي فيها مقطوعة، وهي:

﴿فِي مَا فَعَلْتَ فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَّعْرُوفٍ﴾ في البقرة [٢٤٠].

﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ في المائدة [٤٨].

﴿قُلْ لَا أجدُ فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ مُحَرَّمًا﴾ في الأنعام [١٤٥].

﴿لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ في الأنعام أيضاً [١٦٥].

﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ في الأنبياء [١٠٢].

﴿لَمَسَكُ فِي مَا أَفْضَتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النور [١٤].

﴿أَتُرَكُونَ فِي مَا هَلَهْنَا ءَامِينَ﴾ في الشعراء [١٤٦].

﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ في الروم [٢٨].

﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الزمر [٣].

﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الزمر أيضاً [٤٦].

﴿وَتُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ في الواقعة [٦١].

ونقل أكثر علماء الرسم اختلاف المصاحف في فصل هذه المواضع ووصلها إلا الحرف الذي في الشعراء ﴿فِي مَا هَلَهْنَا﴾ [١٤٦] فهو مقطوع باتفاق ^(٢).

وإذا دخلت (في) على (ما) الاستفهامية ووصلت بها، وحذفت ألف ما، كما في قوله: ﴿قَالُوا فِيهِ كُنْتُمْ﴾ في النساء [٩٧] و﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾ في النازعات [٤٣].

(١) أحصيت ثلاثة وعشرين موضعاً في المصحف وقعت فيها (ما) موصولة بـ (في).

(٢) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/٣٢٣، والداني: المقنع ص ٧١ - ٧٢، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٨، والجهني: البديع ص ٢٤، وأبو داود: مختصر التبيين ١٩٧/٢، وابن وثيق: الجامع ص ٨٩.

٢ - لكي لا:

جاءت (كي) في القرآن في سبعة مواضع، ستة منها مقترنة باللام (لكي)، وجاءت (لا) بعدها في المواضع السبعة، وكُتبت (لا) موصولة بها في أربعة مواضع هي:

﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ في آل عمران [١٥٣].

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ في الحج [٥].

﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ في الأحزاب [٥٠].

﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾ في الحديد [٢٣].

وورد الخلاف في موضع آل عمران، فلم يذكره المهدوي^(١)، ولا الجهنني^(٢)، ونص على الخلاف فيه الداني وأبو داود وابن وثيق^(٣)، وقال المارغني: «والعمل عندنا في هذا الموضع على الوصل»^(٤) وهو موصول في مصحف المدينة.

٣ - بئس ما:

وردت (بئس) في القرآن في أربعين موضعاً، تسعة منها جاءت بعدها (ما)، فما كان في أوله اللام أو الفاء رُسِمَتْ (ما) مفصولة عنها بلا خلاف^(٥)، نحو:

﴿وَلَيْسَ مَا سَكَرُوا بِهِ أَنفُسُهُمْ﴾ في البقرة [١٠٢].

﴿وَأَشْرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبَيْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ في آل عمران [١٨٧].

وجاءت (ما) موصولة بها في ثلاثة مواضع أخرى، هي^(٦):

﴿بَيْسَمَا أَشْرَوْا بِهِ أَنفُسُهُمْ﴾ في البقرة [٩٠].

﴿قُلْ بَيْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾ في البقرة أيضاً [٩٣].

(١) ينظر: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٥.

(٢) ينظر: البديع ص ٢٦.

(٣) ينظر: المقنع ص ٧٥، ومختصر التبيين ٣٧٦/٢، والجامع ص ٨٢.

(٤) دليل الحيران ص ٣٠٧، وينظر: الضباع: سمير الطالين ٤٣٥/٢.

(٥) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٤، وابن وثيق: الجامع ص ٩٠.

(٦) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٤، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٥،

والجهني: البديع ص ٢٢.

﴿قَالَ بِسْمَا خَلَقْتُونِي مِنْ بَدِيٍّ﴾ في الأعراف [١٥٠].

وجاء الخلاف في وصل الحرف الثاني في البقرة [٩٣] وفصله، وكذلك حرف الأعراف^(١)، وقال المارغني: «والعمل فيهما عندنا على الوصل»^(٢)، وكذلك هما في مصحف المدينة.

٤ - أين ما:

جاءت (ما) بعد (أين) في المصحف في اثني عشر موضعاً^(٣)، منها سبعة مواضع مفصولة باتفاق، وخمسة مواضع وردت الرواية بوصلها فيها، اتفاقاً واختلافاً، فالمتفق على وصله موضعان في البقرة والنحل، وهما:

﴿فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ في البقرة [١١٥].

﴿أَيْنَمَا يُوجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ في النحل [٧٦].

والمختلف فيه ثلاثة مواضع هي:

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ﴾ في النساء [٧٨].

﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ في الشعراء [٩٢].

﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا﴾ في الأحزاب [٦١]^(٤).

قال المارغني: «والعمل عندنا على الوصل في موضعي النساء والأحزاب، وعلى القطع في موضع الشعراء»^(٥) وكذلك هي في مصحف المدينة.

٥ - إنَّ ما:

اتفقت المصاحف على قطع (ما) عن (إنَّ) في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ في سورة الأنعام [١٣٤]، واختلف في قوله:

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٩٢، وأبو داود: مختصر التبيين ١٨٤/٢ و ٥٧٥/٣، وابن

وثيق: الجامع ص ٩٠.

(٢) دليل الحيران ص ٣٠٦.

(٣) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ١٠٩.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٢، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٦، والجهني:

البدیع ص ٢١، وأبو داود: مختصر التبيين ٢/٢٠٠، وابن وثيق: الجامع ص ٩١.

(٥) دليل الحيران ص ٣٠٥، وينظر: الضباع: سمير الطالبين ٤٣٢/٢.

﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لِّكَو﴾ في النحل [٩٥]، والأشهر وصله، وما سوى هذين الموضوعين فموصول باتفاق^(١).

٦ - أَنْ مَا:

اتفقت المصاحف على قطع (ما) عن (أَنْ) في موضعين:
الأول: قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ في الحج [٦٢].

والثاني: قوله: ﴿وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ في لقمان [٣٠].
واختلفت المصاحف في قوله: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ في الأنفال [٤١]، ففي بعض المصاحف موصول وفي بعضها مقطوع، والأول أثبت وهو الأكثر^(٢).
٧ - كُلِّ مَا:

اتفقت المصاحف على فصل (كل) عن (ما) في قوله تعالى: ﴿وَأَتَانَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ في إبراهيم [٣٤].

واختلفت في أربعة مواضع: في النساء ﴿كُلِّ مَا رُدُّوهُ﴾ [٩١]، وفي الأعراف ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ [٣٨]، وفي المؤمنون ﴿كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ [٤٤] وفي الملك ﴿كُلَّمَا أَلْفَىٰ فِيهَا فَوْجٌ﴾ [٨]، ورجح أبو داود القطع في حرفي النساء والمؤمنون، وعليه العمل في مصحف المدينة النبوية^(٣).

واتفقت المصاحف على وصل ما خلا الخمسة، نحو: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ في البقرة [٨٧]، و﴿كُلَّمَا فَضِيتَ جُلُودَهُمْ﴾ في النساء [٥٦]، و﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَهُمْ سَعِيرًا﴾ في الإسراء [٩٧]، ونحوها^(٤).

(١) الداني: المقنع: ص ٧٣، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٦، والجهني: البديع ص ٢٠، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨.

(٢) ينظر: الداني المقنع ص ٧٣-٧٤، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٧، والجهني: البديع ص ٢٠، وابن وثيق: الجامع ص ٨٨، والمارغني: دليل الحيران ص ٢٩٦.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٤ و ٩٣ و ٩٦ و ٩٨، وأبو داود: مختصر التبيين ٤١٠/٢.

(٤) ينظر: السخاوي: الوسيلة ص ٤٢٨-٤٢٩، والجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٦٨٢ - ٦٨٣، والمارغني: دليل الحيران ص ٣٠١، والضباع: سمير الطالبين ٤٢٦/٢.

٨ - يا ابن أم:

كُتِبَ فِي الْمَصَاحِفِ ﴿قَالَ ابْنُ أُمٍّ﴾ [الأعراف: ١٥٠] بِالْقَطْعِ، وَكُتِبَ فِيهَا ﴿يَبْنُومٌ﴾ فِي طَه [٩٤] بِالْوَصْلِ^(١).

٩ - مَا ل:

لَام الْجَرِّ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى اسْمٍ ظَاهِرٍ أَوْ ضَمِيرٍ كُتِبَتْ مُتَّصِلَةً إِلَّا فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ فَإِنهَا رُسِمَتْ فِيهَا مَقْطُوعَةً مِمَّا بَعْدَهَا، وَهِيَ:

﴿قَالَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ﴾ فِي النِّسَاءِ [٧٨].

﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾ فِي الْكَهْفِ [٤٩].

﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ﴾ فِي الْفِرْقَانِ [٧].

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فِي الْمَعَارِجِ [٣٦].

١٠ - حَيْثُ مَا:

اتَّفَقَتْ الْمَصَاحِفُ عَلَى قَطْعِ (حَيْثُ) عَنِ (مَا) فِي مَوْضِعِي الْبَقْرَةِ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ [١٤٤ و ١٥٠]^(٢) وَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَهُمَا^(٣).

وَنَصَّ بَعْضُ الْمُؤَلِّفِينَ فِي الرَّسْمِ عَلَى كَلِمَاتٍ مُفْرَدَةٍ، مِنْهَا: رَسَمُ ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ فِي غَافِرٍ [١٦]، وَ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فِي الذَّارِيَاتِ [١٣] بِقَطْعِ (يَوْمَ) عَنِ (هُمْ)^(٤).

وَرَسَمُ ﴿وَلَاتِ جِبْنَ مَنَاصٍ﴾ فِي ص [٣] بِقَطْعِ التَّاءِ مِنَ الْحَاءِ، وَرُويَ عَنِ أَبِي عُبَيْدٍ أَنَّهُ رَأَاهُ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ (وَلَا تَحِينُ) بِوَصْلِ التَّاءِ بِالْحَاءِ، وَالْجُمْهُورُ عَلَى قَطْعِهَا^(٥).

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٦، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٧ - ٤٨، والجهني: البديع ص ٢٩، وابن وثيق: الجامع ص ٩٢.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٣، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٩، وابن وثيق: الجامع ص ٩١.

(٣) ينظر: علي القاري: المنح الفكرية ص ٢٧٧.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٥، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٩، والجهني: البديع ص ٢٥، وابن وثيق: الجامع ص ٩١.

(٥) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٩٥/١، والداني: المقنع ص ٧٦، وابن وثيق: الجامع ص ٩١.

ضوابط منظومة:

قال الشاطبي في باب المقطوع والموصول:

٢٣٧ - وَقُلْ عَلَى الْأَصْلِ مَقْطُوعُ الْحُرُوفِ أَتَى وَالْوَصْلُ فَرَعٌ فَلَا تُلْفَى بِهِ حَصْرًا

وقال في ما رُوِيَ عن أبي عبيد:

٢٦٠ - أَبُو عَبِيدٍ: ﴿وَلَاتَ حِينَ﴾ وَأَصْلُهُ أَلْ إِمَامٌ، وَالْكُلُّ فِيهِ أَعْظَمُ النُّكْرَا

خلاصة

- ١ الأصل أن تُرْسَمَ كل كلمة مفصولة عما قبلها وعما بعدها.
- ٢ حَقُّ كل حرف من حروف المعاني على حرف واحد أن يُكْتَبَ متصلاً بالكلمة التي يدخل عليها.
- ٣ الأصل في الخط أن تُكْتَبَ كل كلمة على حرفين فصاعداً مفصولة عما بعدها، ما لم تكن ضميراً متصلاً.
- ٤ جاءت كلمات في المصحف على حرفين أو أكثر مفصولة عما بعدها في مواضع، وموصولة في مواضع أخرى.
- ٥ قَسَمَ علماء الرسم الكلمات التي توصل حيناً وتفصل حيناً آخر على ما يحدث فيه إدغام وما لا يحدث فيه إدغام.
- ٦ الكلمات التي يحدث فيها إدغام ثمانية: أن لا، ومن ما، وأن لن، وعن من، وعن ما، وإن لم، وإن ما، وأم من. وقد أحصى علماء الرسم مواضع فصلها ووصلها.
- ٧ الكلمات التي لم يحدث فيها إدغام عشرة، هي: في ما، ولكي لا، وينس ما، وأين ما، وإن ما، وأن ما، وكل ما، وابن أم، وما ل، وحيث ما. وقد أحصى علماء الرسم مواضع فصلها ووصلها.
- ٨ نص علماء الرسم على قطع ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ في غافر [١٦] والذاريات [١٣]، ورسم ﴿وَلَا تَجِدْ جِئَ مَنَجْرٍ﴾ في سورة ص [٢] بقطع التاء عن (حين).

أسئلة تقويمية

- ١ س ما الأصل في فصل الكلمة ووصلها إذا كانت على حرف واحد، وإذا كانت على حرفين؟
- ٢ س ما أقسام الكلمات التي تُوصَلُ في الرسم حيناً وتُفَصَلُ حيناً آخر؟
- ٣ س ما أشهر الكلمات الموصولة والمفصولة في الرسم والتي يحصل فيها إدغام؟
- ٤ س اذكر مواضع الكلمات التي فُصِلَتْ أو وُصِلَتْ في الرسم والتي يحدث فيها إدغام.
- ٥ س ما أشهر الكلمات الموصولة والمفصولة التي لم يحدث فيها إدغام؟
- ٦ س اذكر مواضع الكلمات التي فُصِلَتْ أو وُصِلَتْ في الرسم والتي لم يحصل فيها إدغام.
- ٧ س اذكر رواية أبي غبيد بشأن رسم ﴿وَلَاتِ حِينَ مَنَاصِرٍ﴾، وما موقف العلماء منها؟

تطبيق عملي

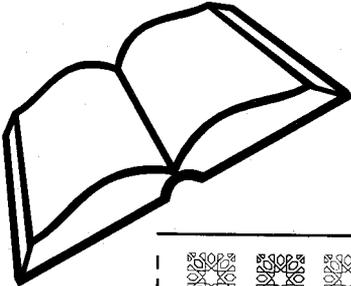
بيِّن نوع الوصل في الكلمات القرآنية الآتية:

ت	السورة والآية	النصوص	نوع الوصل
١	القيامة ٣	﴿أَجَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عَظْمَهُ﴾	
٢	الأَنْفَالُ ٦٨	﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	
٣	البقرة ٧٤	﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	
٤	الحديد ٢٣	﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾	

ت	السورة والآية	النصوص	نوع الوصل
٥	المؤمنون ٩٣	﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُ مَا يُوعَدُونَ﴾	
٦	الأعراف ١٥٠	﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَقْتُوهُنَّ مِنْ بَعْدِي﴾	
٧	يونس ٣١	﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ﴾	
٨	الفرقان ٧	﴿وَقَالُوا مَا لِيَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾	
٩	هود ١٤	﴿فَإِلَّهٌ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ﴾	
١٠	طه ٩٤	﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾	

الفصل الرابع

توجيه ظواهر الرسم المخالفة للنطق



تُبَيِّنُ مباحث الفصل الثالث المتقدم أن رسم المصاحف العثمانية فيه كثير من الظواهر التي لا يتطابق فيها المنطوق مع المرسوم، فهناك حروفٌ ثابتة في النطق محذوفة من الرسم، وهناك حروفٌ ثابتة في الرسم ليس لها مقابل في النطق، وهناك حروفٌ رُسِمَتْ بغير الرموز المخصصة لها، وكلماتٌ وُصِلَتْ في مواضع وفُصِلَتْ في أخرى.

وَجَعَلَتْ تلك الظواهر علماء اللغة العربية المتقدمين الذين اعتنوا بقواعد الكتابة يقولون: إن خط المصحف يُحْفَظُ ولا يقاس عليه^(١)؛ لأن الأصل عندهم في الكتابة (تصويرُ اللفظ بحروف هِجَائِهِ، بتقدير الابتداء به والوقف عليه)^(٢)، وهذا إن تحقق في أكثر الرسم في المصحف، فإنه لم يتحقق في الكلمات التي وقع فيها حذف، أو زيادة، أو إبدال، أو وصل.

وإذا كان البحث في الكتابات القديمة قد كشف عن أنَّ الكتابة العربية التي اسْتُعْمِلَتْ في تدوين القرآن ورُسِمَتْ بها المصاحف، قد تطورت عن الكتابة النبطية، وأن كثيراً من خصائصها قد انتقلت إلى الكتابة العربية، وهو ما يفسر لنا كثيراً من ظواهر الرسم التي لا يتطابق فيها النطق مع الرسم، فإن علماء العربية المتقدمين والباحثين في رسم المصحف لم تكن هذه الحقيقة ماثلة أمام أعينهم، ومن ثم وجدوا أنفسهم أمام ظواهر كتابية تحتاج إلى تفسير، فاجتهدوا في البحث عن ذلك التفسير، واختلفت وجهات نظرهم، ويمكن للدارس تمييز عدد من المذاهب في هذا المجال.

(١) ينظر: درستهويه: كتاب الكُتَّاب ص١٦، والسيوطي: همع الهوامع ٢/٢٤٣، والقسطلاني: لطائف الإشارات ١/٢٨٣.

(٢) ينظر: الإسترايادي: شرح الشافية ٢/٣١٢، وأبو حيان: الهجاء ص٦٣، والسيوطي: همع الهوامع ٢/٢٣١، والإتقان (له) ٦/٢١٩٩.

وكانت المؤلفات الأولى في رسم المصحف تُركِّزُ على وصف الظواهر، ونادراً ما تُعنى بتعليقها، ويجد الدارس عدداً من مؤلفات القرن الخامس الهجري وما بعده تُعنى بالبحث عن علل الرسوم، ولكن أكثر تلك المؤلفات قد ذهبت نسخها، ولم يبق منها إلا إشارات ونصوص منقولة في المصادر المتأخرة، ومن تلك المؤلفات:

١ - كتاب الرد والانتصار، تأليف أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد الله الطَّلَمَنَكِيِّ، المتوفى سنة ٤٢٩هـ^(١)، وقفتُ عليه من خلال النصوص التي نقلها اللبيب في «الدرة الصقيلة في شرح أبيات العقيلة»، وذلك حيث قال: «قال الطَّلَمَنَكِيُّ في كتاب الرد والانتصار: اعلم أن الألفات إنما حُذِفْنَ من الرسم لكثرتهن...»^(٢).

ولم يتيسر لي الوقوف على اسم الكتاب كاملاً في كتب التراجم والفهارس، وذكر القاضي عياض ضمن مؤلفات الطَّلَمَنَكِيِّ كتاب الرد على ابن مسرة^(٣)، ولم تسعفني المصادر التي اطلعت عليها في التأكد من العلاقة بين الكتابين، كما لم تنكشف لي طبيعة الرد على ابن مسرة.

ولم يصرح اللبيب باسم كتاب الطَّلَمَنَكِيِّ هذا إلا في موضع واحد، لكنه نقل عن الطَّلَمَنَكِيِّ في الدرة الصقيلة نصوصاً كثيرة، معظمها في تعليل رسم المصحف كما تقدم في النص السابق، مما يحملنا على الاعتقاد بأن كتاب الرد والانتصار في تعليل هجاء المصاحف، أو هو في رسم المصحف وتعليقه^(٤).

٢ - علل هجاء المصاحف، تأليف أبي محمد مكِّي بن أبي طالب القيسي، (المتوفى سنة ٤٣٧هـ) في جزئين^(٥)، ولا تُعرَفُ لهذا الكتاب نسخ

(١) تنظر ترجمته: الذهبي: معرفة القراء ٧٣٣/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ١٢٠/١.

(٢) الدرة الصقيلة ٢٠.

(٣) ينظر: ترتيب المدارك ٥٥٣/٢.

(٤) ينظر: الدرة الصقيلة ٣٢ظ، ٣٥، ٣٧، ٣٧ظ، ٣٩، ٤٨، ٥١، ٥٧ظ، ٥٩، ٦٥، ٧٣ظ، ٨٠، ٨٥، ٩١.

(٥) ينظر: القفطي: إنباه الرواة ٣٨١/٣، وسَمَاءُ ياقوت الحموي في معجم الأدباء ١٧٠/١، =

خطية، ولم ينقل عنه أحد من المؤلفين في رسم المصحف من الذين جاءوا بعده، مما اطلعتُ عليه^(١).

ولاحظت أن مكي بن أبي طالب يعتني بتوجيه الرسوم في تفسيره «الهداية إلى بلوغ النهاية»، وهو ما يُعزِّزُ خبر تأليف مكي كتاباً خاصاً بعلل هجاء المصاحف^(٢).

وعقد مكي في الهداية باباً في خطوط المصاحف في الحروف التي اختلف فيها القراء، وباباً ذَكَرَ فيه سبب اختلاف القراء واختلاف المصاحف^(٣).

ومما يؤكد أيضاً تأليف مكي كتاباً في تعليل الرسوم قوله في كتابه «مشكل إعراب القرآن» بعد أن ذكر تعليل زيادة الياء في رسم كلمة ﴿يَأْتِيكُمْ﴾ في سورة القلم [٦]: «وهذا الباب يتسع، وهو كثير في الخط، خارج عن المتعارف بين الكتّاب في الخط، فلا بد أن يُخَرَّجَ لذلك وَجْهٌ يليق به، وسنذكره، إن شاء الله، مستقصى مُعَلِّلاً في غير هذا»^(٤).

٣ - كتاب «علل هجاء المصاحف»: تأليف أبي عمرو الداني، إذ يبدو أن للداني كتاباً كبيراً في رسم المصحف أُورد فيه العلل، فكتاب «المقنع» يتضمن إشارات مختصرة لتلك العلل، وقد نص الداني في مقدمة المقنع على أنه سوف يُخْلِيه من بسط العلل وشرح المعاني^(٥)، وذكر حين أحس بالحاجة إلى ذكر العلل: «وَعِلْلُ ذَلِكَ مُبَيَّنَةٌ فِي كِتَابِنَا الْكَبِيرِ»^(٦)، لكن هذا الكتاب مفقود

= وابن خلكان في وفيات الأعيان ٢٧٦/٥ باسم: هجاء المصاحف.

(١) ينظر: أحمد حسن فرحات: مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن ص ١٣٤.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ٩٢/١، و١٠٠/١، و١٣٣/١، و٦٩٢/١، و١٥٢٩/٢، و٧٩٠٨/١٢.

(٣) الهداية ٣٠١٩/٤ - ٣١٣٥.

(٤) مشكل إعراب القرآن ٣٨٩/٢.

(٥) ينظر: المقنع ص ٢.

(٦) المقنع ص ٣٠.

على ما يبدو، ولم تصل إلينا منه نصوص توضح طريقة الداني في تحليل الرسوم فيه^(١).

٤ - «التبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان»: لأبي داود سليمان بن نجاح تلميذ الداني المتوفى سنة ٤٩٦هـ، وهو كتاب كبير في الرسم وعلوم القرآن^(٢)، ضَمَّنَهُ علل الرسوم، لكن هذا الكتاب لم يصل إلينا، وإنما وصل مختصره لأبي داود نفسه، والذي قال في مقدمته: «سألني سائلون من بلاد شتى أن أجرد لهم من كتابي المسمى بالتبيين لهجاء مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه المجتمع عليه... دون سائر ما تضمنه الكتاب المذكور من الأصول والقراءات... والحجج والتعليل، ليخف نسخه على من أراد»^(٣).

وحين اضطر أبو داود إلى ذكر العلل في «مختصر التبيين» كان يحيل إلى كتابه الكبير، فيقول: «وكل ذلك مذكور مُعَلَّلٌ في كتابنا الكبير»^(٤)، ويقول في موضع آخر: «وقد ذكرنا في كتابنا الكبير تعليل ذلك كله»^(٥).

وإذا كان قد فاتنا كثير من تعليقات هذين العالمين الجليلين التي ذكراها في كتابيهما الكبيرين فإنهما أفادانا بذكر علل كثير من الرسوم، خاصة ما يتعلق بالحذف والزيادة، في كتابيهما في الضبط، كتاب «المحكم في نقط المصاحف» للداني، وكتاب «أصول الضبط» لأبي داود سليمان بن نجاح، إلى جانب ما ذكرناه مختصراً في المقنع، وفي مختصر التبيين.

ولا تخلو كتب رسم المصحف الأخرى من تعليل ظواهر الرسم، مثل كتاب «هجاء مصاحف الأمصار» لأبي العباس المهدي، كما أن شروح (العقيلة)، وخاصة شرح الجعبري المسمى «جميلة أرباب المراصد في شرح

(١) ينظر: معجم مؤلفات الحافظ أبي عمرو الداني، عبد الهادي حميتو ص ٧٠.

(٢) ينظر: مختصر التبيين ٣/٢.

(٣) مختصر التبيين ٣/٢ - ٤.

(٤) مختصر التبيين ٣٧١/٢.

(٥) مختصر التبيين ١١٤٣/٤، وينظر: ٩٨٥/٤ و ١٣٢٢.

عقيلة أتراب القصائد»، وشروح «مورد الظمان»، مثل «دليل الحيران» للمارغني، قد نقلت كثيراً من العلل والتفسيرات لظواهر الرسم، لكن علماء الرسم المتأخرين لم يفرّدوا مؤلفات خاصة لهذا الموضوع، كما فعل مكّي والداني، وكانت تعليقاتهم ترد عرضاً عند شرح خصائص الرسم، كما أنها تتسم بالإيجاز والاختصار، كما فعل مؤمن بن علي الفلكآبادي في (جامع الكلام) الذي ذكر فيه بعض أسرار الرسم.

وقد يكون كتاب «عنوان الدليل» لابن البناء المراكشي (ت ٧٢١هـ) الكتاب الوحيد في هذه الحقبة الذي جعله مؤلفه خاصاً بذكر العلل، وسوف نتحدث عن الكتاب ومنهجه في تحليل الرسوم، في الصفحات الآتية.

ويتضمن هذا الفصل مبحثين، الأول: نتبع فيه مذاهب الدارسين في تفسير ظواهر الرسم، والثاني: نستعرض فيه توجيه ظواهر الرسم من خلال المذهب الذي يترجح لدينا أنه المناسب لتفسير تلك الظواهر.



المبحث الأول

مذاهب الدارسين في توجيه ظواهر الرسم

تفاوتت مواقف الدارسين من توجيه ظواهر الرسم بين القولِ بدلالته على حُكْمٍ وأسرارٍ تَعَجُّزُ العقول عن إدراكها، ولا يمكن أن يُحَاطَ بها إلا بالفتح الرباني، والقولِ إن تلك الظواهر من سوء هجاء الأولين، وبين ذلك الإفراط وهذا التفريط ظهر مذهب وسط يُفَسِّرُ ظواهر الرسم بعلة لغوية تتعلق بتقاليد الكتابة من جانب وبمذاهب العرب والقراء في النطق والأداء من جانب آخر، وإليك بيان كل مذهب من هذه المذاهب، والقائلين به، وحججهم.

المذهب الأول: ظواهر الرسم من سوء هجاء الأولين:

وقع عدد من علماء العربية وبعض المؤرخين تحت هيمنة القاعدة التي صاغها علماء الكتابة العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين والقائلة بوجود كتابة الكلمة بحروف هجائها، مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، ومن ثمَّ حكموا على ما جاء من ظواهر الرسم التي لم تخضع لهذه القاعدة بأنها من لَحْنِ الهجاء، وفاتهم أنَّ تقاليد الكتابة كانت في زمن رسم المصاحف تبيح للكاتب رسم الكلمة مبدوءاً بها وموصولة بما بعدها، فكان كُتَّاب المصاحف يكتبون بكتابة عصرهم.

ولعل الفراء (يحيى بن زياد ت ٢٠٧هـ) هو أقدم من فتح باب القول في هذا الاتجاه، فهو حين عجز عن تفسير زيادة الألف في كتابة قوله تعالى: ﴿وَلَا وُضِعُوا﴾ [التوبة: ٤٧] حملها على أنها من سوء هجاء الأولين، حيث قال: «وَكُنِّيَتْ بلام ألف بعد ذلك، ولم يُكْتَبْ في القرآن لها نظير وذلك أنهم لا يكادون يستمرون في الكِتَاب على جهة واحدة، ألا ترى أنهم كتبوا ﴿فَمَا﴾

تُعْنِ النَّذْرُ ﴿ [القمر: ٥] بغير ياء، ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيْتُ وَالنَّذْرُ﴾ [يونس: ١٠١] بالياء، وهو من سوء هجاء الأولين، ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ مجتمع عليه في المصاحف، وأما قوله: ﴿أَوْ لَا أَدْبَحْنَهُ﴾ [النمل: ٢١] فقد كُتِبَتْ بالألف وبغير الألف، وقد كان ينبغي للألف أن تحذف من كله...»^(١).

ويُفْهَمُ مثل ذلك من حديث ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) عما ورد في المصحف من كلمات تحتاج إلى توجيه إعرابي خاص، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٦٩]، ونحو ذلك، حيث قال: «وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها، أو أن تكون غلطاً من الكتاب، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها (٢) فإن كانت على مذاهب النحويين، فليس هاهنا لَحْنٌ بحمد الله، وإن كانت خطأً من الكتاب فليس على رسوله صلوات الله عليه جناية الكاتب في الخط.

ولو كان هذا عيباً يرجع إلى القرآن لَرَجَعَ عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي:

فقد كُتِبَ في الإمام ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَجِرِينَ﴾ [طه: ٦٣]، بحذف ألف التشنية، وكذلك ألف التشنية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان، مثل ﴿قَالَ رَبِّ اجْلِسْ﴾ [المائدة: ٢٣]، و﴿فَلَاخِرَانِ يُقِيمَانِ مَقَامَهُمَا﴾ [المائدة: ١٠٧]^(٣)، وكُتِبَ

(١) معاني القرآن ٤٣٩/١، وقد نصت كتب الرسم على عكس ما ذكره الفراء، فقد نقل الداني في المقنع ص ٤٥ عن نصير بن يوسف النحوي أنه قال: «اختلفت المصاحف في الذي في التوبة، واتفقت على الذي في النمل». وينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٢٤٨.

(٢) يشير إلى ما ورد في رواية هشام بن عروة، عن أبيه أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن، عن قوله: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَجِرِينَ﴾ [طه: ٦٣]، وعن ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ١٦٢]، وعن ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ﴾ [المائدة: ٦٩]، فقالت: يا ابن أختي، هذا عمل الكتاب، أخطأوا في الكتاب. تعني: في الكتابة، ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٢٨٧، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢٣٥/١، ووجه الداني هذه الرواية في المقنع ص ١١٨ - ١١٩.

(٣) اختلف في إثبات الألف في المثني وفي حذفها، ينظر: المارغني: دليل الحيران ص ٨٧ - ٨٨.

كُتِّبَ المصحف: ﴿الصَّلَاةُ﴾ و﴿الزَّكَاةُ﴾ و﴿الْحَيَاةُ﴾ بالواو، واتبعناهم في هذه الحروف خاصة على التيمن بهم، ونحن لا نكتب: (القطاة والقناة والفلاة) إلا بالألف، ولا فرق بين تلك الحروف وبين هذه. وكتبوا ﴿الرَّبِوَاءُ﴾ بالواو، وكتبوا: ﴿فَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المعارج: ٣٦] فمال بلام منفردة.

وكتبوا: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ﴾ [الأنعام: ٣٤] بالياء، و﴿أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] بالياء في الحرفين جميعاً، كأنهما مضافان، ولا ياء فيهما إنما هي [همزة] مكسورة.

وكتبوا ﴿أَمْ لَمْ تُشْرِكْ﴾ [القلم: ٤١]، و﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢١] بواو، ولا ألف قبلها... وهذا أكثر في المصحف من أن نستقصيه^(١).

ويبدو من سياق كلام ابن قتيبة أنه يعدُّ جميع ما جاء في المصحف من كلمات لا يطابق رَسْمُهَا نُطْقَهَا من الخطأ في الهجاء، وهذا تفسير يبتعد عن الحقائق التاريخية واللغوية التي استند عليها رسم المصحف، والتي يمكن في ضوءها تفسير أكثر ظواهر الرسم، على نحو ما سنعرضه في المبحث الثاني من هذا الفصل، إن شاء الله.

وَحَمَلَ القاضي أبو بكر الباقلائي (ت ٤٠٣هـ) قول عثمان بن عفان رضي الله عنه حين عُرِضَ عليه المصحف بعد نسخه: «إن فيه لحنًا، وستقيمه العرب بألسنتها»^(٢)، على ما وقع في المصحف من مخالفة الرسم للنطق من حذف وزيادة، وأن العرب لا تلتفت إلى المرسوم المكتوب الذي وُضِعَ للدلالة فقط، وإنها تتكلم به على مقتضى اللغة والوجه الذي أُنزِلَ عليه، وسَمَّاهُ بلحن الهجاء^(٣).

ويبدو أن آخر من ردَّد هذه المقولة هو ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ)، فذكر في أحد فصول مقدمته أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية، وأن الخط

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ١١٥.

(٣) الانتصار للقرآن ٢/ ٥٤٤ - ٥٤٧.

العربي كان بالغاً مبالغه من الإحكام والإتقان والجودة في دولة التبابعة في اليمن، قبل الإسلام لِمَا بلغت من الحضارة والترف، وهو المُسَمَّى بالخط الحميري، أو المُسَنَد^(١).

ثم قال ابن خلدون: «ومن حَمِيرَ تعلمت مُصْرُ الكتابة العربية، إلا أنهم لم يكونوا مجيدين لها، شأن الصنائع إذا وقعت بالبدو فلا تكون محكمة المذاهب ولا مائلة إلى الإتقان والتنسيق، لِبَيِّن ما بين البدو والصناعة، واستغناء البدو عنها في الأكثر، وكانت كتابة العرب بدوية... فكان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة، ولا إلى التوسط لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع، وأنظُر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة، فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رَسَمَهُ أصحابُ الرسول ﷺ وَخَيْرُ الخلق من بعده، المُتَلَقُّونَ لِوَحْيِهِ من كتاب الله وكلامه... واعلم أن الخط ليس بكمال في حقهم، إذ الخط من جملة الصنائع المدنية المعاشية...»^(٢).

ويمكن أن نأخذ على كلام ابن خلدون هنا عدة نقاط، منها:

١ - دَلَّت الدراسات الحديثة في تاريخ الخطوط أن أهل الحجاز لم يأخذوا خطهم من حمير، وأن المسند ليس أصلاً للخط الذي كُتِبَ به القرآن الكريم، كما تقدّم في التمهيد.

٢ - ما ذهب إليه من أن الصحابة رسموا المصحف بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، وهذا - كما يقول الدكتور صلاح الدين المنجد: «جَهْلٌ منه؛ لأن الصحابة ﷺ اتبعوا كما رأينا معظم الرسم الذي وصل إليهم من الكتابة

(١) ينظر: مقدمة ابن خلدون ص ٤١٧ - ٤١٨.

(٢) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٨ - ٤١٩.

النبطية المتطورة، أما (رسوم ما اقتضته صناعة الخط) فكانت وليدة مراحل جديدة من التطور والحضارة وال عمران، تحققت في ما بعد بواسطة الخط الكوفي وغيره من أنواع الخطوط»^(١).

٣ - إذا كانت صفة البداوة تخالط حياة العرب في مكة والمدينة قبل البعثة النبوية، فإن الإسلام أحدث تغييراً في حياتهم الدينية والثقافية والمعاشية، فإذا كان عدد الكُتَّاب قليلاً في صدر البعثة، وكانت وسائل الكتابة بدائية، فإن عدد الكُتَّاب ازداد حتى بلغ كُتَّاب النبي ﷺ أكثر من أربعين، وتطورت أدوات الكتابة، فاستخدموا الرقوق والقراطيس والورق في الكتابة، وتحسَّن شكل الخطوط بفضل عناية الخلفاء بتحسين كتابة المصاحف وتعظيمها.

ويجدر بنا تذكير الدارس بعدد من الحقائق المتعلقة بالكتابة، قبل الانتهاء من الحديث عن هذا المذهب في تفسير ظواهر الرسم، حتى لا يعلَّق بذهنه احتمال وقوع خطأ في رسم المصحف، كما يُفهم من بعض النصوص السابقة، ومن تلك الحقائق:

١ - لا توجد كتابة من الكتابات الإنسانية القديمة والحديثة يتطابق فيها الرسمُ مع النطق تطابقاً تاماً، ولا يُشكَّلُ ذلك مطعناً فيها، ولا يُصنَّفُ في باب الخطأ.

٢ - إن تنوع القاعدة التي تحكم بعض ظواهر رسم المصحف لا تدل على وقوع خطأ في الكتابة، بقدر ما تدل على حرص الصحابة على تكميل ما أحسوا به من قصور في تقاليد الكتابة العربية آنذاك، فهم تارة يرسمون الكلمات على الوقف على أواخرها، فإذا وجدوا ذلك غير وافٍ رسموها على الوصل، وسوف نفصل الحديث عن هذه القضية في المبحث الثاني من هذا الفصل.

٣ - إنَّ ما حَمَلَهُ رسم المصحف من ظواهر كتابية يدل على اجتهاد عظيم

(١) دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٤٤.

من الصحابة على استثمار خصائص الكتابة العربية آنذاك في تمثيل ظواهر القراءة، وقد عبّر الداني عن هذا المعنى أحسن تعبير بقوله: «وليس شيء من الرسم، ولا من النَّقْطِ، اصطلح عليه السلف - رضوان الله عليهم - إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحة والصواب، وقصدوا فيه طريقاً من اللغة والقياس، لموضعهم من العلم، ومكانتهم من الفصاحة، عَلِمَ ذلك مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»^(١)، ولا تُظَنَّ أن في كلام الإمام أبي عمرو الداني مبالغة في القول، وسوف تجد مصداق ما قاله في المبحث الثاني من هذا الفصل، إن شاء الله.

٤ - إن ما في رسوم المصاحف من تنوع، وما في كتابة الظاهرة الواحدة من تعدد، دليل على بقاء رسم المصحف كما خطه الصحابة - رضوان الله عليهم - فقد تغيرت كتابة الناس وتطورت قواعد الإملاء وبقي المصحف على الكِتابَةِ الأولى، لا يتطرق الشك إلى سلامته من التغيير أو التبديل، على تعاقب السنين وتبدل الأحوال، والحمد لله رب العالمين.

وخلاصة القول في هذا المذهب في تفسير ظواهر الرسم أنه بُني على تصور قاصر لتاريخ الكتابة العربية، وفهم غير دقيق لطبيعة الخط وأصوله، وعلى الدارس أن يستبعد هذا المذهب من تفكيره وهو يدرس رسم المصحف؛ لأنه يمنعه من الفهم الصحيح لظواهر الرسم، ويوقعه في نسبة الخطأ إلى الصحابة حين كتبوا القرآن بين يدي النبي ﷺ، وفي جمعه في الصحف، ونسخه في المصاحف، وهم الذين تَحَرَّوْا الدقة في ما كتبوه، واجتهدوا في الاستجابة لدواعي النطق في الوصل والوقف، من غير إفراط ولا تفريط.

وتقدّم في الفصل الأول الإشارة إلى أن كتابة القرآن الكريم كانت تخضع للتدقيق حين كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ، وأن المصاحف كانت تخضع للعرض والمراجعة والتدقيق، ولعل مما يبعد خاطر تصور وقوع الصحابة - رضوان الله عليهم - في الخطأ وهم يكتبون المصاحف إيراد الروايات الآتية:

(١) المحكم ص ١٩٦.

١ - أخرج الطبري عن أبي قلابة البصري (عبد الله بن زيد ت ١٠٤هـ)، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنتُ في مَنْ يُمْلِي عليهم، قال: فربما اختلفوا في الآية فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعله أن يكون غائباً، أو في بعض البوادي، فيكتبون ما قبلها وما بعدها، ويدعون موضعها، حتى يَجِيءَ أو يُرْسَلَ إليه...»^(١).

٢ - أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «فضائل القرآن» عن هانئ البربري، مولى عثمان بن عفان، قال: «كنت الرسول بين عثمان وزيد بن ثابت، فقال زيد: سلُّه عن قوله: (لم يَتَسَنَّ) أو ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، فقال عثمان: اجعلوا فيها الهاء»^(٢).

٣ - وأخرج أبو عبيد عن هانئ أيضاً أنه قال: «كنت عند عثمان، وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي بن كعب، فيها: (لم يَتَسَنَّ) وفيها (لا تبديل للخلق)، وفيها (فأمهل الكافرين) فدعا بالدواة، فمحا إحدى اللامين، وكتب ﴿لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، ومحا (فأمهل) وكتب ﴿فَهَلْ﴾ [الطارق: ١٧]، وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ألحق فيها الهاء»^(٣).

ولهذه الروايات عدة دلالات، منها:

- ١ - حرص الصحابة على كتابة القرآن الكريم كما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم.
 - ٢ - حرص الصحابة على أن تكون كتابة القرآن دقيقة معبرة عن القراءة أدق تعبير.
 - ٣ - تشاور الصحابة في رسم الكلمات التي حصل عندهم تردد في طريقة رسمها، ثم اتفقهم على الصورة التي أثبتوها في المصاحف.
- ولا يعني إطالة الكلام هنا في نفي الخطأ عن رسم المصاحف أن ظواهر

(١) جامع البيان ١/٢٧، وينظر: الداني: المقنع ص ٧.

(٢) فضائل القرآن ص ٢٨٧، وينظر: الطبري: جامع البيان ٣/٣٧.

(٣) فضائل القرآن ص ٢٨٦، وينظر: الطبري: جامع البيان ٣/٣٨.

الرسم تخلو من الإشكالات أو أنها لا تثير تساؤلات، ولكن حل تلك الإشكالات والإجابة على تلك التساؤلات يجب أن يكون باتجاه آخر غير اتجاه نسبة الخطأ إلى كُتَّاب المصاحف، لكن عدداً من العلماء اتجهوا وهم يحاولون تقديم تفسير لظواهر الرسم إلى القول بأن ظواهر الرسم تدل على أسرار خفية أو معان إضافية، قد يُتَوَصَّلُ إليها من خلال الكشف الرباني أو التأمل الذاتي، وهذا هو موضوع الفقرة الآتية.

المذهب الثاني: ظواهر الرسم تدل على أسرار خفية أو معان إضافية:

تَوَقَّفَ عدد من العلماء المتأخرين عند خروج مواضع في رسم المصاحف عن قوانين الكتابة التي اعتادوا عليها، وقالوا: إن مخالفة هذه المواضع لتلك القوانين يراد بها الدلالة على معان إضافية قصد الصحابة - رضوان الله عليهم - الدلالة عليها من خلال ما ورد في الرسم من حذف أو زيادة أو بدل أو وصل أو قطع، وغاب عن أولئك العلماء أن تلك القوانين لم تكن معروفة في عصر نسخ المصاحف، ولا مأخوذاً بها في الكتابة، وأنها من صياغة علماء العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأنه من الخطأ إخضاع رسم المصحف لها.

ويبدو أن قول بعض العلماء بوجود خطأ في رسم المصحف قد حمل هؤلاء العلماء على الرد على ذلك من خلال التأكيد على أن ظواهر الرسم التي عدّها بعض العلماء خطأ في الرسم، ذات دلالات معنوية عظيمة تدل على حكمة الصحابة رضي الله عنهم وبعُد نظرهم، لكن الكشف عن تلك المعاني لم يستند إلى ضوابط لغوية محدّدة، وإنما يرجع إلى التأمل الذاتي أو إلى ما سمّاه بعضهم بالفتح الرباني، وقد يكون هذا الجانب هو نقطة الضعف الجوهرية في هذا المذهب، وَلَنْ نُنْظُرَ في ما قالوه أولاً، قبل إعطاء موقف نهائي من هذا المذهب.

ويُعَدُّ أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي، الشهير بابن البناء المراكشي (ت ٧٢١هـ) وهو عالم بالعربية والأصول والمنطق والرياضيات

والفلك^(١)، أشهر من تبني هذا المذهب وقدّم أمثلة تطبيقية عليه، وذلك في كتابه «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل»^(٢)، واعتمد على مادة هذا الكتاب كثير من العلماء الذين درسوا الرسم وحاولوا تفسير ظواهره، فنقل مادة الكتاب بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه «البرهان في علوم القرآن»^(٣)، وأشار إلى الكتاب وفكرته السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه «الإتقان في علوم القرآن»^(٤)، ونقل القسطلاني (ت ٩٢٣هـ) خلاصة تلك الفكرة في كتاب «لطائف الإشارات لفنون القراءات»^(٥)، وهي تلخص في «أن هذه الأحرف إنما اختلف حالها في الخط بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها»^(٦).

ويتألف كتاب ابن البناء من مقدّمة، بيّن فيها المؤلف أركان نظريته^(٧)، ومن أبواب طبّق فيها تلك النظرية على ما يتعلق برسم الهمزة^(٨)، والألف^(٩)، والواو^(١٠)، والياء^(١١)، من حيث الزيادة والحذف والإبدال، وخصّص باباً لكتابة هاء التأنيث في الأسماء تاء مبسوطة^(١٢)، وباباً للوصل والفصل^(١٣)، وختّم الكتاب بباب قصير في كلمات تُكْتَبُ بالسين والصاد، باتفاق المعنى واختلافه^(١٤).

- (١) تنظر ترجمته: عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين ١٢٦/٢، والزركلي: الأعلام ١/٢٢٢.
- (٢) مطبوع بتحقيق الأستاذة هند شلبي، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م.
- (٣) ينظر: البرهان ١/٣٨٠ - ٤٣٠.
- (٤) ينظر: الإتقان ٦/٢١٩٦.
- (٥) ينظر: لطائف الإشارات لفنون القراءات ١/٢٨٥ - ٢٨٨.
- (٦) الزركشي: البرهان ١/٣٨٠.
- (٧) عنوان الدليل ص ٢٩ - ٣٤.
- (٨) عنوان الدليل ص ٣٥ - ٥٣.
- (٩) عنوان الدليل ص ٥٥ - ٨٦.
- (١٠) عنوان الدليل ص ٨٧ - ٨٩.
- (١١) عنوان الدليل ص ٩١ - ١٠٨.
- (١٢) عنوان الدليل ص ١٠٩ - ١١٨.
- (١٣) عنوان الدليل ص ١١٩ - ١٣٧.
- (١٤) عنوان الدليل ص ١٣٩ - ١٤١.

ابتدأ المؤلف الكتاب بعد الافتتاح بحمد الله، والصلاة على النبي ﷺ بقوله: «وبعد، فإنه لَمَّا كان خط المصحف الذي هو الإمام الذي يعتمده القارئ في الوقف والتمام ولا يَعْدُو رسومه ولا يتجاوز مرسومه، قد خالف خَطَّ الأنام في كثير من الحروف والأعلام، ولم يكن ذلك منهم كيف اتفق، بل على أمر عندهم قد تَحَقَّقَ، بحثُ عن وجوه ذلك بمقتضى الميزان ووافي الرجحان، ووقفْتُ منه على عجائب ورأيتُ منه غرائب، جمعتُ منها في هذا الجزء ما تيسر، عبرة لمن يتذكر، وسميته «عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل» هو لأولي الألباب مفتاحُ تَدَبُّرِ الكتاب، بحول الله تعالى وقوته»^(١).

ثم وَصَّح ابن البناء الأسس التي أقام عليها نظريته من خلال الحديث عن طبيعة نطق الهمزة وحروف المد واللين الثلاثة: الألف والواو والياء، ومواضع نطقها من آلة النطق، ثم قال: «ولأحوال هذه الحروف مناسبة لأحوال الوجود حصل بها بينهما ارتباط به يكون الاستدلال:

فالهمزة تدل على الأصالة والمبادي فهي مؤصِّلةٌ.

والألف تدل على الكون بالفعل في الوجود فهي مُفصِّلةٌ...

والواو تدل على الظهور والارتفاع والارتقاء فهي جامعةٌ...

والياء تدل على البطون فهي مُخَصِّصةٌ...»^(٢).

ثم تحدَّث عن طبيعة الوجود للأشياء وأنواعه من حيث إمكانية إدراكه وعدمه، فقال: «كما انقسم باب الوجود على قسمين: ما يُدْرِكُ وما لا يُدْرِكُ، والذي يُدْرِكُ على قسمين: ظاهر، ويُسمَّى: المُلْكُ، وباطن ويُسمَّى: المَلَكُوت. والذي لا يُدْرِكُ نَتَوَهَّمُهُ على قسمين:

ما ليس من شأنه أن يُدْرِكُ، فهو معاني أسماء الله وصفة أفعاله من حيث هي أسماؤه وأفعاله، فإنه انفرد بعلم ذلك ﷻ، فهذا من هذا الوجه يُسمَّى: العزَّة.

(١) عنوان الدليل ص ٣٠.

(٢) عنوان الدليل ص ٣٢.

وما من شأنه أن يُدْرَكَ لكن لم نصله بإدراك، وهو ما كان في الدنيا ولم ندركه ولا مثله، وما يكون في الآخرة وما في الجنة... وهذا من هذا الوجه يُسَمَّى: الجَبْرُوت. وجاء ذلك كله مرتباً في الحديث في تسييح الملائكة ﷺ، وهو قولهم: (سُبْحَانَ ذِي الْمُلْكِ وَالْمَلَكُوتِ، سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ)...^(١).

وانتهى المؤلف إلى الربط بين أقسام الوجود وأحوال الحروف، فقال: «... والتنزيل في الخطاب بين هذه الأقسام، صارت اللفظة بحسب ذلك مشتركة في الاعتبار بين البابين وأقسام الوجود، فاحتاجت إلى فرقان، فيُجْعَلُ الألف يدل على قسمي الوجود، والواو على قسم الملك منه؛ لأنه أظهر للإدراك، والياء على قسم الملكوت منه لأنه أبطن في الإدراك، فإذا بَطَّنَتْ حروفاً في الخط ولم تُكْتَبْ فلمعنى باطن في الوجود عن الإدراك، وإذا ظَهَرَتْ فلمعنى ظاهر في الوجود إلى الإدراك، كما إذا وُصِلَتْ فلمعنى موصول، وإذا حُجِرَتْ فلمعنى مفصول، وإذا تغيرت بضرب من التغير دلت على تغير في المعنى في الوجود يظهر في الإدراك بالتدبر، على ما نُبِيَهُ بَعْدُ، إن شاء الله، ولا تَقِفُ بالفهم عند أوائل العلم، فإن معارف الملك والملكوت لا تنحصر في ما أقول»^(٢).

وطَبَّقَ ابن البناء المراكشي نظريته هذه على موضوعات الرسم الأساسية من حذف وزيادة، وإبدال، وهمزة، ووصل وفصل، ولا يتسع المقام لعرض تفاصيل ذلك، وسوف أكتفي بذكر بعض الأمثلة، حتى تتضح للقارئ أبعاد هذه النظرية، ويدرك مقدار ما يمكن أن تقدمه في تفسير ظواهر الرسم.

فقال في باب الهمزة: «مثل: ﴿الْمَلَأُوا﴾ [المؤمنون: ٢٤] أربعة أحرف، عَضِدَتْ فيها الهمزة بالواو تنبيهاً على أن معنى الكلمة ظاهر للفهم في قسم الملك من الوجود، فهؤلاء (الملؤا) هم أرفع الطبقات وهم أصحاب الأمر

(١) عنوان الدليل ص ٣٣.

(٢) عنوان الدليل ص ٣٤.

المرجوع إليهم في التدبير، فقوي معنى الهمزة فَعُضِدَتْ، وزيدت الألف بعد الواو تنبيهاً على أنهم أحد قسمي الملاء، فظهورهم هو بالنسبة إلى القسم الآخر في الوجود، إذ منهم التابع والمتبوع قد انفصلا في الوجود، وستكلم على الألف في بابه، فزيادة هذه الحروف ونقصانها ينوب مناب صفات الوجود»^(١).

وقال في باب الألف وزيادتها: «فالضرب الأول الذي تزداد فيه من أول الكلمة: هذا يكون باعتبار معنى زائد بالنسبة إلى ما قبله في الوجود مثل: ﴿أَوْ لَأَذِجَنَّهٗ﴾ [النمل: ٢١]، و﴿وَلَا وَضِعُوا خَلْقَكُمُ﴾ [التوبة: ٤٧]، زيدت الألف تنبيهاً على أن المؤخر أشد وأثقل في الوجود من المقدم عليه لفظاً، فالذبح أشد من العذاب، والإيضاع أشد فساداً من زيادة الخيال، وظهرت الألف في الخط لظهور القسمين في العلم...»^(٢).

وقال في باب زيادة الياء: «وذلك علامة اختصاص ملكوتي، مثل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِأَيِّدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] كُتِبَتْ يباءين فرقاً بين (الأيد) الذي هو القوة، وبين (أيدي) جمع يد، ولا شك أن القوة التي بنى الله بها السماء هي أحق بالثبوت في الوجود من الأيدي، فزيدت الياء لاختصاص اللفظة بالمعنى الأظهر في الإدراك الملكوتي في الوجود»^(٣).

وقال في باب الوصل والحجز: «اعلم أن الموصول في الوجود توصل كلمته في الخط، كما توصل حروف الكلمة الواحدة، والمفصول معنى في الوجود يُفْصَلُ في الخط، كما تُفْصَلُ كلمة عن كلمة...»^(٤).

وعلى الرغم من الجهد الذي بذله ابن البناء المراكشي في صياغة نظريته حتى تبدو واقعية وشاملة لجميع موضوعات الرسم، فإن تطبيقها على جميع

(١) عنوان الدليل ص ٣٦ - ٣٧.

(٢) عنوان الدليل ص ٥٦.

(٣) عنوان الدليل ص ٩١.

(٤) عنوان الدليل ص ١١٩.

ظواهر الرسم لا يخلو من التكلف، ومن ثم فإنها لم تحظ بالقبول إلا لدى قلة من العلماء، ويبدو أن ابن خلدون كان يقصد ابن البناء المراكشي في قوله: «ولا تَلْتَفِتَنَّ في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين (!)... بل لكلها وَجْهٌ، يقولون في مثل زيادة الياء في ﴿بِأَيْدٍ﴾ إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض»^(١).

وعَلَّقَ الشيخ محمد طاهر الكردي على تلك التعليقات بقوله: «ذكر العلماء تعليقات متنوعة لبعض كلمات الرسم العثماني، غير أن هذه التعليقات ما هي إلا من قبيل الاستئناس والتمليح؛ لأنها لم توضع إلا بعد انقراض الصحابة رضي الله عنهم وهم قد كتبوا المصحف بهذا الرسم لحكمة لم نفهمها وإشارة لم ندرکها من غير أن ينظروا إلى العلل النحوية أو الصرفية، التي استنبطت بعدهم، ونحن نأتي هنا بشيء من ذلك للعلم به (فمنها)... أنهم قالوا حذفت الواو من ﴿وَيَمَّحُ اللَّهُ الْبِطْلَ﴾ [الشورى: ٢٤]، للإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله، وزيدت الياء في ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] للفرق بين (الأيدي) التي بمعنى القوة، و(الأيدي) التي ليست بمعنى القوة.

(فنحن نقول): إذا سلمنا بعلّة حذف الواو من ﴿وَيَمَّحُ اللَّهُ الْبِطْلَ﴾ فهل يمكن أن نشير إلى أن إثبات الواو في ﴿يَمَّحُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ﴾ [الرعد: ٣٩] يدل على التراخي في المحو والإثبات، وإن جَرَيْنَا على رأيهم أن زيادة الياء في ﴿بِأَيْدٍ﴾ للفرق بين التي للقوة والتي ليست للقوة، فما نقول في زيادة الياء في ﴿بِأَيْدِيكُمْ أَلْمُفْتُونُ﴾ [القلم: ٦] دون زيادتها في ﴿أَيْدِيكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧]...

فالخلاصة أن هذه التعليقات التي ذكرها العلماء من الزيادة والحذف في بعض كلمات القرآن لا تغني شيئاً، والحقيقة هكذا وصلت إلينا عن الصحابة الذين كتبوا القرآن الكريم، ولم ينكشف سر ذلك لأحد، والله سبحانه عَلَّامُ الْغُيُوبِ»^(٢).

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٤١٩.

(٢) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٥٥ - ١٥٦.

والشيخ محمد طاهر الكردي يعتقد أن ظواهر الرسم مبينة على حكمة وليس من باب الخطأ، لكنَّ كُشِفَ تلك الحكمة لم يعد ممكناً بعد ذهاب الذين كتبوه، فهو يقول: «بقي علينا أن نعرف لماذا لم يكتبوا المصحف على قواعد الكتابة، ولماذا لم يمشوا في كتابته على وتيرة واحدة؟ هذا سؤال يجب أن يُوجَّهَ إلى الصحابة الذين كتبوه بأمر عثمان رضي الله عنه وأنى يكون ذلك؟ وقد ذهبوا إلى جوار ربهم الكريم، ومن هنا يقول العلماء: إن رسم المصحف سر من الأسرار لم يطلع عليه أحد، وإن خطه معجز كلفظه المقروء، وإذا كان أهل القرن الأول وأهل القرن الثاني لم يعرفوا سر هذا الأمر كما سيأتي في الصحيفة التالية، فكيف يعرفه المتأخرون عنهم بأكثر من ألف سنة، فليس علينا إلا التسليم والاتباع بدون مناقشة ولا جدال، هذا ولا تَوَهَّمَنَّ عليهم السهو أو الخطأ في كتابة كلام الله تعالى»^(١).

ويعتقد الشيخ عبد العزيز الدباغ (ت ١١٣٢هـ) أن رسم القرآن العزيز إنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة بزيادة الأحرف ونقصانها، لأسرار إلهية وأغراض نبوية لا تدركها العقول إلا بالفتح الرباني^(٢).

وتبني بعض الكُتَّاب المعاصرين فكرة الربط بين ظواهر الرسم والدلالة على معاني معينة، ويبدو التأثير فيها بمذهب ابن البناء المراكشي واضحاً، ولا يتسع المقام للحديث عنها، لا سيما أن ما ذكرناه من قبل ينطبق عليها^(٣).

إن فكرة الربط بين ظواهر الرسم والدلالة على معاني زائدة على معاني

(١) تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه ص ١٠١.

(٢) أحمد بن المبارك: الإبريز ص ١١٩ - ١٢٠.

(٣) كتب الأستاذ محمد شملول كتاب «إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة»، ط ٢، دار السلام، القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، وقال فيه ص ٥٥ بعد أن أشار إلى قواعد رسم المصحف: «وفي هذه الدراسة سنحاول تلمس الإعجاز في رسم الكلمة القرآنية من واقع هذه القواعد، والتي جاءت فيها كتابة بعض الكلمات القرآنية مخالفة للرسم العادي للكلمة». وصرَّح مؤلفه بالنقل عن ابن البناء المراكشي في بعض فصول الكتاب، ينظر: إعجاز رسم القرآن ص ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١.

الألفاظ ذاتها لا تستند إلى دليل واضح، كما أنها تفتقر إلى إمكانية الخضوع لقاعدة لغوية مطردة، فَجُلُّ ما قيل من تعليل في إطار هذه النظرية يقوم على اجتهاد شخصي لا تحكمه ضوابط محددة.

ويبدو أن ما في هذه النظرية أو المذهب من ضعف جَعَلَ المؤلفين في رسم المصحف يتغاضون عما ورد فيها من تعليقات، ويتبنون نوعاً آخر من العلل، هي تلك العلل المستندة إلى ظواهر لغوية أو تقاليد كتابية، وهو ما ستحدث عنه في الفقرة اللاحقة إن شاء الله تعالى.

المذهب الثالث: التعليل اللغوي لظواهر الرسم:

الكتابة رموزٌ خطية لتمثيل أصوات اللغة المنطوقة، ومَرَّت الكتابة بمراحل من التطور حتى صار لكل صوت لغوي واحد رمز كتابي واحد، لكن الرواسب التاريخية والعادات الكتابية المتوارثة أَثَرَتْ على دقة تمثيل الكتابة للغة المنطوقة، ومن ثم فإن أكثر الكتابات القديمة والحديثة تعاني من قصور يتمثل في حذف رموز أو زيادة رموز أو إبدال رموز بغيرها.

وإذا أراد الدارس أن يبحث عن تفسير مقبول لظواهر رسم المصحف التي لا يتطابق فيها المكتوب مع المنطوق فإن عليه أن يرجع إلى الحقبة التي سبقت البعثة النبوية ويدرس خصائص الكتابة العربية آنذاك؛ لأن كُتِّب الوحي دَوَّنوا القرآن الكريم في الرقاع والصحف والمصاحف بالكتابة العربية التي كانت سائدة في عصرهم، كما تقدّم بيان ذلك في التمهيد والفصل الأول من هذا الكتاب.

وإذا كان كثير من تفاصيل تاريخ الكتابة العربية غير معروف لعلماء العربية وعلماء الرسم الأوائل فإنهم أدركوا أن تفسير ظواهر الرسم يتعلق في معظمه بعلة لغوية ترتبط من جانب بتقاليد الكتابة وترتبط من جانب آخر بالنطق وطريقة الأداء، وقد وَجَّهُوا معظم ظواهر الرسم من خلال هذا الإطار، فالحذف أو الزيادة أو البديل له علة صوتية أو كتابية، ولا يقلل من قيمة تلك العلل أن الدراسات الحديثة في تاريخ الخط أثبتت عدم دقة بعضها، فالمهم صحة المنهج الذي قامت عليه.

ومع أن عدداً من المتأخرين تعلقوا بالمذهب الذي أرسى أسسه ابن البناء المراكشي في تعليل ظواهر الرسم فإن التعليل اللغوي لظواهر الرسم أقدم نشأة، وأكثر قبولاً عند المؤلفين في رسم المصحف، وهو المذهب الذي تؤيده الدراسات الحديثة لتاريخ الخط العربي، وتوضح جوانب قد تكون خَفِيَّتْ على المتقدمين منه، وإذا ضَمَمْنَا ما كتبه علماء الرسم في هذا المجال إلى ما كشفت عنه الدراسات الحديثة أمكن تقديم تفسير لكثير من ظواهر الرسم يقوم على التعليل اللغوي، ولعل الدراسات اللاحقة تكشف عن حقائق جديدة توضح الظواهر التي عجزت الدراسات الحالية عن تفسيرها أو توضيح أصلها.

إن تنوع آراء العلماء في تفسير ظواهر الرسم يعكس تنوع الثقافة والبيئة والعصر، وإذا كان بعض هذه الآراء وارداً أو مقبولاً في وقت لم تُكْتَشَفْ فيه أصول الكتابة العربية، فإنها لم تعد اليوم مقبولة؛ لأن كثيراً من ظواهر الرسم أصبح لها تفسير واضح من خلال ربطها بأصلها الكتابي القديم، وتظل العلل اللغوية التي استند إليها أكثر علماء الرسم والعربية في تفسير ظواهر الرسم أقرب إلى طبيعة الموضوع وأكثر قبولاً في ضوء الدراسات الحديثة في مجال تاريخ الخطوط القديمة.

ولا شك في أن ما حمله رسم المصحف من ظواهر كتابية يدل على اجتهاد عظيم من الصحابة رضي الله عنهم على استثمار خصائص الكتابة العربية آنذاك في تمثيل ظواهر القراءة، وحرصهم على تكميل ما أحسوا به من قصور في تقاليد الكتابة العربية، فهم تارة يرسمون الكلمات على الوقف، فإذا وجدوا ذلك غير وافٍ رسموها على الوصل، وتارة يرسمونها على الأصل، وأخرى على اللفظ، حتى استتم لهم ما أرادوا من كتابة القرآن الكريم على نحو ما تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وتتلخص علة الحذف عند علماء الرسم: بقصد الاختصار، والاكتفاء بالحركة عن الحرف، وكرهه اجتماع صورتين متفتحتين في الخط، وبناء الرسم على الوصل دون الوقف، وكثرة الاستعمال.

وتتلخص علل الزيادة: بالفرق، والتقوية، وإشباع الحركات حتى يتولد منها حرف.

وتتلخص علل البدل بمراعاة الأصل، أو بناء الرسم على الإمالة أو التفتيح، أو الوصل دون الوقف.

وتتلخص علل الهمز في مراعاة الاتصال والتسهيل، أو مراعاة الانفصال والتحقيق.

وتتلخص علل الفصل والوصل ببناء الرسم على اللفظ والوصل أو على الأصل والانفصال، أو على الاختصار والاستخفاف^(١).

ونظراً إلى كون هذا المذهب في توجيه ظواهر الرسم أرجح المذاهب الثلاثة فإننا سوف نعرض في المبحث الثاني من هذا الفصل علل ظواهر الرسم التي وردت في المصادر التي أشرنا إليها، إلى جانب ما تُقَدِّمُهُ الدراسات الحديثة في تاريخ الخط العربي من حقائق يمكن أن تعزز تلك العلل أو توضح ما خَفِيَ منها.

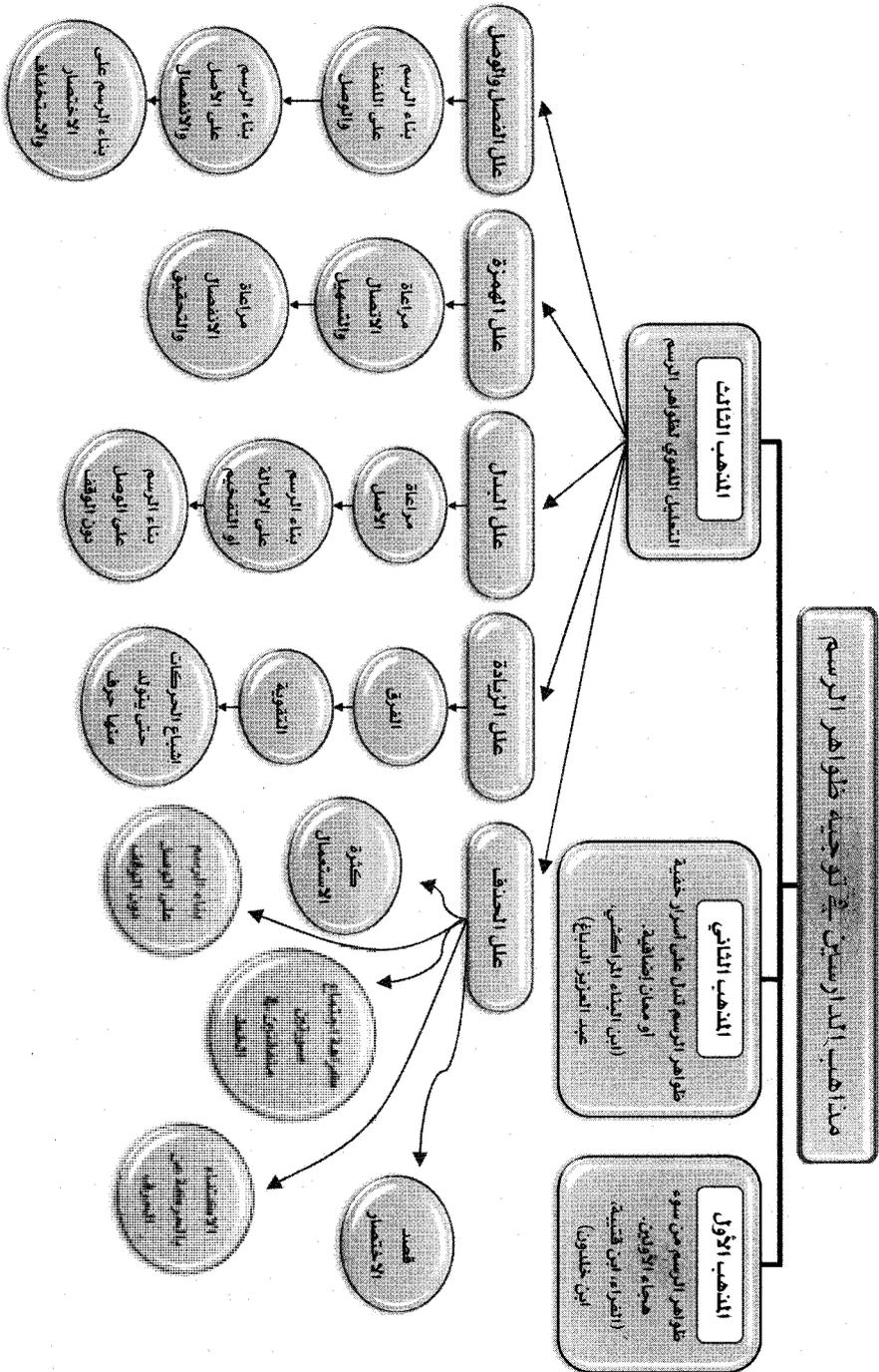
ضوابط منظومة:

قال الشيخ محمد الجكني في منظومته «كشف العمى والرَّين» في أسرار الرسم وما قيل في تحليل ظواهره:

- | | |
|--|---------------------------------|
| ٤٠ - والحَطُّ فيه مُعْجَزٌ للناس | وحائدٌ عن مقتضى القياس |
| ٤١ - لا تهتدي لِسِرِّهِ الفُحُولُ | ولا تَحُومُ حَوْلَهُ العقولُ |
| ٤٢ - قد خَصَّهُ اللهُ بتلك المَنزِلَةِ | دونَ جميعِ الكُتُبِ المَنزِلَةِ |
| ٤٣ - لِيَظْهَرَ الإعْجَازُ في المرسومِ | منه كما في لفظهِ المنظومِ |
| ٤٤ - وما أتى مِن صُورٍ مَزِيدَةٍ | فيه وَحَدَفٍ أَحْرَفٍ عَدِيدَةٍ |
| ٤٥ - كالياءِ إذ زِيدَتْ لدى بأيدي | وَحَدَفَتْ مِن قولِهِ ذا الأيدي |
| ٤٦ - والألِفُ المَزِيدُ في لفظِ مائه | وفي أقاموا دونَ جَاءِ وَفَيْهِ |

(١) سيرد في المبحث الثاني تفصيل هذه العلل، وذكر أمثلتها وبيان مصادرها.

- ٤٧- والألفُ المرسومُ في لفظِ سَعَوْا
 ٤٨- ونَعَمْتُ إذْ رُسِمْتُ بالتاءِ
 ٤٩- والأحرفُ التي يُهَجِّي القاري
 ٥٠- فَكُلُّ ذَا لِعِلَّةٍ مُقَدَّرَةٌ
 ٥١- أَنْفَاسُهُ لِلنَّفْسِ لَا تَنْسَمُ
 ٥٢- وَقَدْ تَكَلَّفَ شُيُوخُ الكَتَبَةِ
 ٥٣- فَذَكَرُوا مِنْ ذَاكَ مَا لَا يُقْنِعُ
- في الحَجِّ دونَ غيرها وفي عَتَوْا
 طَوْرًا وطَوْرًا صُوِّرَتْ بالهاءِ
 بها هَجَاءُ الإلْدَةِ الصُّغَارِ
 وَحِكْمَةٍ عَنِ الحِجَا مُخَدَّرَةٌ
 وَسِرُّهُ عَنِ الوَرَى مُطْلَسَمٌ
 فَسَارَعُوا فِيهِ لِنَحْتِ الأَجْوِبَةِ
 قَلْبًا وَلَا غِلَّ غَلِيلٍ يُنْقِعُ



خلاصة

- ١ بحث العلماء في تفسير ظواهر الرسم التي لا يتطابق فيها المرسوم مع الملفوظ، وتعددت وجهات نظرهم.
- ٢ كتب عدد من علماء الرسم مؤلفات في توجيه ظواهر الرسم، منهم الظلمنكي ومكي والداني، وفي بعض كتب الرسم الأخرى تعليل للرسوم أيضاً.
- ٣ ذهب عدد من الدارسين إلى أن ما في رسم المصحف من ظواهر لا يتطابق فيها الرسم مع النطق ناتج عن ضعف الكتاب في الهجاء، كما يفهم ذلك من كلام للفراء وابن قتيبة وابن خلدون.
- ٤ إن نسبة القصور إلى الصحابة في رسم المصحف مبني على قصور في معرفة تاريخ الكتابة العربية، فقد كشفت دراسة الخطوط القديمة أن الصحابة قد اجتهدوا غاية الاجتهاد في استعمال الكتابة التي كانت سائدة في زمانهم لتدوين القرآن.
- ٥ لم يستخ علماء الرسم نسبة القصور إلى الصحابة، فاجتهدوا في تفسير ظواهر الرسم، فذهب ابن البناء المراكشي إلى أن ظواهر الرسم تدل على معان تتناسب وأحوال الوجود، وذهب الشيخ عبد العزيز الدباغ إلى أن الرسم توقيفي، وأن فيه أسراراً لا تُدْرَك إلا بالفتح الرباني.
- ٦ لم تكن نظرية ابن البناء كافية للكشف عن حقيقة ظواهر الرسم بما يتناسب وطبيعة الكتابة العربية، وكذلك فكرة الشيخ عبد العزيز الدباغ؛ لأنهما لم يستندا إلى قواعد محددة لبيان دلالة ظواهر الرسم على المعاني.
- ٧ ذهب أكثر علماء الرسم إلى أن ظواهر الرسم ترجع إلى علل لغوية تتعلق بتقاليد الكتابة أو طريقة الأداء.
- ٨ ظهرت في السنوات الأخيرة دراسات تُفسرُ ظواهر الرسم على أساس الدلالة على معان إضافية، وهي لا تبعد عن نظرية ابن البناء.

أسئلة تقويمية

- ١ ما موقف علماء الرسم من الظواهر التي لا يتطابق فيها الرسم مع النطق؟
- ٢ اذكر أشهر الكتب المؤلفة في تعليل ظواهر الرسم؟
- ٣ ما أشهر مذاهب الدارسين في توجيه ظواهر الرسم؟
- ٤ بيّن رأي كل من الفراء وابن قتيبة وابن خلدون في تفسير ظواهر الرسم؟
- ٥ كيف يمكن الرد على مذهب الفراء ومَن وافقه في نسبة القصور في الكتابة إلى الصحابة؟
- ٦ ما مذهب ابن البناء المراكشي في توجيه ظواهر الرسم، وما فكرة الشيخ عبد العزيز الدباغ؟
- ٧ ما نقطة الضعف في نظرية ابن البناء وفكرة الشيخ الدباغ؟
- ٨ ما موقف جمهور علماء الرسم من تفسير ما في الرسم من حذف أو زيادة أو بدل، ونحوها؟



المبحث الثاني

تحليل ظواهر رسم المصحف

تندرج ظواهر رسم المصحف في الأنواع الخمسة التي تحدثنا عنها في الفصل الثالث، ويمكن للدارس أن يلتقط تفسيراً لأكثر أمثلة تلك الأنواع من كتب الرسم التي أشرنا إليها، وهو ما نحاول القيام به في هذا المبحث، ويحسن بالدارس وهو يتتبع العلل التفصيلية لكل ظاهرة من ظواهر الرسم أن يتذكر أمرين مهمين يساعدان في وضع إطار عام لتفسير جميع ظواهر الرسم، وهما:

١ - «أن خصائص الخط النبطي قد انتقلت إلى الخط العربي في المدينة، وظهرت واضحة في رسم المصحف»^(١)، ويجب النظر إلى رسم المصحف من خلال تلك الخصائص، لا سيما ما يتعلق بالحذف.

٢ - «السبب الأساسي لأزمات الرسم ينحصر في استحالة مسابقة الرسم لحركة اللغة»^(٢)، و«إن جمود الرسم على حالته القديمة يفيد الباحث في اللغات أكبر فائدة، فهو يعرض صورة صحيحة لأصول الكلمات، وَيَقْفُهُ على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة، فالرسم للألفاظ أشبه شيء من هذه الناحية بالمتحف للآثار»^(٣).

ويضيف هذا البعد التاريخي تفسيراً جديداً لظواهر رسم المصحف، وهو يلتقي مع ما ذهب إليه علماء الرسم من أن كثيراً من الرسم بُني على مراعاة الأصل البعيد أو القريب لأصول الكلمات.

(١) صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٤٤.

(٢) فندريس: اللغة ص ٤٠٨، وينظر: صالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربية ص ٦٨.

(٣) علي عبد الواحد وافي: علم اللغة ص ٢٧٨.

ولا يخفى على الناظر في رسم المصحف أن أكثر ظواهر الرسم تتعلق بحروف المد الثلاثة: الألف والواو والياء، سواء في الحذف أم الزيادة، وهذا الأمر يرتبط بخصائص الأصل القديم للكتابة العربية، وهو الخط الآرامي، ثم الخط النبطي، الذي لم يخصص لحروف المد الثلاثة (أي: المصوتات الطويلة) رموزاً خاصة، ثم استُعملَ رمز الواو والياء والهمزة (أي: الألف) لتمثيلها، لكن استعمالها لم يطرده على أيدي الكُتّاب الأوائل، خاصة الألف الذي كان يحذف كثيراً من وسط الكلمات، وكراهة الجمع بين رمزين متفقين في الكلمة الواحدة أدت إلى حذف أحدهما في كثير من المواضع^(١).

وعلى دارس الرسم أن يتذكر أن ما عجزت الدراسات الحديثة والقديمة عن تقديم تفسير له من ظواهر الرسم لا يعني استحالة تحقيق ذلك في يوم ما؛ لأن «تدوين علل رسم الكلمات في المصحف موضوع واسع وضارب في أعماق التاريخ، ولا يتأتى تدوينه كاملاً لشخص واحد، أو في عصر واحد، فكل صورة كتابية متميزة لها قصة في التاريخ، وقد يتمكن الدارس من معرفة تلك القصة وقد لا يتمكن، ومن ثم فإن من الخطأ النظر إلى رسم المصحف نظرة مستعجلة تقيس الماضي على الحاضر أو من خلاله، إن رسم المصحف ظاهرة حضارية وثرورية لغوية يجب التعامل معها بكثير من الجدية والصبر والأناة، فهي متحف لغوي رائع للغة العربية»^(٢).

وإذا كان المقام لا يتسع لتتبع كل ما يتعلق بتعليل ظواهر الرسم فإنني سوف أعرض ما قاله الدارسون من قدماء ومحدثين في تفسير أشهر ظواهر الرسم في إطار المذهب الذي يستند إلى علل لغوية نطقية أو كتابية.

(١) ينظر: رسم المصحف، دراسة لغوية تاريخية ص ٦٩ - ٧٠، وصالح إبراهيم الحسن: الكتابة العربية ص ٧٥.

(٢) الأجوبة العلمية (لمؤلف الكتاب) ص ٩٩.

أولاً: تعليل ظواهر الحذف في الرسم:

أكثر الحذف وقع في الألف والواو والياء^(١)، وأكثر ما حُذِفَتِ الألف من وسط الكلمات، أما الواو والياء فأكثر ما وقع من حذفهما كان في آخر الكلمات، إلا إذا اجتمعت واوان أو ياءان في وسط الكلمات فقد حُذِفَتْ إحداهما، كما تقدم في الفصل الثالث.

وبين أيدينا اليوم منهجان أو نظريتان لتفسير ما وقع من حذف لهذه الحروف: المنهج الذي سار عليه علماء الرسم المتقدمون، والمنهج الذي ينبني على الدراسات الحديثة لتاريخ الخط العربي، ولا يعني ذلك تعارض المنهجين، بل يمكن أن يكمل المنهج الحديث ما في القديم من نقص، أو أن يوضح ما فيه من غموض.

ويمكن تقسيم الكلام على تعليل حذف هذه الحروف إلى ما جاءت فيه مفردة أو مكررة، وما جاءت فيه في وسط الكلمة أو في آخرها.

١ - حذف حروف العلة المفردة:

اختص الألف بالحذف من وسط الكلمات، وشاركته الواو والياء في الحذف من آخر الكلمات، ولَخَّصَ الداني علة حذف الألف بقوله في عنوان الباب: (باب ذكر ما حذفت منه الألف اختصاراً)^(٢)، وأضاف المهدي تعليلاً آخر، وذلك في قوله: «وجميع ما قدمنا ذكره من حذف الألف والياء من الخط فإنما ذلك لأن الحركة المأخوذة من كل حرف من هذه الحروف تدل عليها وتنوب عنها، فحذفت من الخط استخفافاً»^(٣).

وجمع أبو داود بين التعليلين وأضاف عليهما وجهاً آخر وذلك في قوله: «وفيه حذف الألف من ﴿مَكَّنَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٠]، وقد ذُكِرَ، وكذا من ﴿مَعَايِشٌ﴾ هنا [الأعراف: ١٠]، وفي الحجر [٢٠] على وجه الاختصار، وتقليل

(١) ينظر: ابن وثيق: الجامع ص ٣٣.

(٢) المقنع ص ١٠، وينظر: ص ١٦.

(٣) هجاء مصاحف الأمصار ص ١٠٥.

حروف العلة، مع بقاء فتحة العين دالة عليها^(١).

وقال أيضاً: «وكتبوا ﴿عَلِمْتُمْ بِبَيْتِ إِسْرَائِيلَ﴾ هنا [الشعراء: ١٩٧]، وفي فاطر ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [٢٨] بواو بعد الميم، صورة للهمزة المضمومة، وألف بعدها تأكيداً للهمزة لخفائها، دون ألف قبلها، استغناء عنها بفتحة ما قبلها لبقائها ودالتها عليها ونيابتها عنها، اختصاراً وتقليلاً لحروف المد^(٢).

فهذه ثلاثة وجوه لتعليل حذف الألف:

١ - اختصاراً.

٢ - نيابةً الحركة عن الحرف.

٣ - تقليلاً لحروف المد، أو حروف العلة.

وإذا أمكننا قبول التعليلين الأول والثالث في ضوء وجهة النظر الحديثة القائلة بأن الكتابة العربية كانت لا تَرُسَمُ الألف المتوسطة في كثير من الكلمات امتداداً لظاهرة عدم إثباتها في الكتابة النبطية، فإن التعليل الثاني يبدو غير منسجم مع واقع الكتابة العربية المجردة من الحركات في عصر نسخ المصاحف، فليس ثمة حركة تنوب عن الحرف في الرسم.

أما حذف الحروف الثلاثة، وهي مفردة من آخر الكلمة، فمنه ما بُنِيَ فيه الرسم على اللفظ والوصل، وذلك إذا وقع أحد الحروف الثلاثة ساكناً في آخر كلمة، ووقعت بعده همزة وصل، مثل:

﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١].

﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٦].

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ [الإسراء: ١١].

قال الجهنني، وهو يتحدث عن حذف الياء: «وفي حذف الياء منها في

الوقف قولان:

(١) مختصر التبيين ٣/٥٣١ - ٥٣٢.

(٢) المصدر نفسه ٤/٩٣٨ - ٩٣٩.

أحدهما: أنهم بَنَوْا فيها الخط على اللفظ، إذ الخط نقلُ اللفظ في كثير

منه.

والقول الثاني: أنهم اجتزؤوا بالكسرة من الياء، فحذفوها إذ الكسرة دالة

عليها^(١).

وقال المهدي وهو يتحدث عن حذف الواو: «ومما حُذِفَتْ منه الواو

اكتفاء بالضممة أربعة أفعال»^(٢). وقال عن حذف الياء: «وأما ما حُذِفَتْ منه

الياء اكتفاء بالكسرة...»^(٣).

وقال الداني: «باب ذكر ما حُذِفَتْ منه الياء اجتزاءً بكسر ما قبلها

منها»^(٤)، وقال: «باب ذكر ما حُذِفَتْ منه الواو اكتفاء بالضممة منها أو لمعنى

غيره»^(٥).

ووصف أبو داود حذف الألف من (أيها) بأنه «على اللفظ»^(٦)، وذكر

الجعبري أن وجه حذف الألف منها احتمال القراءتين^(٧).

وقال المارغني: «تنبيه: في كُتِبِ هذه المواضع الثلاثة بدون ألف ثلاثة

أوجه:

الأول: الإشارة إلى قراءة ابن عامر.

الثاني: حمل الخط على الوصل اللفظي.

الثالث: الاكتفاء بالفتحة عن الألف؛ كالاكتفاء بالضممة والكسرة عن

الواو والياء في نحو: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ﴾ و﴿يُؤْتِ اللَّهُ...﴾^(٨).

(١) البديع ص ٥٢.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٤.

(٣) المصدر نفسه ص ٨٥.

(٤) المقنع ص ٣٠.

(٥) المقنع ص ٣٥.

(٦) مختصر التبيين ٩٠٤/٤.

(٧) جميلة أرباب المراصد ص ٤٥٠، وقرأ ابن عامر وحده بضم الهاء في المواضع الثلاثة

في الوصل، والباقون بفتحها، ينظر: الداني: التيسير ص ١٦١.

(٨) دليل الحيران ص ١٧٣.

ولا شك في أن الراجح من هذه الوجوه هو الثاني، وهو بناء الخط على الوصل اللفظي، فإنهم بنوا كثيراً من الرسم على اللفظ ومراد الاتصال^(١)، أما الاكتفاء بالحركة عن الحرف فقد تقدّم بيان ضعف هذا الوجه، وترجيح رسم المصاحف على لغة قريش يُضَعَفُ وجه احتمال القراءتين.

واختصت الياء بالحذف من آخر كثير من الكلمات، وليس بعدها همزة وصل، سواء كانت الياء من أصل الكلمة، أم ضميراً للمتكلم، وسواء وقعت في رأس آية أم وقعت في وسطها، نحو: ﴿وَإِنِّي فَأَرْهَبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]، و﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ونحوها.

واتفق المهدوي والداني وأبو داود على توجيه حذف الياء فيها اجتزاء بكسرة ما قبلها عنها واكتفاءً بها^(٢). ولعلهم يقصدون أن القارئ حَذَفَ الياء في القراءة واكتفى منها بالكسرة، فإذا وقف القارئ حذف الكسرة ووقف بالسكون، وابنني الخط على ذلك.

٢ - حذف أحد حرفي العلة المُكْرَرَيْنِ:

إذا اجتمعت واوان أو ياءان أو ألفان لم يُرْسَمَ إلا حرف واحد منهما، كراهة اجتماع صورتين متفتحتين في الشكل، وتقدّمت أمثلة ذلك في الفصل الثالث، ويعيننا هنا تعليل ظاهرة حذف أحد الحرفين.

قال الداني: «وما كان من الاستفهام فيه ألفان أو ثلاث فإن الرسم ورد بلا اختلاف في شيء من المصاحف بإثبات ألف واحدة، اكتفاءً بها لكراهية اجتماع صورتين متفتحتين فما فوق ذلك في الرسم، فأما ما فيه ألفان فنحو: ﴿ءَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦]، و﴿ءَأَقْرَرْتُمْ﴾ [آل عمران: ٨١]. فرُسِمَ ذلك كله بألف واحدة، وهي عندي الثانية، وأما ما فيه ثلاث ألفات من الاستفهام فقوله: ﴿ءَأَمْنْتُمْ﴾^(٣) في

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ١٥٨.

(٢) ينظر: هجاء مصحف الأمصار ص ٨٥، والمقنع ص ٣٠، ومختصر التبيين ١٢٥/٢.

(٣) قرأ حفص عن عاصم بهمزة وألف على الخبر، وقرأ أبو بكر وحمزة والكسائي بهمزتين محقتين على الاستفهام بعدهما ألف، والباقون بتحقيق الأولى وتسهيل =

الأعراف [١٢٣]... والألف الثابتة في ذلك في الرسم هي همزة الاستفهام للحاجة إليها، وهو قول الفراء وثعلب وابن كيسان، وقال الكسائي هي الأصلية، وكذلك قال أصحاب المصاحف، وذلك عندي أوجه»^(١).

ومما حُذِفَتْ منه إحدى الألفين ﴿مَاءٌ﴾ [البقرة: ٢٢]، و﴿عُشَاءٌ﴾ [المؤمنون: ٤١] وما كان مثله، فقد حُذِفَتْ منه ألف النصب إذا كان قبلها همزة قبلها ألف، قال الداني: «لثلاث تجتمع ألفان، وقد يجوز أن تكون هي المرسومة والمحذوفة الأولى، والأول أقيس»^(٢).

وكذلك وَجَّهَ علماء الرسم حذف أحد الواوين من الرسم بکراهة اجتماع صورتين متفتقتين، نحو: ﴿يَسْتَوُونَ﴾ [التوبة: ١٩] و﴿الْفَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] ونحو ذلك، واختلفوا في أيهما المحذوفة الأولى أو الثانية^(٣).

ومثل ذلك حذف إحدى الياءين في مثل: ﴿الَّتِيْنَ﴾ [البقرة: ٦١] و﴿وَالْأَمِيْنَ﴾ [آل عمران: ٢٠] وما كان مثله، قال الداني: «وذلك كله لكراهة اجتماع ياءين في الخط»^(٤)، واستثنى من هذا الباب كلمات، مثل: ﴿عَلِيْنَ﴾ [المطففين: ١٨]، و﴿يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] وما أشبهه فإنه مرسوم بياءين «على اللفظ والأصل»^(٥).

ومن باب حذف أحد الحرفين كراهة اجتماع صورتين متفتقتين في الصورة رَسُمُ الحرف المشدّد بحرف واحد، قال الداني: «اعلم أن المصاحف اجتمعت على حذف إحدى اللامين لكثرة الاستعمال ولكراهية اجتماع صورتين

= الثانية، ينظر: الداني: التيسير ص ١١٢.

(١) المقنع ٢٤، وينظر: المحكم (له) ص ١٥٣، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٩١، وأبو داود: مختصر التبيين ٨٦/٢ و ٥٦٣/٣.

(٢) المقنع ص ٢٦، وينظر: المهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٨٣.

(٣) ينظر: الداني: المقنع ص ٣٦، والمحكم (له) ص ١٦٨ وأبو داود: مختصر التبيين ٢/١٥٠ و ٢٩٩ و ٣٧٥.

(٤) المقنع ص ٤٩، وينظر: المحكم (له) ص ١٦٥، وأبو داود: مختصر التبيين ٢/١٢١ و ١٥٠.

(٥) أبو داود: مختصر التبيين ٢/١٥٠.

متفقتين في قوله: ﴿الْيَلُّ﴾ [البقرة: ١٦٤] و﴿الْيَى﴾ [البقرة: ٢٢]، و﴿الَّذِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]...»^(١).

وقال أبو داود: «وأجمعوا على كَتَبِ ﴿الَّذِينَ﴾ بلام واحدة، سواء كان جمعاً أو مفرداً أو تشنية، حيث وقع، كما فعلوا في ﴿مَدَّ﴾ [الرعد: ٣]، و﴿وَرَدَّ﴾ [الأحزاب: ٢٥] كراهة اجتماع صورتين متفقتين»^(٢).

ويمكن أن نفهم علة كراهة اجتماع صورتين متفقتين في الشكل في إطار خصائص الكتابة العربية القديمة التي ورثتها عن الكتابة النبطية، فلما كان رسم حروف المد في الكتابة أمراً جديداً على النبطية والعربية القديمة، وتعرض للحذف في كثير من الأمثلة فإن الكُتَّاب عَدُّوا اجتماع حرفين من حروف المد مانعاً من إثباتهما معاً، وكذلك كان موقفهم من الحرف المشدد من غيرها، واكتفوا بإثبات حرف واحد منهما، «تقليلاً لحروف المد» كما قال أبو داود سليمان بن نجاح^(٣).

ثانياً: تعليل ظواهر الزيادة في الرسم:

وقعت الزيادة في الحروف الثلاثة: الألف والواو والياء، وتقدّم في الفصل الثالث ذكر مواضع زيادتها، والقصد هنا ذكر علة تلك الزيادة، وقد بذل علماء الرسم وعلماء العربية غاية جهدهم وسَخَّرُوا كل معرفتهم اللغوية لتفسير الأمثلة التي وقعت فيها الزيادة، وكانت زيادة الحروف الثلاثة بعد الهمزة أكثر من المواضع الأخرى، وقد يكون ذلك مفتاحاً للوصول إلى تفسيرها. وسوف أعرض ما قاله علماء السلف في تعليل زيادة كل حرف من الحروف الثلاثة ثم أستخلص ما هو راجح منها.

١ - تعليل زيادة الألف:

زيدت الألف بعد الواو المتطرفة، سواء كانت الواو أصلية، أم علامة

(١) المقنع ص ٦٧.

(٢) مختصر التبيين ٥٦/٢.

(٣) مختصر التبيين ٣٣/٢ و ٥٣٢/٣ و ٩٣٩/٤.

للرفع، أم ضميراً للجمع، أم صورة للهمزة، في مثل: ﴿ءَامِنُوا﴾ و﴿يَدْعُوا﴾ و﴿كَاشِفُوا﴾ و﴿عَلَّمْتُوا﴾.

وزيدت بعد اللام ألف في ﴿لَأَأْذِجَنَّهٗ﴾ [النمل: ٢١] ونظائرها.

وزيدت في ﴿وَأَائِهٖ﴾ و﴿وَعَائِهٖ﴾.

وعَلَّلَ علماء الرسم زيادة الألف بعد الواو المتطرفة التي ليست صورة للهمزة بعلل ثلاث^(١):

١ - الدلالة على انفصال الكلمة عما بعدها، فَيُعْلَمُ أن الكلمة مستقلة يمكن الوقوف عليها، واحترزوا بذلك مما إذا وُجِدَ بعدها ضمير متصل فلا تُجْعَلُ فيه الألف، إذ لا يصح الوقوف دونه، نحو: ﴿سَلَفُوكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٩]، و﴿فَذَبْحُوهَا﴾ [البقرة: ٧١].

٢ - الفرق بين ما بعده ضمير منفصل، فَتُجْعَلُ فيه الألف، وذلك نحو: ﴿وَإِذَا مَا عَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]، وبين ما بعده ضمير متصل، نحو: ﴿كَأَلُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]، فلا تجعل فيه الألف.

٣ - إرادة الفرق بين واو الجمع وواو العطف في نحو: ﴿فَكَرَّ وَفَدَّرَ﴾ [المدثر: ١٨]، و﴿أَذَبَّ وَأَسْتَكْبَرَّ﴾ [المدثر: ٢٣] فبانعدام الألف عُلِمَ أنه ليس بواو جمع، وفي نحو: ﴿كَفَرُوا هَتُولَاءِ﴾ [النساء: ٥١] بوجود الألف تَعَيَّنَ أنه واو جمع. أما زيادة الألف بعد الواو التي هي صورة للهمزة فقد عللها الداني بأحد وجهين، وذلك في قوله: «وَرُسِمَتِ الألف بعد الواو في هذه المواضع لأحد معنيين:

إما تقوية للهمزة لخفائها، وهو قول الكسائي.

وإما على تشبيه الواو التي هي صورة الهمزة في ذلك بواو الجمع من حيث وقعتا طرفاً فَأُلْحِقَتِ الألف بعدها، كما أُلْحِقَتْ بعد تلك، وهو قول أبي عمرو بن العلاء.

(١) ينظر: الجعبري: جميلة أرياب المراصد ص ٤٩٨، والتنسي: الطراز ص ٣٥٦، والمارغني: دليل الحيران ص ٢٥٤.

والقولان جيدان»^(١).

ورَجَّح المهدوي قول أبي عمرو بن العلاء، حيث قال: «فأما الألف المزيدة فلا وجه لها إلا التشبيه بواو الجمع، ولا وجه لمن قال: إنها تقوية للهمزة»^(٢).

وأخذ أبو داود سليمان بن نجاح بقول الكسائي، وعلل زيادة الألف بعد الواو التي هي صورة للهمزة في مثل: ﴿شُرْكُوًّا﴾ بأنها تقوية للهمزة، أو تأكيد لها لخفائها^(٣).

ويبدو أن قول أبي عمرو بن العلاء أرجح من قول الكسائي في توجيه زيادة الألف هنا، وذلك لأن رسم الهمزة واواً يشير إلى أن الكاتب كان ينطقها واواً حين رسمها بالواو، وإذا كانت واواً متطرفة فإنها أشبهت الواوات الأخرى المتطرفة في زيادة الألف بعدها.

أما زيادة الألف بعد اللام ألف في مثل: ﴿لَأَذِجَنَّهٗ﴾ فإن المهدوي علل زيادة الألف على مذهب العرب في إشباع الحركات^(٤)، وذكر الداني أن الألف الزائدة قد تكون المنفصلة عن اللام، وهو قول أصحاب المصاحف، وقد تكون الزائدة هي المتصلة في الرسم باللام، وتكون الهمزة المنفصلة عنها، وهو قول الفراء وثعلب وغيرهما من النحاة^(٥).

فإذا كانت الزائدة هي المنفصلة عن اللام فإن زيادتها تحتل عنده أربعة معان، هي^(٦):

(١) المقنع ص ٥٨، وينظر: ص ٤٠، وفصلهما الداني في كتابه المحكم، ينظر: أوراق غير منشورة من كتاب «المحكم» ص ٤١٨ - ٤١٩، وينظر: الأندرابي: الإيضاح ص ١٣٧، والتنسي: الطراز ص ٣٦٥ و ٣٦٨.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٢.

(٣) ينظر: مختصر التبيين ٥٠٣/٣ و ٦٩٧ و ٧٤٧ و ٤٤٩/٤ و ٨٨٩، ومواضع أخرى.

(٤) هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٥.

(٥) ينظر: المحكم ص ١٧٦ - ١٧٨.

(٦) ينظر: المحكم ص ١٧٦ - ١٧٧، والتنسي: الطراز ص ٣٣٩.

أحدها: أن تكون صورة لفتحة الهمزة من حيث كانت الفتحة مأخوذة منها.

والثاني: أن تكون الحركة نفسها، لا صورة لها، وذلك أن العرب لم تكن أصحاب شكل ونقط، فكانت تُصَوِّرُ الحركات حروفاً.

والثالث: أن تكون دليلاً على إشباع فتحة الهمزة، فَيُعْلَمَ بذلك أن فتحها مشبعة لا مختلصة.

والرابع: أن تكون تقوية للهمزة وبياناً لها.

وإذا كانت الألف الزائدة هي المتصلة باللام فزيادتها لمعنيين^(١):

أحدهما: الدلالة على إشباع فتحة اللام.

والثاني: تقوية للهمزة؛ لأن ما يتقوى به الهمز يصح أن يكون قبله وبعده.

ويبدو أن اختيار مذهب راجح في تعليل زيادة هذه الألف أمرٌ غير يسير، ولكن يمكن للدارس أن يُضَعِّفَ التعليل القائل بأن الألف هي الحركة نفسها أو صورة لها؛ لأن الكتابة العربية القديمة لم يُعْرَفَ أنها استعملت الحروف للدلالة على الحركات.

أما زيادة الألف في ﴿مَائَةٌ﴾، و﴿وَجَاءَ﴾ فقليل: إنها للفرق بين الكلمة وما يشبهها، أو تقوية للهمزة، كما ذهب إلى ذلك الداني.

قال الداني: «فأما زيادتهم الألف في ﴿مَائَةٌ﴾ فلا أحد أمرين: إما للفرق بين ﴿مَائَةٌ﴾ وبين (منه) من حيث اشتبهت صورتها، ثم ألحقت التثنية بالواحد، فزيدت الألف لِتَأْتِيَا معاً على طريقة واحدة من الزيادة، وهو قول عامة النحويين....»

وإما تقوية للهمزة من حيث كانت حرفاً خفياً بعيد المخرج، فَقَوَّوْهَا بالألف، لتتحقق بذلك نبرتها، وَخُصَّتِ الألف بذلك معها من حيث كانت من

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ١٧٨ - ١٧٩، والتنسي: الطراز ص ٣٤٠ - ٣٤١.

مخرجها، وكانت الهمزة قد تُصَوَّرُ بصورتها، وهذا القول عندي أوجه؛ لأنهم زادوا الألف بياناً للهمزة وتقوية لها في كَلِمٍ لا تشبه صورهن بصور غيرهن، فزال بذلك معنى الفرق، وثبت معنى التقوية والبيان؛ لأنه مطرد في كل موضع»^(١).

وقال اللبيب: «فصل: حجة النحويين أن الألف زيدت في (مائة) للفرق بينها وبين (منه)، كما زيدت الواو في (عَمَرُوا) فرقاً بينها وبين (عَمَرَ)، ألا ترى أنك تكتب: أخذت مائة واحدة منه، فلولا الألف التي فرقت بينهما لالتبس الأمر على القارئ.

قال الطَّلَمَنْكِيُّ: هذه حجة ضعيفة لا يقوم بها دليل، أما قولهم في الألف: إنها زيدت في (مائة) للفرق بينها وبين (منه) فلاي شيء زيدت في (مائتين) وليس لها شكل تلتبس به؟ وإنما زيدت تقوية للهمزة من حيث كانت حرفاً خفياً بعيداً المخرج ففَوَّوْهَا بالألف لتتحقق بذلك نَبْرَتُهَا، وحُصِّتِ الألف بذلك معها من حيث كانت من مخرجها، وقد تُصَوَّرُ الهمزة بصورتها.

قال الشارح: وهذا القول أوجه وأحسن من قول النحاة...»^(٢).

وقال الداني: إن زيادة الألف في ﴿لَشَأَى﴾ و﴿وَجِئْ﴾ لمعنيين:

«أحدهما: أن تكون الألف زيدت في كلمة ﴿لَشَأَى﴾ و﴿وَجِئْ﴾ فرقاً بينها وبين ما يشبهها في الصور فقط دون اللفظ والمعنى وهو (شتى، وحتى) من حيث رُسِمَ ألفهما ياء...»

والمعنى الثاني: أن تكون الألف زيدت فيهما تقوية للهمزة التي هي لام، لخفائها، كما زيدت على قول أصحاب المصاحف في ﴿بِأْتَهُ﴾ و﴿بِأْتَيْنِ﴾...»^(٣).

(١) المحكم ص ١٧٥، التنسي: الطراز ص ٣٤٣.

(٢) الدرة الصقيلة ٦٥ و - ٦٥ ظ.

(٣) أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ص ٤١٦ - ٤١٧، وينظر: التنسي: الطراز ص ٣٤٩ و ٣٥٣.

وأقرب التعليلين إلى طبيعة الكتابة واللغة هو تعليل زيادة الألف في هذه الكلمات لتقوية الهمزة، وإن كان لنا في هذا التعليل مقال، نذكره بعد قليل. أما التعليل بالفرق فإنه قول مشهور عند المتقدمين، لكن شواهد اللغوية والتاريخية غير وافية، وكان ابن قتيبة من أوائل الذين ذكروا هذا القول، فقد صرَّح في أول كتاب «تقويم اليد» من كتابه «أدب الكاتب» بذلك، فقال: «الْكُتَّابُ يَزِيدُونَ فِي كِتَابَةِ الْحَرْفِ مَا لَيْسَ فِي وَزْنِهِ لِيَفْصَلُوا بِالزِّيَادَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمُشْبِهِ لَهُ»^(١).

وعَلَّلَ الداني كثيراً من الزيادات في الرسم بالفرق، وَرَبَّطَهُ بِانْعِدَامِ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ فِي الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، وَذَلِكَ حَيْثُ قَالَ: «وَمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ شَكْلِ وَنَقْطِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمُشْتَبِهِينَ فِي الصُّورَةِ بِزِيَادَةِ الْحُرُوفِ، إِلْحَاقَهُمُ الْوَاوِ فِي (عَمْرُو) فَرَقاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ (عَمْرٍ)، وَإِلْحَاقَهُمْ إِيَّاهَا فِي (أَوْلَيْكَ) فَرَقاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ (إِلَيْكَ) . . . وَإِلْحَاقَهُمُ الْأَلْفَ فِي (مَائَةٌ) فَرَقاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ (مِئَةٌ) وَ(مِئَةٌ) وَ(مِئَةٌ)، مِنْ حَيْثُ اشْتَبَهَتْ صُورَةٌ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي الْكِتَابَةِ»^(٢).

وكان من العلماء المتقدمين من تردد في قبول التعليل بالفرق فقد قال ابن درستويه: «ولو زِيدَتِ الْوَاوُ فِي كُلِّ رِسْمٍ أَشْبَهَهُ آخَرَ لَصَارَ أَكْثَرَ الْكَلَامِ بَوَاوٍ . . .»^(٣)، وكشفت الدراسات المتعلقة بالكتابة النبطية أنها كانت تَرَسُّمُ وَاوٍ فِي نَهَايَةِ جَمِيعِ الْأَعْلَامِ، وَمِنْهَا (عَمْرُو)، وَيَبْدُو أَنَّ هَذَا الْأِسْمَ انْحَدَرَ رِسْمَهُ إِلَى الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ مِنْ أَصْلِهَا الْقَدِيمِ الْكِتَابَةِ النَّبْطِيَّةِ^(٤).

٢ - تعليل زيادة الواو:

زِيدَتِ الْوَاوُ فِي ﴿أَوْلَيْكَ﴾ وَ﴿أَوْلُوا﴾ وَمَا تَفَرَّعَ عَنْهُمَا، كَمَا زِيدَتِ فِي ﴿سَأُورِيكُمْ﴾، وَاخْتَلَفَ فِي زِيَادَتِهَا فِي ﴿وَأَصْلَيْتُكُمْ﴾.

(١) أدب الكاتب ص ١٨٢.

(٢) المحكم ص ١٧٧، وينظر: الموضح (له) ص ٣١ - ٣٢.

(٣) كتاب الكُتَّاب ص ٨٦.

(٤) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٣/٢٩٩، وكتابي: الكتابة العربية ص ١٢٤.

قال الداني في المقنع: «باب ذكر ما زيدت الواو في رسمه للفرقان أو لبيان الهمزة»^(١)، لكنه ذكر وجوهاً أخرى لزيادة هذه الواو في كتابه «المحكم» حيث قال: «فأما زيادتها في ﴿أُولَئِكَ﴾ و﴿أُولَى﴾ فلمعانٍ خمسة:

أولها: أن تكون زيدت للفرق بين ﴿أُولَئِكَ﴾ و﴿إِلَيْكَ﴾ وبين ﴿أُولَى﴾ و﴿إِلَى﴾، من حيث اشتبهت صورة ذلك، وقد تقدم لذلك نظائر وأشباه، وهذا قول النحويين.

والثاني: أن تكون صورة لحركة الهمزة.

والثالث: أن تكون الحركة نفسها.

والرابع: أن تكون تقوية للهمزة.

والخامس: أن تكون علامة لإشباع حركتها.

وقد تكلمنا على هذه المعاني، فأعنى ذلك عن الإعادة»^(٢).

وأضاف أبو داود وجهاً آخر لزيادة الهمزة في ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ وهو «أن تكون صورة للهمزة من حيث صارت بما اتصل بها من الزوائد كالمتوسطة التي تُصَوَّرُ في حال انضمامها واواً، لتقريبها منها إذا سُهِّلَتْ، وتكون الألف قبلها زائدة، زيدت بياناً للهمزة وتقوية لها»^(٣).

ويبدو أن هذا الوجه الذي زاده أبو داود هو أقوى الوجوه في تفسير زيادة الواو هنا، ويمكن حَمْلُ رسم الألف قبلها على معنى آخر غير المعنى الذي ذكره أبو داود من أنها تقوية للهمزة، فتكون الألف صورة للهمزة على تقدير الابتداء بها، والواو صورة للهمزة على تقدير توسطها، وهو معنى ذكره مكِّي والمهدوي وهما يعللان زيادة الياء في نحو: ﴿بِأَيِّدٍ﴾ كما سنبين في الفقرة الآتية، وقد صرَّح به الجعبري بقوله: «... جمعوا بين صورتها باعتبار

(١) المقنع ص ٥٣.

(٢) أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ص ٤٢٨.

(٣) أصول الضبط ص ٢٣٣، وينظر: مختصر التبيين ٥٧٢/٣، والتنسي: الطراز ص ٣٩٣

الاتصال والانفصال»^(١).

٣ - تحليل زيادة الياء:

زِيدَتِ الياء في عدد من الكلمات التي وقعت فيها همزة، لكن منها ما ليس فيه قبل الهمزة في النطق ألف، نحو: (مَلَأْتِهِ)، و﴿بِأَيْدِي﴾ ومنها ما فيه قبل الهمزة ألف نحو: ﴿وَأَيْتَآي﴾، ﴿وَمِنْ ءَأْنَآي﴾، و﴿مِنْ وَرَآئِي﴾.

قال الداني: «فيجوز أن تكون الياء في ذلك هي الزائدة والألف قبلها هي الهمزة، ويجوز أن تكون الألف هي الزائدة بياناً للهمزة والياء هي الهمزة»^(٢).

وذكر المهدي احتمالين لرسم الياء في مثل: ﴿مِنْ وَرَآئِي﴾^(٣):

أحدهما: أن تكون الياء متولدة من كسرة الهمزة على مذهب مَنْ يُشِيعُ الحركات.

والثاني: أن تكون الياء صورة الهمزة صُوِّرَتْ حرفاً كالحرف الذي منه حركتها، على مذهب مَنْ يخفف الهمزة.

وذكر لزيادة الياء في ﴿بِأَيْدِي﴾ و﴿بِأَيْتَكُمْ﴾ وجهاً واحداً هو «أنَّ مَنْ مَدَّهْبُهُ تخفيف الهمزة يقلب الهمزة فيها ياءً محضة، لانفتاحها وانكسار ما قبلها، فينبغي أن تُصَوَّرَ الهمزة على مذهبه ياءً، وينبغي أن تُصَوَّرَ على قراءة من يُحَقِّقُ الهمزة ألفاً، فكأنَّ هاتين الكلمتين كُتِبَتَا على اللغتين، فَجُعِلَتْ كل كلمة منهما بعلامتين: علامة للتحقيق، وعلامة للتخفيف»^(٤).

وهذا هو الوجه الذي أشرت إليه في تحليل زيادة الواو في ﴿أُولَئِكَ﴾ في الفقرة السابقة، وهو المذهب الذي نُرَجِّحُهُ في تفسير جميع ما جاء من الهمزة مرسوماً بألف وياء، وألف وواو، كما سنبين ذلك في تحليل رسم الهمزة في

(١) جميلة أرياب المراد ص ٥٦٩.

(٢) المقنع ص ٤٧.

(٣) ينظر: هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٧.

(٤) هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٧.

المصحف، إن شاء الله، وقد ذكره أبو عمرو الداني في الوجوه التي ذكرها لتعليل زيادة الياء في الكلمات المذكورة.

وكان مكي بن أبي طالب القيسي قد فَصَّلَ القول فيه، وَرَجَّحَهُ على غيره، في كتابه «مشكل إعراب القرآن»، وسوف أنقل نص ما قاله لأهميته في تعليل الزيادة في عدد من الكلمات، فقال: «وَكُتِبَتْ ﴿بِأَيْدِكُمْ﴾ [القلم: ٦] في المصحف في هذا الموضع خاصة بياءين وألف قبلهما، وعلّة ذلك أنهم كتبوا للهمزة صورة على التحقيق، وصورة على التخفيف، فالألف صورة الهمزة على التحقيق، والياء الأولى صورتها على التخفيف؛ لأن قبل الهمزة كسرة، فإذا خففتها فَحُكِّمَهَا أن تُبَدَّلَ منها ياء، والياء الثانية صورة الياء المشددة، وكذلك كتبوا ﴿بِأَيْدِي﴾ [الذاريات: ٤٧] بياءين على هذه العلة.

وكتبوا ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ [التوبة: ٤٧] بألفين، وكذلك ﴿أَوْ لَا أَذْبَحْنَهُ﴾ [النمل: ٢١]، وكذلك ﴿لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٦٨]، و﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٨]^(١)، اللام فيه لام الإيجاب غير ممدودة، لثلاث تصير لام نفي، وإنما كُتِبَ كله بألفين لأن إحداهما، وهي الأولى، صورة الهمزة على التحقيق، والثانية صورتها على التخفيف.

وقد قيل: الأولى صورة الهمزة، والثانية صورة حركتها، وقيل: هي فتحة أَشْبَعَتْ فَتَوَلَّدَتْ منها ألف، وهذا فيه بُعد؛ لأنه لا يجوز إشباع الفتحة ههنا البتة، وهذا إنما هو تعليل لخط المصحف، إذ قد جاء على ذلك، ولا سبيل إلى تحريفه، وهذا الباب يتسع وهو كثير في الخط، خارج عن المتعارف بين الكُتَّابِ في الخط، فلا بد أن يُخْرَجَ لذلك وجه يليق به، وسنذكره إن شاء الله مستقصى معللاً في غير هذا^(٢).

(١) اختلفت المصاحف في زيادة الألف في الكلمات المذكورة، سوى حرف النمل، الذي جاء مرسوماً بزيادة الألف بعد اللام ألف في مصحف المدينة وحده، وتقدمت الإشارة إلى ذلك عن زيادة الألف في الفصل الثالث.

(٢) مشكل إعراب القرآن ٢/٣٩٧ - ٣٩٨. وكان مكياً يحيل على كتابه في علل هجاء المصاحف الذي لم تُعْرَفْ له نسخ خطية إلى الآن، ولم يوقف على من نقل منه.

وقال الداني في المحكم: «فما كان في هذه المواضع ليس قبل الهمزة فيه ألف في ﴿مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ وشبهه احتمال رسم الياء ثمانية أوجه: الأول منها: أن تكون صورة لكسرة الهمزة.... والثاني: أن تكون الحركة نفسها، من حيث كانت العرب تُصَوِّرُ الحركات حروفاً....

والثالث: أن تكون علامة لإشباع جرة الهمزة.... والرابع: أن تكون تقوية للهمزة وبياناً لها لِيَتَأَدَّى بها المعنى الذي خُصِّتْ به من الخفاء.

وهذه الأوجه الأربعة على أن الألف قبلها هي الهمزة. والخامس: أن تكون الياء هي الهمزة على مراد وصلها بما بعدها... وتكون الألف قبلها زائدة....

والسادس: أن تكون علامة لإشباع فتحة الحرف قبلها وتمطيط اللفظ بها.

والسابع: أن تكون الألف والياء معاً صورتين للهمزة، من حيث كان فيها التحقيق والتسهيل... فالألف صورة التحقيق لانفتاح ما قبلها، والياء صورة التسهيل لانكسارها....

والثامن: أن تكون الألف والياء صورتين للهمزة، لا على تأدية التحقيق والتسهيل، ولكن على تأدية الاتصال والانفصال...^(١)

وذكر الداني الوجوه المحتملة لزيادة الياء في ما كان فيه قبل الهمزة ألف، في نحو: ﴿تَلْقَائِي﴾ وذكر أنها تحتل ستة أوجه من الأوجه الثمانية المذكورة، وذلك من حيث امتنعت الألف أن تكون صورة للهمزة في ذلك؛ لأنها حرف مد والهمزة آتية بعدها، فسقط من الأوجه الثمانية الوجهان الأخيران، وبقيت الأوجه الآتية:

(١) أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ص ٤٢١ - ٤٢٢، وينظر: التنسي: الطراز ص ٣٧٦ - ٣٧٧.

- الأول: أن تكون الياء صورة للهمزة.
 الثاني: أن تكون صورة لحركتها.
 والثالث: أن تكون حركتها نفسها.
 والرابع: أن تكون علامة لإشباع حركتها في حال الوصل.
 والخامس: أن تكون تقوية للهمزة.
 والسادس: أن تكون دليلاً على تسهيل الهمزة^(١).

إن كثرة الأوجه التي ذكرها علماء الرسم لزيادة الياء في هذه الكلمات دليل على شدة حرصهم على إيضاح العلل التي قام عليها الرسم، وإعمال فكرهم وتقليب نظرهم في الوجوه المحتملة للظواهر التي يدرسونها، فهم يعتقدون، كما يقول الداني، أنه «ليس شيء من الرسم ولا من النقط اصطلاح عليه السلف، رضوان الله عليهم، إلا وقد حاولوا به وجهاً من الصحة والصواب، وقصدوا فيه طريقاً من اللغة والقياس، لموضعهم من العلم، ومكانهم من الفصاحة، عَلِمَ ذَلِكَ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهَلَهُ مَنْ جَهَلَهُ، وَالْفُضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»^(٢).

ولا يلزم من ذلك أن تكون جميع تلك الأوجه مقبولة أو صحيحة، فلا شك في أننا الآن يمكن أن نستبعد ما يتعلق بجعل الياء علامة للحركة (أي: الكسرة)، وأن نؤكد على التوجيه الذي يجعل الألف رمزاً للهمزة على لغة التحقيق، والياء رمزاً لها على لغة التسهيل، وهو ما اختاره مكّي والمهدوي وَرَجَّحَاهُ عَلَى مَا سِوَاهُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذَلِكَ فِي تَعْلِيلِ رَسْمِ الْهَمْزَةِ.

ثالثاً: تعليل ظواهر البدل في الرسم:

الأصل أن يُكْتَبَ كُلُّ صَوْتٍ بِالرَّمْزِ الْمَخْصُصِ لَهُ فِي الْأَبْجَدِيَّةِ، وَقَدْ

(١) ينظر: أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ص ٤٢٤، والتنسي: الطراز ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٢) المحكم ص ١٩٦.

رُسِمَ عدد من الكلمات بإبدال رسم أحد أصواتها برمز صوت آخر، وتقدّم ذكرها في الفصل الثالث في المبحث المخصص للبدل، وأشهر أمثلتها: رسم الألف واواً، ورسم الألف ياء، ورسم تاء التأنيث هاءً، أما رسم التنوين المنصوب ألفاً فهو من الإبدال الذي وافق فيه الخط اللفظ، فلا يحتاج إلى تعليل، والغرض هنا الوقوف على توجيه علماء الرسم للكلمات التي وقع فيها البدل.

١ - تعليل رسم الألف واواً:

حَظِيَتْ ظاهرة رسم الألف واواً بعناية علماء العربية وعلماء الرسم، وذكروا لها علتين: الأولى أن الألف رُسِمَتْ واواً على لغة التفخيم، والثانية: أنها رسمت واواً على الأصل، ورجَّح بعضهم إحدى العلتين على الأخرى.

ويبدو أن الخليل بن أحمد أقدم من ذكّر علةً لهذه الظاهرة، فقد ورد في كتاب العين: «ويقال: بل كُتِبَتْ على لغة من يُفخِّمُ الألف التي مرجعها إلى الواو، نحو: الصلوة والزكوة»^(١) وذكر سيبويه هذه اللغة في قوله: «وألف التفخيم، يعني بلغة أهل الحجاز، في قولهم: الصلاة والزكاة والحياة»^(٢).

وقال ابن قتيبة: «وقال بعض أصحاب الإعراب: إنهم كتبوا هذا بالواو على لغات الأعراب، وكانوا يميلون في اللفظ بها إلى الواو شيئاً، وقيل: بل كُتِبَتْ على الأصل، وأصل الألف فيها واو، فُقِلِبَتْ ألفاً لما انفتحت وانفتح ما قبلها، ألا ترى أنك إذا جمعت قلت: صلوات، وزكوات، وحيوات»^(٣).

وأخذ علماء الرسم تعليل علماء العربية وناقشوه ورجَّح بعضهم إحدى العلتين على الأخرى، قال مكي بن أبي طالب في تفسيره «الهداية إلى بلوغ النهاية»: «وكُتِبَتْ (الصلاة) في المصاحف بالواو لتدل على أصلها؛ لأن أصل الألف الواو، وأصلها (صلوة)، فلما تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها قُلبَتْ في

(١) العين ٣/٣١٧، وينظر: ابن درستويه: كتاب الكتاب ص ٩٠.

(٢) الكتاب ٤/٤٣٢.

(٣) أدب الكاتب ص ٢٠١، وينظر: الزجاجي: كتاب الخط ص ٦٢.

اللفظ ألفاً، دليله قولهم في الجمع (صَلَوَات)، وقد ذكرنا أن الجمع يَرُدُّ الأشياء إلى أصولها، ولذلك قلنا أصل ماء (ماه)، وإن الألف بدل من الواو، والهمزة بدل من الهاء، ودل على ذلك قولهم في الجمع: أمواه، فَرُدَّ إلى أصله.

وقيل: إنما كُتِبَتْ بالواو لأن بعض العرب يُفَخِّمُ اللام والألف، حتى تظهر الألف كأن لفظها يشوبه شيء من الواو. والقَوْلُ الأوَّلُ، والآخِرُ به يُعَلَّلُ ما كتبوه من الزكوة والحيوة وشبهه بالواو، فاعلَمُه^(١).

وذكر العلتين كل من المهدوي والداني، من غير أن يُرَجِّحَا إحداهما على الأخرى، فقال المهدوي: «وما كُتِبَ بالواو من نحو: ﴿الصَّلَاةُ﴾ وشبهها، فهو محمول عندهم على لفظ التفخيم؛ لأن الألف إذا فُخِّمَتْ نُحِيَ بها نحو الواو في اللفظ، فُكُتِبَتْ على ذلك، ويجوز أن تكون كُتِبَتْ بالواو لتدل على أن أصلها الواو»^(٢).

وذكر الداني العلتين في كتابه «المقنع» في عنوان الباب بقوله: «باب ذكر ما رُسِمَتْ الألف فيه واواً على لفظ التفخيم، ومراد الأصل»^(٣)، لكنه لم يذكر في كتابه «الموضح» سوى علة التفخيم، ودَكَرَ بأن النحويين «قالوا: رسموها كذلك على لغة أهل الحجاز لشدة تفخيمهم، فتوهموا لشدة الفخامة أنها واوٌ ورسموها على ذلك»^(٤)، وقال في موضع آخر منه: «ونرى أنها كُتِبَتْ بالواو لهذه اللغة... وإن كان لا إمام لتلك اللغة من أئمة القراءة، فقد صَحَّحَتْ عن العرب، وفَسَّحَتْ عن الفصحاء، واستُعْمِلَتْ في الكتابة»^(٥).

ورَجَّحَ الجعبري كتابتها بالواو على الأصل، وقال: إنه لم يعلل بالتفخيم

(١) الهداية ١/١٣٣. وينظر: ١/٩٢، و١/١٠٠، و١/٦٩٢، و٢/١٥٢٩، و١٢/٧٩٠٨.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار ص ٥٥.

(٣) المقنع ص ٥٤.

(٤) الموضح ص ٢٠.

(٥) الموضح ص ٣٠ - ٣١.

«لعدمه في القرآن وكلام الفصحاء»^(١)، بل إن القسطلاني عدّ التعليل بالتفخيم من الغلط، فقال بعد أن ذكر قراءة التفخيم في كلمة (الصلاة) لورش: «وأما قول بعض النحاة: ولذلك رسمت واواً، فإنه غَلَطٌ؛ لأنها إنما رُسِمَتْ لِتُدَلَّ على أصلها، بدليل الزكاة»^(٢)، يريد أن ورشاً لم يقرأ (الزكاة) بالتفخيم.

وذهب عدد من علماء السلف إلى القول بأن الألف رُسِمَتْ واواً بناء على أصل كتابي قديم انحدر إلى الكتابة العربية في الحقبة السابقة لعصر البعثة النبوية الشريفة، فقد قال الفراء وهو يتحدث عن رسم الألف في (الربا) بالواو: «إنما كتبه بالواو لأن أهل الحجاز تعلموا الخط من أهل الحيرة، ولغتهم (الربو) فَعَلَّمُوهُمُ الْخَطَّ على لغتهم»^(٣)، ونقل أحمد بن المبارك هذه الرواية وفيها هذه الزيادة: «... وأما قريش فإنهم ينطقون بالألف، فكتابتهم له بالواو جرى على منطق غيرهم وتقليداً لهم»^(٤).

وحَمَلَ أبو بكر الصولي جميع ما كُتِبَ من الألفات في المصحف بالواو على هذا المعنى، فقال في باب (ما كُتِبَ على غير القياس): «من ذلك: الصلوة والزكوة والغدوة والحيوة والمشكوة والربو»، كُتِبَ كل هذا في المصحف بالواو، وكان يجب أن يكتب بالألف للفظ، وإنما كُتِبَ كذلك على مثل أهل الحجاز؛ لأنهم تعلموا الكتاب من أهل الحيرة»^(٥).

وتُقدِّمُ هذه النصوص تفسيراً جديداً للظاهرة، تؤيده الدراسات اللغوية الحديثة، فقد ورد في عدد من النقوش النبطية القديمة كلمة (مناة) مكتوبة ألفها بالواو هكذا (م ن و ت و)^(٦)، والواو في آخر الكلمة هي التي تزداد في آخر

(١) جميلة أرياب المراصد ص ٦٢٠.

(٢) لطائف الإشارات ١/١٨٤.

(٣) ذكره النووي في شرحه على صحيح مسلم ٨/١٠، ولم أجده في معاني القرآن للفراء في المواضع التي ورد فيها ذكر (الربا)، ولم أجده في كتابه المقصور والممدود.

(٤) الإبريز ص ١١٦.

(٥) أدب الكتاب ص ٢٥٥.

(٦) ينظر: خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص ٣٧ و ٦٧، وجواد علي: تاريخ

العرب قبل الإسلام ٣٠٦/٧، وكتابي: رسم المصحف ص ٣٣٥.

الأعلام في الكتابة النبطية، كما مرَّ ذكر ذلك عند الحديث عن زيادة الواو في كلمة (عمرو).

وليس لدينا ما يوضح الطريق الذي اتخذته هذه الكلمات في رحلتها من بلاد الشام إلى أرض الحجاز، فالروايات العربية القديمة تشير إلى انتقالها من الحيرة إلى الحجاز، بينما تكتفي الدراسات الحديثة بالقول إن أصل الخط العربي الحجازي هو الخط النبطي، وليس بعيداً أن يكون قد مرَّ بالحيرة قبل استقراره في مدن الحجاز.

ويستند هذا التعليل لكتابة الألف واواً في هذه الكلمات إلى أن اللغة المنطوقة تتطور والصورة الكتابية لا تتغير، وتظل تحمل آثار النطق القديم، ويعني ذلك أن هذه الكلمات كانت تنطق بالواو في حقبة سابقة ورسمت ألفاتها بالواو بناء على ذلك النطق، ثم تغير نطقها إلى الألف وظل رسمها بالواو، ثم انتقلت صورتها الكتابية كما هي إلى الكتابة العربية، والله أعلم.

٢ - تعليل رسم الألف ياءً:

ذكر علماء الرسم وجهين لرسم الألف في المصحف ياءً، وهما: كتابتها على مراد الإمالة، أو كتابتها على الأصل؛ لأن من الألفات ما أصله الياء، مثل أَلْف (رَمَى)، إذ نقول: رَمَيْتُ، وَيَرْمِي، وَرَمِيٌّ، وَرَجَّحَ بعضهم أحد التوجيهين. وأضاف بعضهم توجيهاً لرسم ذوات الواو بالياء والتي حقها أن ترسم بالألف، على الإتيان لما قبلها لتأتي الفواصل على صورة واحدة.

قال أبو عمرو الداني في المقنع: «اعلم أن المصاحف انفقت على رسم ما كان من ذوات الياء من الأسماء والأفعال بالياء على مراد الإمالة وتغليب الأصل...»^(١).

وقال في توجيهه ما رُسمَ من ذوات الياء بالألف، نحو: ﴿الْأَقْصَا﴾ و﴿طَفَا﴾ وشبهها: «ورُسمَ ذلك كذلك على مراد التفخيم»^(٢)، وقال في توجيهه

(١) المقنع ص ٦٣.

(٢) المقنع ص ٦٤.

ما رُسِمَ من ذوات الواو بالياء نحو: ﴿زَكَ﴾ و﴿أَلْضَحَى﴾ وما أشبهها: «وذلك على وجه الإتيان لِمَا قبل ذلك وما بعده، مما هو مرسوم بالياء من ذوات الواو لتأتي الفواصل على صورة واحدة»^(١).

وذكر المهدوي علة الأصل وعلة الفواصل، ولم يصرِّح بعلة الإمالة، فقال: «فأما كِتَابُ ذوات الياء بالياء فللدلالة على أنها من الياء، وللفرق بينها وبين ذوات الواو، وما كُتِبَ منها بالألف فعلى اللفظ، وأما ذوات الواو فإنها كُتِبَت بالألف لِيُفَرَّقَ بذلك بينها وبين ذوات الياء، وما كُتِبَ منها بالياء فلأنها ترجع إلى الياء، إذا دخلت عليها الزوائد أو كان الفعل غير مُسَمَّى الفاعل، وأكثر ما وقع من ذلك بالياء ما جاورَ ذوات الياء، فرُدَّ إلى الياء وهو من ذوات الواو، لتتفق رؤوس الآي وتجري على سَنَنِ واحد»^(٢).

وجمع أبو داود سليمان بن نجاح بين الإمالة والأصل في تحليل ما رُسِمَ من الألفات التي أصلها الياء بالياء في عشرات المواضع^(٣)، نحو قوله: «و﴿أَبَى﴾ بالياء على الأصل والإمالة مكان الألف الموجودة في اللفظ»^(٤)، وقال وهو يتحدث عن رسم كلمة ﴿أَلْتَنَى﴾: «بحذف الألف قبل الميم وإثبات ياء مُعَرَّقة بعدها على الأصل والإمالة، مكان الألف الموجودة في اللفظ»^(٥)، وقال وهو يتحدث عن رسم ﴿وَإِذْ أَبْتَلَى﴾ [البقرة: ١٢٤]: «بياء بعد اللام موضع الألف على الأصل والإمالة»^(٦).

ولا شك في أن ما ذكره علماء الرسم من توجيه رسم الألف ياء بأنها كُتِبَت على الأصل أو الإمالة هو أقرب إلى واقع اللغة وطبيعة الكتابة، لكن

(١) المقنع ص ٦٧، وينظر: أبو داود: مختصر التبيين ١٦٥/٢ - ١٦٧.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار ص ٥٥.

(٣) أحصيت ثلاثين موضعاً نص فيها أبو داود على تحليل رسم الألف ياء بالأصل والإمالة، واكتفيت بنقل ثلاثة نصوص منها.

(٤) مختصر التبيين ١١٩/٢.

(٥) المصدر نفسه ١٧٣.

(٦) المصدر نفسه ٣٠٥.

يترجح عندي التعليل بالأصل على التعليل بالإمالة للأسباب الآتية:

١ - إن المصاحف كُتبت على لغة قريش وهم قلب بلاد الحجاز «والفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد...»^(١).

٢ - شيوع الفتح في قراءة قراء الحجاز، والإمالة في قراءة قراء العراق الذي نزل في أمصاره كثير من قبائل نجد وشرقي الجزيرة العربية.

٣ - ليس جميع ما رُسِمَ من الألفات بالياء تجوز فيه الإمالة، ولا يلزم من التعليل بالأصل أن يكون أصل جميع الألفات المرسومة ياءً واضحاً، فبعض الألفات تبدو مجهولة الأصل، لكنَّ تَحَوُّلَ الألف إلى الياء في بعض استعمالاتها قَرَّبَهَا من الياء، مثل: (إلى وعلى)، فإنها إذا اتصل بها ضمير صارت ياء فنقول: (إليك وعليك).

ويحتمل التعليل بالأصل أن يكون المقصود به رجوع الألف إلى الياء في أكثر صيغ الكلمة، لكن هناك احتمال أن تكون هذه الياء كانت تنطق ياء في يوم ما وكُتبت ياء على أساس ذلك النطق القديم، وتَطَوَّرَ نُطْقُهَا وصارت تُنطقُ ألفاً، وبقي رسمها بالياء، وكُتبتْ أهل الحجاز بالياء على منطق غيرهم وتقليداً لهم^(٢)، على نحو ما كتبوا (الصلوة) بالواو، والله أعلم.

٣ - تعليل رسم تاء التانيث هاء:

اختلف النحويون في التاء الموجودة في الوصل، والهاء الموجودة في الوقف، في الأسماء المؤنثة أيتهما الأصل للأخرى، فذهب سيبويه^(٣) والفراء^(٤) إلى أن التاء هي الأصل، وذهب آخرون، منهم ثعلب، إلى أن الهاء هي الأصل^(٥)، وأيدت الدراسات اللغوية المقارنة أن التاء هي

(١) الداني: الموضح ص ١٩.

(٢) ينظر: كتابي: رسم المصحف ص ٣٢٣ - ٣٢٧.

(٣) ينظر: الكتاب ١٦٦/٤ و ٢٨٣.

(٤) نقله عنه ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/٢٨٢.

(٥) ينظر: ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ١/٢٨٢، والجعبري: جميلة أرباب المراد ص ٧٠٢.

(١) الأصل

والقاعدة العامة في تاء التانيث في الأسماء أن تُلْفَظَ تاءً في الوصل وتلفظ هاءً في الوقف، أما في المصحف فقد اختلف القراء في الوقف عليها، «فأما ما رُسِمَ بالتاء فإنه مختلف في الوقف عليه، فابن كثير وأبو عمرو والكسائي يقفون بالهاء، إجراءً لهاء التانيث على سَنَنِ واحد، وهي لغة قريش، والباقون: نافع وابن عامر وعاصم وحمزة يقفون بالتاء تغليباً لجانب الرسم، وهي لغة طيء» (٢).

وعَلَّلَ ابن الأنباري ما رُسِمَ من تاء التانيث بالهاء أو التاء في المصحف بقوله: «وإنما كتبوها في المصحف بالهاء لأنهم بَنَوْا الخط على الوقف، والمواضع التي كتبوها بالتاء الحجة فيها أنهم بَنَوْا الخط على الوصل» (٣).

وعَبَّرَ المهدي عن هذه العلة بقوله: «فأما السبب الموجب لوقوع بعض هذه المواضع بالهاء، ووقوع بعضها بالتاء، في ما ذكره العلماء، فإنهم زعموا أن ذلك من المُمْلِي والكاتب، فَإِنَّ المُمْلِيَّ كَانَ إِذَا وَصَلَ الكَلِمَةَ الَّتِي فِيهَا هَاءُ التَّانِيثِ بِالكَلِمَةِ الَّتِي تَلِيهَا انْقَلَبَتِ الهَاءُ تَاءً فِي الإِدْرَاجِ، فَكَتَبَهَا الكَاتِبُ عَلَى اللَّفْظِ بِنَاءٍ فِي الوَصْلِ، وَإِذَا قَطَعَ الكَلِمَةَ مِمَّا بَعْدَهَا فَقَالَ: ﴿رَحْمَةً﴾، ﴿اللَّهُ﴾ كَانَ لَفْظُهُ بِالهَاءِ، فَكَتَبَ الكَاتِبُ بِالهَاءِ عَلَى لَفْظِهِ» (٤).

وعَلَّلَ الداني رسمها بالتاء؛ أي: المبسوطة، بعلتين: الأولى ما ذكره ابن الأنباري والمهدي من رسمها على الوصل، والثانية أنها رُسِمَتْ تاءً بِنَاءٍ عَلَى الأَصْلِ، فَقَدْ قَالَ فِي عِنْوَانِ البَابِ: «بَابُ ذِكْرِ مَا رُسِمَ فِي المَصَاحِفِ مِنْ هَاءَاتِ التَّانِيثِ بِالتَّاءِ عَلَى الأَصْلِ أَوْ مَرَادِ الوَصْلِ» (٥).

(١) ينظر: رمضان عبد التواب: مقدمة تحقيق المذكر والمؤنث لأحمد بن فارس ٣٢ -

(٢) ابن الناظم: الحواشي المفهمة ص ١٤٨.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ٢٨٧/١.

(٤) هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٠.

(٥) المقنع ص ٧٧.

وما ذكره الداني من احتمال كتابتها على الأصل يجعلنا نرجع بالذاكرة إلى أصل الكتابة العربية القديم، وهو الكتابة النبطية، لنجد فيها أن الأسماء المؤنثة قد كُتِبَتْ في النقوش النبطية بالتاء في معظم الأحوال^(١).

ويبقى كلا الاحتمالين قائماً، فمن الممكن أن تحتفظ الكتابة العربية بالصورة القديمة لرسم هذه الكلمات، ومن الممكن أيضاً بناء الرسم على الوصل، لا سيما أن أكثر الكلمات التي جاءت مرسومة بالتاء هي مضافة مما يجعل النطق بها موصولة بما بعدها أرجح من الوقف عليها، وكان الصحابة وهم يكتبون المصاحف قد «عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل، دون الأصل والقطع»، كما قال الداني^(٢).

وليس لدارس رسم المصحف اليوم أن يعترض على المنهج الذي اتبعه الصحابة - رضوان الله عليهم - في رسم هذه الكلمات، بالاستناد إلى القاعدة التي قررها علماء العربية لاحقاً من رسم الكلمة بحروف هجائها مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، فلكل عصر تقاليدته الكتابية التي تفرض نفسها بقوة على الكتاب.

رابعاً: تعليل رسم الهمزة:

تَقَدَّمَ ذِكْرُ القاعدة التي جرى عليها رسم الهمزة في المصحف، وهي تتلخص في رسم الهمزة على حسب ما تؤول إليه في التخفيف، فترُسَمُ في أول الكلمة ألفاً على الأصل في أن الألف هي رمز الهمزة، وترُسَمُ في وسط الكلمة واواً أو ياءً أو ألفاً أو من غير صورة، بحسب طريقة تخفيفها، وترُسَمُ في آخر الكلمة حرفاً من جنس حركة ما قبلها، على نحو ما تقدم في الفصل الثالث.

وخرَجَ عن هذه القاعدة كلمات رُسِمَتْ فيها الهمزة إما بحرفين: ألف

(١) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٣٠١/٧، وينظر: كتابي: رسم المصحف ص ٢٧٣.

(٢) المحكم ص ١٥٨.

وواو، أو ألف وياء، مثل: ﴿أَوْلَتِكَ﴾ و﴿مِائَةً﴾، ومثل: ﴿بِأَيْدِي﴾، و﴿بِأَيَّةٍ﴾، و﴿أَفَايِنَ﴾، و﴿نَبَائِي﴾، وإما بحرف واحد على غير القاعدة السابقة، مثل: ﴿نَبُوًّا الْخَصْمِ﴾، و﴿الضُّعْفَتَوًّا﴾ ونحوها، ومثل: ﴿تَلْقَائِي﴾، و﴿مِنْ وَرَاءِي﴾.

وهناك كلمات مهموزة اختصت برسم معين لا يندرج في الأبواب المتقدمة، وذلك نحو: ﴿لِشَأْنِي﴾ و﴿وَجِئْتِي﴾.

وإذا كان رسم الهمزة في المصحف حسب القاعدة الأساسية التي ذكرناها، وهي رسم الهمزة على التسهيل، لا يحتاج إلى تحليل أو توجيه، فإن رسم الهمزة في الكلمات التي خَرَجَتْ على تلك القاعدة كانت موضع عناية علماء الرسم لوضعها في إطار عام ينتظمها ولا يبعدها عن الخطوط العريضة لرسم الهمزة، وتَقَدَّمَ الحديث عن بعض هذه الكلمات في الفقرة الخاصة بتعليل الزيادة في الرسم، ولكن الموضع المناسب لتفسير رسم الهمزة فيها هو هذه الفقرة، وسوف أحدد أولاً العوامل التي أدت إلى ظهور هذا الرسم المزدوج للهمزة قبل تحليل كل كلمة في ضوء ذلك، ومن أهم تلك العوامل:

١ - عدم اطراد الأصل في رسم الهمزة مبدوءاً بها وموقوفاً عليها، بل اعتمد رسم كثير من الكلمات على وصل ما قبلها بها أو وصلها بما بعدها.

٢ - هناك احتمال كبير في بقاء رسم عدد من الكلمات على لغة أهل التحقيق؛ أي: رسم الهمزة فيها بالألف، سواء كان ذلك في أول الكلمة أو في وسطها أو في آخرها، وقد يأتي معها رمز آخر للهمزة على لغة أهل التسهيل.

٣ - أدى ذلك الاحتمال إلى جمع رمزين للهمزة، رمز على النطق بها محققة أو مبدوءاً بها، ورمز على التسهيل أو موصولة بغيرها.

٤ - تأثر رسم عدد من الكلمات المهموزة بظاهرة زيادة بعض الحروف أو حذفها كما في نحو: ﴿الْعُلَمَتَوًّا﴾.

ويمكن تناول تحليل ظواهر الهمزة الخارجة عن القاعدة العامة لرسم

الهمزة في المصحف في ثلاث مجموعات: ما رُسِمَتِ الهمزة فيه برمز واحد، وما رُسِمَتِ فيه الهمزة برمزين، وما يمكن تسميته بغرائب الهمز.

١ - تعليل ما رُسِمَتِ فيه الهمزة برمز واحد:

وذلك مثل: ﴿بَبُؤًا﴾ و﴿أَلْمَلُؤًا﴾، و﴿وَيَدْرُؤًا﴾، و﴿أَلْضَعْفَتُؤًا﴾ و﴿تَلْقَايَ﴾ و﴿مِنْ وَرَاءَيَ﴾ ونحوها، وذكر علماء الرسم عدة وجوه لتعليل رسم الهمزة بالواو والياء في مثل هذه الكلمات، ونرجح منها أن تكون الواو والياء صورة للهمزة على مراد وصلها بما بعدها، فتكون بمنزلة الهمزة المتوسطة^(١).

وتقدّم الحديث عن الألف الواقعة بعد الواو في مبحث زيادة الألف، وتعليل زيادتها بأحد تعليلين: تقوية للهمزة، أو تشبيهاً للواو بواو الجمع، وهو الذي رَجَّحَهُ عدد من علماء الرسم.

واجتمع في ﴿أَلْضَعْفَتُؤًا﴾ وما كان مثلها حذف الألف قبل الواو، وزيادة الألف بعدها، إلى جانب رسم الهمزة واوًا على مراد الوصل.

٢ - تعليل ما رُسِمَتِ فيه الهمزة برمزين:

مثل: ﴿أَوْلَاتِكَ﴾ و﴿بِأَيْدِي﴾ و﴿أَفَايِن﴾ و﴿بِأَثْقَالِ﴾، والراجح من الوجوه التي يذكرها علماء الرسم في تعليل زيادة الواو أو الياء أو الألف في هذه الكلمات هو أنها جَمَعَتْ صورتين للهمزة، فالألف صورة التحقيق، والواو والياء صورة التسهيل^(٢)، أو كما قال المهدوي: كأن هذه الكلمات كُتِبَتْ على اللغتين، فَجُعِلَ في كل كلمة علامتان: علامة التحقيق، وعلامة التخفيف^(٣).

ومما يَدُلُّ على صحة هذا التعليل ورجحانه على غيره ما يأتي:

١ - تَوَافُقُ الحرف المزيد إلى جانب الألف مع حركة الهمزة أو حركة

(١) ينظر: الداني: أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ص ٤٢١ و ٤٣١، وأبو داود: أصول الضبط ص ٢٣٧، والتنسي: الطراز ص ٣٦٤ و ٣٧٦.

(٢) ينظر: الداني: أوراق غير منشورة من كتاب المحكم ص ٤٢٢ و ٤٣٠، وابن الجزري: النشر ١/ ٤٥٣، والتنسي: الطراز ص ٣٩٤ و ٤٠٢.

(٣) هجاء مصاحف الأمصار ص ٦٧.

الحرف الذي قبلها، فتزاد الواو مع الضمة، كما في ﴿أُولَئِكَ﴾ وتزاد الياء مع الكسرة، كما في ﴿يَأْتُهُ﴾، و﴿أَفَايُن﴾، وذلك لأن تسهيل الهمزة في ذلك يؤدي إلى النطق بالحرف الذي رُسِمَ إلى جانب الألف، ويدل على ذلك أن كلمة (نبا) رسمت مرة بالواو في ﴿نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ لوجود الضمة، وبالياء في ﴿مِن نَّبَائِ﴾ لوجود الكسرة.

٢ - معاملة الهمزة الواقعة في أول بعض الكلمات معاملة المتوسطة إذا اتصل بها حرف أو أُضيفت إليها كلمة، قال الداني: «ومما رُسِمَ بالياء على مراد الوصل والتبيين بإجماع قوله: ﴿لِئَلَّا﴾، و﴿لَيْن﴾، و﴿يَوْمِذٍ﴾، و﴿جِنْدِ﴾ حيث وقع»^(١)، وقال الجعبري: «اعلم أن الهمزة المُبْتَدَأة والمتوسطة بسابق لهما جهتان جائزتا الاعتبار: الأصل واللفظ»^(٢)، وما حصل في مثل: ﴿أَفَايُن﴾ إبقاء الألف مع الياء، فبدلاً من أن يكون رسمها هكذا (أَفَيْن) كان ﴿أَفَايُن﴾ مراعاة للأصل، وجاءت هذه الكلمة في مصحف جامع الحسين محذوفة الألف التي بعد الفاء، في موضع آل عمران [١٤٤]، مراعاة للفظ.

٣ - ورد في نقش حَفَنَةِ الأَبْيَضِ في العراق والمؤرخ بسنة (٦٤هـ) جملة (الله أكبر) ورُسِمَتْ فيها همزة (أكبر) واواً، هكذا (الله وَكَبَر) وهو ما قد يفسر وجود الواو في ﴿أُولَئِكَ﴾ وذلك بحملها على النطق بها موصولاً ما قبلها بها، فتؤول الهمزة في النطق واواً، لكن الفرق بينها وبين عبارة (الله وكبر) هو إبقاء الألف إلى جانب الواو فيها، وهو ما وقع في بعض ما يكتبه الناس في الزمن القديم في غير المصحف في قولهم: (يا أُخَيِّ) تصغير (أخي)، فإنهم كتبوه: (يَأُؤَخَيِّ) بحذف ألف (يا)، وزيادة الواو بعد حرف الألف دلالة على تخفيف الهمزة^(٣)، ونقل ابن السراج عن ثعلب قوله: «وربما أقرؤوا الألف وجاءوا بعدها

(١) المقنع ص ٥٣.

(٢) جميلة أرباب المراد ص ٥٧٢.

(٣) ينظر: ابن قتيبة: أدب الكاتب ص ٢٠١، والصولي: أدب الكتاب ص ٢٥١.

بواو في الرفع، وبياء في الخفض، فيقولون: ظَهَرَ خَطَاؤُهُ، وعجبت من خَطَائِهِ^(١)، ومن هذا الباب أيضاً ما قاله مكّي: «وَحِكْيِي أَنْ فِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ (غَيْرِ يَسِينِ) بِالْيَاءِ، أُبْدِلْتُ مِنَ الْهَمْزَةِ الْمَفْتُوحَةِ لَانْكَسَارِ مَا قَبْلَهَا»^(٢)، وهو يدل على إمكانية رسم الهمزة المبتدئة على التسهيل على نية الوصل.

٤ - ورد في بعض النقوش النبطية رسم كلمة (مئة) بالألف هكذا (مأة)^(٣)، ويبدو أن كُتِّبَ المصحف جمعوا بين رسم الكلمة القديم، وزادوا عليه الياء الناتجة عن تسهيل الهمزة المفتوحة بعد كسر، وذكر أبو حيان أنه رأى بخط بعض النحاة (مأة) بألف عليها صورة الهمزة دون ياء، ثم قال: «الذي أختاره أن تكتب بالألف دون الياء على وجه تحقيق الهمزة، أو الياء دون الألف على وجه تسهيلها»^(٤)، وقديماً جمعوا بين التحقيق والتسهيل كما في رسم المصحف.

٣ - تعليل غرائب رسم الهمزة في المصحف:

إن تعليل ما ورد في المصحف مرسوماً برمزتين من الهمزات على التحقيق والتسهيل، أو على الوصل والقطع، لا يصلح لتفسير بعض صور رسم الهمزة، مثل: ﴿لَأَذِبحَنَّ﴾ و﴿لِشَأِي﴾ و﴿وَجِئِي﴾ وسبقت الإشارة إلى توجيه علماء الرسم لهذه الكلمات، ولكن تلك التعليلات تبدو غير كافية، وهي لا تزال بحاجة إلى ما يكشف عن سر زيادة الألف في رسمها، وعلى الدارس أن يكون على بينة من أن زيادة هذه الألف بعد اللام ألف تمثل ظاهرة شائعة في المصاحف القديمة^(٥)، كما أن زيادتها في ﴿لِشَأِي﴾ كانت مطردة في مصحف

(١) كتاب الخط ص ١٢٠.

(٢) الكشف ٢/٢٧٧.

(٣) ينظر: جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام ٧/٢٩٦.

(٤) الهجاء ص ١٤٥.

(٥) زيدت الألف بعد اللام ألف في مصحف طشقند في ﴿لِإِلِي﴾ في آل عمران [١٥٨] و﴿لَاتَّبِعَنَّكُمْ﴾ في آل عمران [١٦٧]، وفي ﴿لَاتَبْنَهُمْ﴾ في الأعراف [١٧] وزيدت في مصحف جامع عمرو بن العاص في ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ في ص [٨٥].

عبد الله بن مسعود^(١)، وفي بعض البرديات القديمة^(٢)، وفي عدد من المصاحف المخطوطة^(٣)، مما يؤكد على أن هذه الكلمات التي تبدو غريبة في رسمها تمثل ظواهر كتابية كانت شائعة في الكتابة العربية في عصر رسم المصاحف العثمانية، قال ابن الجزري بعد أن عرض ما خرج عن القياس من رسم الهمزات: «فهذا ما عَلِمْنَاهُ خَرَجَ من رسم الهمز عن القياس المطرد، وأكثره على قياس مشهور، وغالبه لمعنى مقصود، وإن لم يُرَدِّ ظاهره، فلا بد من وَجْهِ مستقيم يَعْلَمُهُ مَنْ قَدَّرَ للسلف قَدْرَهُمْ وَعَرَفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ»^(٤)، وقد تكشف الدراسات اللاحقة عن سر هذه الرسوم.

خامساً: تحليل المقطوع والموصول:

الأصل «فَصَلُّ الكَلِمَةُ عن الكَلِمَةِ»^(٥)، و«الأصل أيضاً في كل كلمة أن تُكْتَبَ على اللفظ مبدوءاً بها وموقوفاً عليها»^(٦)، وفي اللغة العربية كلمات تتألف من حرف واحد أو حرفين مثل الضمائر وأدوات المعاني كحروف العطف ونحوها، ويرتبط هذا النوع من الكلمات بما قبله أو بعده ارتباطاً وثيقاً من حيث الوظيفة النحوية، مما جعل كُتَّاب العربية الأوائل يَصِلُونَ هذه الكلمات بما قبلها أو ما بعدها، ومعظم الكلمات المؤلَّفة من حرف واحد تُوصَلُ، أما الكلمات المؤلَّفة من حرفين فمنها ما يُوصَلُ ومنها ما يُفَصَلُ، وتقدِّم في الفصل الثالث بيان ما ورد من ذلك في المصحف.

وتحدَّث علماء الرسم عن توجيه المقطوع والموصول في رسم

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٤٢، والمحكم ص ١٧٤.

(٢) ينظر: كتابي: رسم المصحف ص ٤٢٩.

(٣) زيدت ألف في رسم ﴿سَيِّو﴾ في مصحف طشقند في سورة النساء الآية [٤]، والأنعام [٣٨] و[٩٣]، والأعراف [٥٧]، وهود [١٠١]، والنحل [٣٥] و[٧٥] و[٨٩]، والكهف [٧٠]، وطه [٥٠]، ينظر: ظواهر كتابية في مصاحف مخطوطة ص ٥١ - ٦٨.

(٤) النشر ١/٤٥٨.

(٥) القلقشندي: صبح الأعشى ٣/٢١٢.

(٦) ابن السراج: كتاب الخط ص ١٠٧.

المصحف، وقالوا: إن «كُلَّ ما فُصِلَ على الأصل»^(١)، وأن «المقطوع مكتوب على القياس»^(٢)، وهو أن حق كل كلمة أن تُكْتَبَ مفصولة عما قبلها وعما بعدها.

أما ما وُصِلَ مما هجاؤه أكثر من حرف فنوعان: ما فيه إدغام، وما ليس فيه إدغام، وقد علَّلوا وَصَلَ ما فيه إدغام بأن الخط بُنِيَ على اللفظ، قال أبو بكر بن الأنباري وهو يتحدث عن رسم (أَنْ لا): «فالمواضع التي كُتِبَتْ فيها مقطوعة كُتِبَتْ على الأصل؛ لأنَّ الأصل (أَنْ لا)، والمواضع التي كُتِبَتْ فيها موصولة بُنِيَ الخط فيها على الوصل؛ لأنَّ الأصل فيه (أَنْ لا) فأدغمت النون في اللام لقرب مخرجها منها... فلما اندغمت النون في اللام صارتا لهما مشددة، وبُنِيَ الخط على اللفظ»^(٣).

وذكر الداني وجه الوصل والقطع مختصراً في عنوان الباب حيث قال: «باب ذكر ما رُسِمَ في المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل، والموصولة على اللفظ»^(٤) ولم يُمَيِّزْ ما فيه إدغام عن غيره.

وجَمَعَ المهدي تعليلاً النوعين في قوله: «وعلة وقوع بعض ما تقدّم ذكره مقطوعاً، وبعضه موصولاً، وهو ما قدّمناه من كِتَابِ الكاتب على لفظ المُمْلِي»^(٥)، وكذلك المُدْعَمُ، وذلك جائز؛ لأن (فيما) و(كيلا) وما أشبههما، هما في الأصل كلمتان، فإذا كُتِبَ ذلك مقطوعاً كان على الأصل، وإذا كُتِبَ موصولاً فلكثره الاستعمال، حتى صاراً ككلمة واحدة.

والمُدْعَمُ قد دخل في المُدْعَمِ فيه، حتى صاراً حرفاً مشدداً، فإذا كُتِبَ

(١) الجهني: البديع ص ٣٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٢٢.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ١/١٤٦، وينظر: الجهني: البديع ص ٢٩، وأبو داود: مختصر التبيين ٣/٥٥٥.

(٤) المقنع ص ٦٨.

(٥) ذكر ذلك وهو يتحدث عن رسم هاء التانيث تاء، ينظر: هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٠.

بحرف واحد كان على لفظ الإدغام، واستُغْنِيَ بالتشديد عن صورة الحرف المُدْغَم، وإذا كُتِبَ بحرفين فهو على الأصل، وكُلُّ صوابٌ مستعملٌ^(١).

وذكر الجهني أصلاً لوصل (ما) وقطعها حين قال: «والأصل في ذلك أن يُكْتَبَ ما كان منه (ما) في موضع (الذي) مقطوعاً، وما كان من ذلك (ما) صلة أن يُكْتَبَ موصولاً»^(٢)، ومن ثم قال: إن فصل (ما) في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَا رَدُوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا﴾ [النساء: ٩١] مخالفٌ للقياس^(٣).

ويبدو أن الجهني متأثر في حُكْمِهِ هذا بالقاعدة التي وضعها أهل اللغة وتتلخص في أن (ما) إذا كانت اسماً بمعنى (الذي) فُصِلَتْ، وإذا كانت حرفاً وُصِلَتْ^(٤)، ولكن علماء الرسم لا يُحْكَمُونَ هذه القاعدة في رسم المصحف، فقد نقل الداني عن مُعَلَّى الوراق أنه قال: «كنا إذا سألنا عاصماً [الجحدري] عن المقطوع والموصول، قال: سواء، لا أبالي أَقْطَعُ ذا أم وُصِلَ ذا، إنما هو هِجَاءٌ، قال أبو عمرو [الداني]: وأحسبه يريد المُخْتَلَفَ في رسمه من ذلك دون المُتَّفَقِ على رسمه منه»^(٥).

ويتلخص من تعليل علماء الرسم للمقطوع والموصول أن ما وُصِلَ مما فيه إدغام فقد بُنِيَ فيه الخط على اللفظ، وأن ما وُصِلَ مما ليس فيه إدغام فلكثرته الاستعمال.



ومما يتعلق بتوجيه ما خرج عن القياس من رسم المصحف تفسير عدم اطراد بعض الظواهر فيه، مثل الحذف والإثبات، والوصل والفصل، والبدل، وغيرها، وذكر المؤلفون في الرسم عدداً من العوامل التي أثمرت على طريقة

(١) هجاء مصاحف الأمصار ص ٤٩.

(٢) البديع ص ٢١.

(٣) البديع ص ٢٢.

(٤) ينظر: ابن قتيبة: أدب الكاتب ص ١٩٤، وابن السراج: كتاب الخط ص ١٣٠،

والزجاجي: كتاب الخط ص ٦٠.

(٥) المقنع ص ٧٢.

رسم الكلمات وأدّت إلى تعدد صور كتابتها، فتأتي تارة بالحذف وأخرى بالإثبات، وتارة بالوصل وأخرى بالقطع، ونحو ذلك، وفي مقدمتها:

١ - بناء هجاء الكلمات على الوصل حيناً، وعلى الوقف حيناً آخر، قال الداني في المقنع: «والمذهبان قد يستعملان في الرسم دلالة على جوازهما فيه»^(١)، وقال في المحكم: «من حيث عاملوا في كثير من الكتابة اللفظ والوصل دون الأصل والقطع»^(٢).

وقال مؤمن بن علي الفلكآبادي، وهو يتحدث عن رسم (كأَيِّن) بالنون: «وَكَايِّن» [آل عمران: ١٤٦] بالنون، ولم يُكْتَبِ التنوين بالنون إلا في هذه الكلمة... واعلم أن القراء يُجَيِّزُونَ الرسم على نية الوقف، نحو: «سُلْطَانِيَّة» [٢٩] [الحاقة: ٢٩] و«مَا هِيَ» [١٠] [القارعة: ١٠]، وتارة على نية الوصل؛ لأن التنوين إنما يوجد في حالة الوصل دون الوقف»^(٣).

ولا شك في أن هذه الظاهرة كانت موضع قبول من الكُتَّاب في عصر تدوين القرآن ونسخ المصاحف، لكن علماء اللغة العربية في القرنين الثاني والثالث قاموا بمراجعتها وأعادوا صياغة القاعدة في رسم الكلمات على أساس رسم الكلمة مبدوءاً بها وموقوفاً عليها.

٢ - بناء هجاء الكلمات على اللفظ حيناً، وعلى أصل كتابي أو لغوي قديم حيناً آخر، قال الداني: «باب ذكر ما رُسِمَ في المصاحف من الحروف المقطوعة على الأصل، والموصولة على الحذف»^(٤)، وقال أبو داود: «وَأَبَى» [البقرة: ٣٤]، بالياء على الأصل والإمالة مكان الألف الموجودة في اللفظ»^(٥)...

ومن الأمثلة على مراعاة ذينك العاملين في رسم المصحف:

- (١) المقنع ص ٤٤.
- (٢) المحكم ص ١٥٨.
- (٣) جامع الكلام ١٧ ظ - ١٨ و.
- (٤) المقنع ص ٦٨.
- (٥) مختصر التبيين/ ١١٩.

رَسُمُ كلمة ﴿الْكِتَابِ﴾ و﴿كِتَابِ﴾ بحذف الألف حيث وقع إلا في أربعة مواضع، هي: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ﴿٣٨﴾ في الرعد [٣٨]، و﴿وَهَذَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ ﴿٤﴾ في الحجر [٤]، و﴿مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ في الكهف [٢٧]، و﴿وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿١﴾ في النمل [١] فقد رُسِمَتْ بإثبات الألف^(١)، فما كُتِبَ بحذف الألف فإنه جرى على الأصل القديم في الكتابة العربية، ويقضي بحذف الألفات من وسط الكلمات، وما رُسِمَ بإثباتها فإنه جاء مراعاة لفظها.

ومن ذلك رَسُمُ (ابن أمّ) موصولة مرة ومفصولة أخرى، ورسم الهمزة فيها بالألف مرة وبالواو أخرى، وهي لم تَرُدْ في القرآن إلا في هذين الموضعين، قال الداني: «وكتبوا في كل المصاحف في الأعراف ﴿قَالَ ابْنُ أُمِّ﴾ [١٥٠] بالقطع على مراد الانفصال، وكتبوا في طه ﴿يَبْنَؤُمْ﴾ [٩٤] بالوصل كلمة واحدة على مراد الاتصال»^(٢).

وقال الأندرابي: «وإنما كُتِبَتْ هذه الحروف بعضها على خلاف بعض، وهي في الأصل واحدة؛ لأن الكتابة بالوجهين فيها كانت جائزة عندهم، فكتبوا بعضها على وجه، وبعضها على وجه آخر، إرادة الجمع بين الوجهين الجائزين فيها في الكتاب عندهم، على أنهم كتبوا أكثرها على الأصل»^(٣).

ويمكن تفسير رسم كثير من الكلمات التي جاءت في المصحف مرسومة بصورتين، إما بالحذف والإثبات، وإما بالفصل والوصل، على أساس هاذين العاملين.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٢٠، والضباع: سمر الطالبيين ١/ ١١٨ - ١١٩.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٧٦.

(٣) الإيضاح ص ١٤٣.

خلاصة

- ١ يتعلق أكثر ظواهر الرسم من حذف وزيادة وبدل بحروف العلة الثلاثة: الألف والواو والياء.
- ٢ عَـلَّلَ علماء الرسم المتقدمون حذف الألف المتوسطة بالاختصار أو بالاستخفاف أو بالرغبة في تقليل حروف العلة، وتُفسَّرُ البحوث الحديثة ذلك بأنه امتداد لظاهرة عدم إثبات الألف في الكتابة النبطية.
- ٣ عَـلَّلَ علماء الرسم المتقدمون حذف الحروف الثلاثة في آخر الكلمات بأن الرسم بُيِّنَ فيها على اللفظ والوصل، أو اكتفاء بالحركة عن الحرف أو احتمال القراءتين.
- ٤ إذا اجتمع واوان أو ياءان أو ألفان في الرسم لم يُكْتَبْ إلا واحد منهما كراهة الجمع بين صورتين متفتحتين في الصورة، إلا ما استثنى من ذلك.
- ٥ عَـلَّلَ علماء الرسم زيادة الألف بعد الواو المتطرفة بالدلالة على انفصال الكلمة عما بعدها أو للفرق بين واو الجمع وواو العطف.
- ٦ عَـلَّلُوا زيادة الألف بعد الواو في نحو: ﴿الْعَلَمَوُا﴾ بتقوية الهمزة لخفائها، أو على تشبيه الواو التي هي صورة الهمزة بواو الجمع.
- ٧ عَـلَّلُوا زيادة الألف في ﴿لَأَذِيحَنَّهُ﴾ ونحوها بأنها تقوية للهمزة أو إشباع لحركتها.
- ٨ عَـلَّلُوا زيادة الألف في ﴿مَائَةٍ﴾ ﴿لِشَأِيٍّ﴾ ﴿وَجَائِيٍّ﴾ بأنها للفرق بينها وبين ما يشبهها في الرسم، وقد تشكك بعض العلماء السابقين بصحة هذا التعليل الذي تستبعده البحوث الحديثة أيضاً.
- ٩ عَـلَّلُوا زيادة الواو في ﴿أُولَيْكَ﴾ و﴿سَأُورِيكَ﴾ بأنها للفرق، أو لبيان الهمزة، أو تقوية لها، أو صورة لها.

- ١٠ عَلَّلُوا زيادة الياء في نحو: ﴿وَمَلَأْنِي﴾ و﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بأنها صورة للهمزة على مراد الوصل، أو إشباع لكسرتها.
- ١١ رَجَّحَ بعض علماء الرسم تعليل زيادة الياء أو الواو بجوار الألف التي هي صورة للهمزة في مثل: ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ و﴿بِأَيْدِي﴾ بأن تكون الألف صورة للهمزة على مذهب أهل التحقيق، والواو والياء صورة للهمزة على مذهب أهل التسهيل.
- ١٢ عَلَّلَ علماء الرسم واللغة رسم الألف واواً بإحدى علتين، الأولى: رسمها على التفتيح، والثانية: رسمها على الأصل.
- ١٣ ذَكَرَ عدد من علماء الرسم المتقدمين أن رسم الألف واواً جرى على نطق قديم، وأنها كانت تُنطَقُ واواً، وزال هذا النطق وبقي الرسم، وتؤيد البحوث الحديثة في النقوش هذه الفكرة.
- ١٤ ذَكَرَ علماء الرسم وجهين لرسم الألف ياءً، وهما: كتابتها على مراد الإمالة التي تُقَرَّبُ الألف من الياء، أو كتابتها على الأصل، وهو الأرجح.
- ١٥ عَلَّلَ عدد من العلماء رسم ما أصله الواو من الألفات بالياء لتأتي الفواصل على صورة واحدة.
- ١٦ عَلَّلَ علماء الرسم كتابة تاء التانيث هاء بناء للرسم على الوقف، ورسمها تاء على الوصل والأصل.
- ١٧ الأصل في رسم الهمزة في غير أول الكلمة أن تُرْسَمَ بما تؤول إليه في التخفيف، وخرجت كلمات على هذا الأصل.
- ١٨ إذا كانت الهمزة الخارجة عن ضوابط الرسم مرسومة بحرف واحد مثل: ﴿نَبَأٌ﴾ ﴿بِقَائِي﴾ فقد حملها العلماء على مراد التسهيل والوصل.
- ١٩ إذا كانت الهمزة مرسومة بألف وواو أو ألف وياء كما في مثل: ﴿أُولَئِكَ﴾ ﴿بِأَيْدِي﴾ فقد حملوها على الجمع بين صورتين للهمزة: الألف صورة التحقيق، والواو أو الياء صورة التسهيل.

- ٢٠ عُلِّلَ علماء الرسم ما وُصِلَ من الكلمات وفيه إدغام كما في نحو: ﴿الآ﴾ و﴿تَمَّ﴾ على بناء الرسم على اللفظ، دون الأصل.
- ٢١ عُلِّلُوا ما وُصِلَ من الكلمات وليس فيه إدغام كما في نحو: ﴿فِيمَا﴾ و﴿بُسَمًا﴾ على كثرة الاستعمال حتى صاروا كالكلمة الواحدة.
- ٢٢ يرجع تعدد صور رسم بعض الكلمات إلى عاملين: بناء الرسم على الوصل مرة وعلى الوقف أخرى، وبناء الكتابة على اللفظ حيناً وعلى أصل كتابي أو لغوي قديم حيناً آخر.

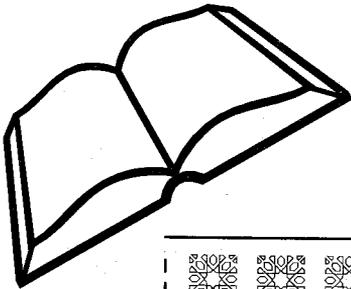
أسئلة تقويمية

- ١ س/ وضح أثر الأصل القديم للكتابة العربية على خصائص الرسم العثماني؟
- ٢ س/ لماذا انحصرت أكثر ظواهر الرسم من حذف وزيادة وبدل بحروف العلة الثلاثة؟
- ٣ س/ ما علة حذف الألف المتوسطة في كثير من الكلمات في الرسم العثماني والكتابة العربية القديمة؟
- ٤ س/ ما علة حذف حروف العلة الثلاثة من آخر عدد من الكلمات، كما في ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ و﴿يَدْعُ الدَّاعِ﴾ و﴿وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ﴾؟
- ٥ س/ ما علة عدم إثبات الياء في رؤوس الآيات في مثل: ﴿فَأَرْهَبُونَ﴾؟
- ٦ س/ ما علة حذف أحد الحرفين المتشابهين في الصورة إذا اجتمعا في رسم كلمة؟
- ٧ س/ ما توجيه زيادة الألف بعد الواو المتطرفة في مثل: ﴿ءَامَنُوا﴾ و﴿الضَّعَفَتُوا﴾؟
- ٨ س/ ما علة زيادة الألف في ﴿مِائَةٌ﴾ و﴿رَجَاءٌ﴾؟
- ٩ س/ هل تجد لتعليل زيادة الواو أو الياء في عدد من الكلمات بأنه للفرق ما يؤيده من الشواهد اللغوية؟
- ١٠ س/ ما علة زيادة الواو في ﴿أَوْلِيكَ﴾ و﴿سَأُورِيكُمْ﴾؟
- ١١ س/ كيف وجّه العلماء زيادة الياء في مثل: ﴿وَمَلَأْنِيهِ﴾ و﴿وَأَيَّتَابِي﴾؟
- ١٢ س/ ما علة زيادة الياء في ﴿بِأَيِّدِيكُمْ﴾ و﴿بِأَيِّتِكُمْ﴾؟
- ١٣ س/ ما علة رسم الألف واوياً في مثل: ﴿الصَّلَاةِ﴾ و﴿وَمِنُونَةٍ﴾؟
- ١٤ س/ ما علة رسم الألف ياء في عدد من الكلمات في مثل: ﴿يَسْعَى﴾ و﴿مَوْلَانَهُ﴾؟

- ١٥ س ما علة رسم ما أصله الواو من الألفات بالياء في مثل: ﴿وَالضُّحَىٰ﴾ (١) و﴿رَكَنٌ﴾؟
- ١٦ س أيهما الأصل التاء أو الهاء في علامة التأنيث في الأسماء، وما علة رسم عدد من الكلمات بالهاء حيناً وبالتاء حيناً آخر؟
- ١٧ س ما علة وصل عدد من الكلمات مثل: ﴿عَمَّا﴾ و﴿أَمِّنْ﴾؟
- ١٨ س ما علة وصل عدد من الكلمات مثل: ﴿كُمَا﴾ و﴿فِيَمَا﴾؟
- ١٩ س ما العوامل التي أدت إلى تعدد رسم كلمات معينة في المصحف؟
- ٢٠ س هل تجد أن العلل اللغوية لظواهر الرسم مقبولة أكثر من تعليل تنوع رسم الكلمات باختلاف المعاني التي تدل عليها؟

الفصل الخامس

علاقة القراءات برسم المصحف



إنَّ تسمية كلام الله ﷻ المنزَّل على سيدنا محمد ﷺ بالقرآن فيه إشارة إلى أنه من شأنه أن يُقرأ ويُنلى، وإنَّ تسميته بالكتاب فيه إشارة إلى أنه من شأنه أن يُكتب ويُدوَّن، وقد تحقَّق كلا الأمرين: القراءة والكتابة في زمنه ﷺ وحافظ المسلمون على ذلك في العصور اللاحقة حتى زماننا هذا، فالمصاحف التي بأيدي المسلمين أكثر من أن تُعدَّ وتُحصَى، والحفظة والقراء لا يحصيهم العدُّ أيضاً.

ولا يقلل من شأن المصحف قول العلماء إن الأصل في تعلُّم القرآن المشافهة والتلقي وقولهم: «إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب»^(١)، فلولا أن الكتابة مهمة لما أمر رسول الله ﷺ بكتابة القرآن، ولما حرص خلفاؤه على جمع القرآن في الصحف، ونسخ المصاحف وتوزيعها على الأمصار.

وكذلك لا يدعو قولُ السلف: «لا تأخذوا القرآن من مُصحفِي، ولا العِلْم من صحفِي»^(٢) إلى ترك المصاحف وإهمالها بقدر ما يعني الدعوة إلى التلقي الشفهي لضبط ألفاظ التلاوة، وعدم الاكتفاء بالقراءة في المصحف خشية الوقوع في الخطأ؛ لأن في القراءة ما لا تضبطه الكتابة^(٣).

وللمصحف ورسمه أهمية عظيمة من ناحيتين:

الناحية الأولى: حفظ القرآن من الزيادة أو النقصان، وصيانته من الخطأ أو النسيان، وقد أدرك الصحابة ذلك بعد معركة اليمامة حين طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يأمر بجمع القرآن، خشية أن

(١) ابن الجزري: النشر ٦/١.

(٢) العطار: التمهيد ص ٢٤٧.

(٣) ينظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١/١٧١.

يضيع شيء من القرآن بوفاة الحفاظ أو مقتلهم في المعارك، فجميع ما كُتِبَ بين يدي النبي ﷺ من القرآن في الرقاع في صُحُفٍ منمّطة، ثم نُسِخَتْ المصاحف من تلك الصحف في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وأجمع الصحابة - رضوان الله عليهم - على مصحف عثمان، واقتدت بهم الأمة من بعدهم.

الناحية الثانية: تمييز القراءة الصحيحة من الشاذة، من خلال النظر إلى موافقتها لرسم المصحف، فقد صار رسم المصحف أحد أركان القراءة الصحيحة، بل «هو الركن الأعظم في إثبات القرآنية للقرآن»^(١)، ومن ثم وجب المحافظة على الرسم العثماني في المصاحف، وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وتقدم أن المتأخرين من علماء الرسم جمعوا قواعد الرسم في ستة فصول، حين زادوا إلى موضوعات الرسم الخمسة (الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل) ما فيه قراءتان ورُسِمَ على إحدهما، وقد استوفينا الحديث عن الموضوعات الخمسة وصفاً وتعليلاً في ما تقدم من فصول الكتاب، وجمعتُ الحديث عن الموضوع السادس إلى مباحث أخرى تتعلق بالعلاقة بين القراءات والرسم في هذا الفصل.

وعلى دارس رسم المصحف أن يقف عند العلاقة بين القراءات والرسم، وأن يعرف الوجوه الجائزة لمخالفة القراءة للرسم والوجوه الممتنعة، وأن يتبين بطلان الزعم أن بعض القراءات القرآنية ناتجة عن تجرد الرسم من النقاط والحركات، ومن ثم سوف يتضمن هذا الفصل المباحث الآتية:

المبحث الأول: موافقة الرسم أحد أركان القراءة الصحيحة.

المبحث الثاني: الوجوه الجائزة لمخالفة القراءة للرسم والوجوه الممتنعة.

المبحث الثالث: تجرُّد الرسم ليس سبباً لنشأة القراءات.

(١) الشوكاني: إرشاد الفحول ١/٧٣.



المبحث الأول

موافقة الرسم أحد أركان القراءة الصحيحة

لم تكن القراءات السبع أو العشر معروفة في زمن النبي ﷺ ولا في زمن صحابته وتابعيهم، وكان ﷺ يُعَلِّمُ الصحابة القرآن، ويستمع إلى قراءتهم، ويصحح لهم^(١)، ويأمرهم أن يقرأ كل واحد منهم كما عَلَّمَ^(٢)، وينهاهم عن الاختلاف في القرآن، بعد أن وَسَّعَ اللهُ تعالى عليهم في القراءة على لسان نبيِّه ﷺ بقوله: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَافْرُقُوا مَا تَيْسَّرَ مِنْهُ»^(٣) فاختلقت قراءة الصحابة بناء على ذلك.

ولم تنعكس رخصة الأحرف السبعة على كتابة القرآن الكريم، فقد كُتِبَ في المصاحف على لغة قريش، وتقدَّم في الفصل الأول الحديث عن هذا الموضوع، بما يُعْنِي عن إعادته هنا، وأكتفي بتذكير القارئ بأن الراجح في هذه المسألة هو أن المصاحف العثمانية كُتِبَتْ على حرف واحد، أي قراءة واحدة، وهي القراءة التي كان يقرؤها رسول الله ﷺ وكبار صحابته في المدينة المنورة، فالقرآن الكريم نزل بلغة قريش، وكُتِبَ بها، ورُخِّصَ لهم بقراءته بلغات العرب، تيسيراً عليهم ومراعاة لاختلاف لغاتهم.

وبعد إرسال المصاحف إلى الأمصار في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه تَرَكَ أهل الأمصار كل قراءة تخالف خط المصاحف العثمانية، وقرؤوا بما يَحْتَمِلُهُ حَطُّهَا، ومن هنا صارت موافقة القراءة لرسم المصاحف العثمانية شرطاً

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان ١٩/١.

(٢) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٥١، ومسند الإمام أحمد ص ٩١ (رقم الحديث ٨٣٢)، وابن مجاهد: السبعة ص ٤٧.

(٣) تقدمت الإشارة إلى تخريج الحديث في المبحث الثاني من الفصل الأول.

لصححة القراءة، وقد بيّن مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) ذلك في قوله: «إن الصحابة رضي الله عنهم كان قد تعارف بينهم من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ترك الإنكار على من خالفت قراءته قراءة الآخر، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أنزل القرآن على سبعة أحرف»... فكان كل واحد منهم يقرأ كما علّم، وإن خالف قراءة صاحبه، لقوله صلى الله عليه وسلم: «اقروا كما علمتم»... فكانوا يقرؤون بما تعلّموا، ولا يُنكر أحدٌ على أحدٍ قراءته، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وجّه بعضهم إلى البلدان ليعلّموا الناس القرآن والدين، ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم خرج جماعة من الصحابة في أيام أبي بكر وعمر إلى ما افتتح من الأمصار، ليعلّموا الناس القرآن والدين، فعلم كل واحد منهم أهل مضره على ما كان يقرأ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فاختلفت قراءة أهل الأمصار على نحو ما اختلفت قراءة الصحابة الذين علّموهم، فلما كتب عثمان المصاحف ووجّهها إلى الأمصار، وحملهم على ما فيها، وأمرهم بترك ما خالفها، قرأ أهل كل مضرٍ مُصحفهم الذي وجّه إليهم على ما كانوا يقرؤون قبل وصول المصحف إليهم، ممّا يوافق خط المصحف الذي وجّه إليهم، وتركوا من قراءتهم التي كانوا عليها مما يخالف خط المصحف، فاختلفت قراءة أهل الأمصار لذلك بما لا يخالف الخط، وسقط من قراءتهم كلهم ما يخالف الخط، ونقل ذلك الآخر عن الأول في كل مصر»^(١).

وأتاح تجرّد المصاحف العثمانية من النّقاظ والحركات أن يقرأ أهل الأمصار بالقراءات التي يحتملها الخط «فالمصحف كُتب على حرف واحد، وخطه مُحتملٌ لأكثر من حرف، إذ لم يكن منقوطةً ولا مضبوطةً»^(٢)، لكن ذلك مُقيّد بما قرأ به الصحابة - رضوان الله عليهم - أولاً، وبما لا يخرج عن خط المصحف ثانياً، قال ابن قتيبة: «كل ما كان موافقاً لمصحفنا غير خارجٍ من رسم كتابه جاز لنا أن نقرأ به، وليس لنا ذلك في ما خالفه»^(٣).

(١) الإبانة ص ٢٧ - ٢٩.

(٢) المصدر نفسه ص ١٩.

(٣) تأويل مشكل القرآن ص ٤٢.

وكان علم القراءة من أوائل علوم القرآن التي اعتنى العلماء بتدوينها، لحفظ الحروف التي يقرأ بها القراء، ولتعضد الرواية الكتابية، وكان أول كتاب جامع في علم القراءات كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام البغدادي (ت ٢٢٤هـ)، الذي ذكّر فيه خمسة وعشرين قارئاً^(١)، وكان علماء القراءة في القرون الأولى يحتكمون إلى مقاييس محددة في قبول القراءة أو رفضها في مقدمتها أن تكون القراءة مروية عن الصحابة، وأن تكون موافقة لخط المصحف، وأن تكون قوية الوجه في العربية، وكانت هذه المقاييس مُعتمَدةً في كتاب أبي عبيد، فهو وإن كان مفقوداً في زماننا إلا أن نصوصاً منه جاءت في المصادر اللاحقة، فقد نقل عنه أبو بكر بن الأنباري (ت ٣٢٧هـ) نصّاً يُبيّن فيه أبو عبيد اختياره في الوقف على هاء السكت، قال فيه: «الاختيارُ عندي في هذا الباب كُلُّه الوقوفُ عليها بالهاء بالتعمد لذلك... فإذا صار قارئها إلى السكت عندها على ثبوت الهاءات اجتمعت له المعاني الثلاثة من أن يكون:

- مصيباً في العربية.

- موافقاً للخط.

- وغير خارج من قراءة القراء»^(٢).

وذكر مكي بن أبي طالب القيسي أن ما يُقبَلُ من القراءات ويُقرأ به هو: «ما اجتمع فيه ثلاثٌ خلال، وهي: أن يُنقلَ عن الثقات إلى النبي ﷺ، ويكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن شائعاً، ويكون موافقاً لخط المصحف»^(٣).

وبيّن ذلك أيضاً أحسن بيان ابن الجزري في كتابه «النشر» حين قال: «فقام جهابذة علماء الأمة، وصناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، وبيّنوا الحق المراد، وجمعوا الحروف والقراءات، وعزّوا الوجوه والروايات، وميّزوا بين

(١) ينظر: ابن الجزري: النشر ١/٣٤ - ٣٥.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ١/٣١١.

(٣) الإبانة ص ٣٠، وينظر: ص ٥٢.

المشهور والشاذ، والصحيح والفاذ، بأصُولِ أَصْلُوها، وأركانِ فَصْلُوها، وها نحن نشير إليها ونُعَوِّلُ عليها، فنقول:

كل قراءة وافقتِ العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصَحَّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها، ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها...»^(١).

ومن تمام الحديث عن هذا الموضوع الإشارة إلى قضيتين:

الأولى: أن القراءة إذا صحَّ سندها إلى الصحابة - رضوان الله عليهم - وخالفت رَسَمَ المصاحف العثمانية سُمِّيت شاذة، ولم تُجَزَّ القراءة بها، قال مكي: «وما خالف خط المصحف أيضاً هو من [الأحرف] السبعة، إذا صحَّت روايته ووجهه في العربية، ولم يُضَادَّ معنى خط المصحف، لكن لا يُقْرَأُ به، إذ لا يأتي إلا بخبر الآحاد، ولا يثبت قرآن بخبر الآحاد، وإذ هو مخالف للمصحف المجمع عليه»^(٢)، وقال أيضاً: «وسقط العمل بالقراءات التي تُخالف خط المصحف، فكأنها منسوخة بالإجماع على خط المصحف»^(٣).

وقال أبو منصور الأزهري: «مَنْ قرأ بحرف شاذ يخالف المصحف وخالف بذلك جمهور القُرَّاءة المعروفين فهو غير مصيب، وهذا مذهب الراسخين في علم القرآن قديماً وحديثاً»^(٤)، وكان ابن سَنَبُودِ (محمد بن أحمد بن أيوب ت ٣٢٨هـ): «يرى جواز القراءة بما صحَّ سَنَدُهُ، وإن خالف رسم المصحف»^(٥)، فَناهَضَهُ إمام القراءة في عصره أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ) بسبب قراءته تلك، وعَقَّدَ له الوزير أبو علي ابن مقلة مجلساً بحضور ابن مجاهد وجماعة من العلماء والقضاة وكتَبَ عليه فيه

(١) النشر ٩/١.

(٢) الإبانة ص ٣٣.

(٣) المصدر نفسه ص ٢٤.

(٤) تهذيب اللغة ١٤/٥.

(٥) القسطلاني: لطائف الإشارات ١٠٥/١.

المحضر^(١)، ونقل ابن النديم نص ذلك المحضر، وهو: «يقول محمد بن أحمد بن أيوب: قد كنتُ أقرأ حروفاً تخالف ما في مصحف عثمان المجمع عليه، والذي اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على قراءته، ثم بان لي أن ذلك خطأ، وأنا منه تائب، وعنه مُقْلِعٌ، وإلى الله جلَّ اسمه منه بَرِيءٌ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافه، ولا أن يُقرأ بغير ما فيه»^(٢).

والقضية الثانية: أن القراءات الصحيحة لم تكن تنقيد بعدد، فكل «ما صَحَّ سَنَدُهُ، واستقام وَجْهُهُ في العربية، ووافق خط المصحف، فهو من [الأحرف] السبعة المنصوص عليها، ولو رواه سبعون ألفاً...»^(٣)، أما تنقيد القراءات الصحيحة بسبع أو عشر فهذا أمر حادث في أواخر القرن الثالث الهجري على يد ابن مجاهد، فقد كان علماء القراءة من التابعين وتابعيهم أخذوا القراءة عن شيوخهم غير متقيدين بقراءة شيخ أو بلد، وحين تَصَدَّقُوا للإقراء: «احتاج كل واحد من هؤلاء القراء أن يأخذ مما قرأ وَيَتْرَكَ»^(٤)، فاختر كل قارئ من مجموع ما تلقاه عن شيوخه قراءة التزم بها في إقرائه فنسبت إليه.

«وهؤلاء الذين اختاروا إنما قرؤوا لجماعة وروايات، فاختر كل واحد مما قرأ وروى قراءة تُنَسَّبُ إليه بلفظ الاختيار... وأكثر اختياراتهم إنما هي في الحرف إذا اجتمع فيه ثلاثة أشياء: قوة وجهه في العربية، وموافقته للمصحف، واجتماع العامة عليه...»^(٥).

قال أبو عمرو الداني: «إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار المرادُ بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة وأثره على غيره ودأومَ عليه، ولزِمَهُ حتى اشتهر وعُرفَ به، وقُصِدَ فيه وأخذَ عنه، فلذلك أُضيفَ إليه دون غيره من القراء، وهذه الإضافة إضافة

(١) ينظر: الذهبي: معرفة القراء ٥٤٦/٢، وابن الجزري: غاية النهاية ٥٤/٢.

(٢) الفهرست ص ٣٥، وينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص ١٨٩.

(٣) مكِّي: الإبانة ص ٥٢، وينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص ١٧٨.

(٤) مكِّي: الإبانة ص ٢٩.

(٥) المصدر نفسه ص ٥٠.

اختيار ودوام ولزوم، لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد»^(١).

وكثرت اختيارات القراء حتى بلغت العشرات، وذكر ابن الجزري أن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) ذكر في كتابه في القراءات خمسة وعشرين قارئاً، وأن إسماعيل القاضي (ت ٢٨٢هـ) جمع في كتابه قراءة عشرين إماماً، منهم السبعة، وأن الطبري (ت ٣١٠هـ) جمع كتاباً حافلاً سماه «الجامع» فيه نيف وعشرون قراءة^(٢).

وحين تصدّر ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) في بغداد وجد أن الاختيارات قد كثرت، وكل اختيار يمثل قراءة، وأنها منها المشهور ومنها غير ذلك، فأراد أن يميز بينها، فألف كتابين: كتاب «السبعة» ضمّنه أصح القراءات، وهي قراءات: نافع وابن كثير وأبي عمرو وعاصم وحزمة والكسائي وابن عامر^(٣)، وكتاب «شواذ السبعة» ذكر فيه قراءات غير هؤلاء السبعة، وشرح أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ) وهو تلميذ ابن مجاهد، كتاب «السبعة»، واحتج لما فيه من قراءات في كتابه «الحجة»، وشرح ابن جني (ت ٣٩٢هـ) تلميذ أبي علي الفارسي كتاب ابن مجاهد الآخر «شواذ السبعة» في كتابه «المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات»^(٤).

قال مكّي: «وأول من اقتصر على هؤلاء أبو بكر ابن مجاهد قبل سنة ثلاث مئة أو في نحوها، وتابعه على ذلك من أتى بعده...»^(٥). ووصف ابن الجزري ابن مجاهد بأنه: «شَيْخُ الصَّنْعَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ سَبَّحَ السَّبْعَةَ»^(٦)، وشاع بعد ابن مجاهد أن ما عدا القراءات السبع شاذ^(٧)، لكن ذلك لم يَدُم طويلاً،

(١) جامع البيان ص ٣٥.

(٢) النشر ١/٣٤.

(٣) ابن مجاهد: السبعة ص ٨٧.

(٤) ينظر: ابن جني: المحتسب ١/٣٢ و ٣٥.

(٥) الإبانة ص ٤٩ - ٥٠، وينظر: أبو شامة: المرشد الوجيز ص ١٦٠.

(٦) غاية النهاية ١/١٣٩.

(٧) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٣ - ٣٤.

فظهرت المؤلفات في القراءات العشر، بإضافة قراءة أبي جعفر ويعقوب وخلف إلى السبعة، وعاد علماء القراءة إلى الاحتكام إلى شروط القراءة الصحيحة الثلاثة، قال أبو شامة: «فكل قراءة ساعدها حُطُّ المصحف، مع صحة النقل فيها، ومجيئها على الفصح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة، فإن اُخْتَلَّتْ هذه الأركان الثلاثة أُطْلِقَ على تلك القراءة أنها شاذة وضعيفة»^(١).

ومع أن علماء القراءة ظلوا يَنْصُونَ على أن كل قراءة اجتمعت فيها الأركان الثلاثة هي قراءة صحيحة إلا أنهم يَعُدُّون القراءات السبع والثلاث المتممة لها المنقولة بالمشافهة هي المتواترة، وما عداها شاذ لا تصح القراءة به لا في الصلاة ولا في خارجها^(٢).

(١) المرشد الوجيز ص ١٧١ - ١٧٢، وقول أبي شامة: «فإن اختلفت هذه الأركان..» يعني اختلف أحدها، فهو كافٍ لإطلاق صفة الشذوذ على القراءة.

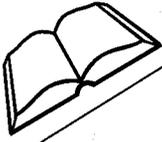
(٢) ينظر: القسطلاني: لطائف الإشارات ١/ ١٧٠، والبنبا الدمياطي: إتحاف فضلاء البشر ص ٤ - ٧.

خلاصة

- ١ القرآن كلام الله تعالى المقروء، والمصحف كلام الله تعالى المكتوب.
- ٢ الأصل في نقل القرآن التلقي الشفهي والمصحف يُعَضَّدُ التلقي والحفظ.
- ٣ للمصحف أهمية عظيمة من ناحيتين، الأولى: حفظ القرآن من الزيادة والنقصان، والثانية: تمييز القراءة الصحيحة من الشاذة.
- ٤ تعددت قراءات الصحابة في ظل رخصة الأحرف السبعة، لكن المصحف في الرأي الراجح كُتِبَ على حرف واحد وقراءة واحدة، وَحَفْظُهُ مُخْتَلِفٌ لأكثر من قراءة.
- ٥ تلقى التابعون القراءات عن الصحابة، وقرؤوا بما يوافق رسم المصاحف العثمانية التي أرسلها عثمان إلى الأمصار، وتركوا ما خالفها، ولم يكن مصطلح القراءات السبع أو العشر قد ظهر في هذه الحقبة.
- ٦ كَثُرَتْ اختيارات القراء في القرنين الثاني والثالث، وكانت تلك الاختيارات تخضع لثلاثة شروط: أن تكون مروية عن الصحابة، وأن توافق رسم المصاحف العثمانية، وأن تكون قوية الوجه في العربية.
- ٧ وَجَدَ ابن مجاهد البغدادي تفاوتاً بين قراءات القراء في عصره، وأصلها اختيارات القراء في القرون السابقة، فاختار أصحابها في كتابه «السبعة»، وجمع القراءات الأخرى في كتابه «شواذ السبعة».
- ٨ اشتهر اختيار ابن مجاهد، وصارت السبعة هي الصحيحة المشهورة، وما عداها شاذ، وأضاف علماء القراءة بعد ابن مجاهد ثلاث قراءات إلى السبعة، فصارت القراءات الصحيحة عشراً، وما عداها شاذ.

أسئلة تقويمية

١. ما أهمية المصحف في حفظ القرآن وقراءته؟
٢. ما الأساس في تعلم القرآن ونقله؟
٣. هل يعني قول العلماء: (لا تأخذوا القرآن من مَصْحَفِي) دعوة إلى ترك كتابة القرآن؟
٤. هل كانت قراءة الصحابة مُوَحَّدَةً؟ وضح ذلك.
٥. ما موقف قراء الأمصار من المصاحف التي أرسلها عثمان إليهم؟
٦. ما المقصود بالاختيار في القراءة وما أثره على القراءات وروايتها؟
٧. ما الشروط التي احتكم إليها القراء في القرون الأولى في اختيار قراءاتهم؟
٨. وَضَّحْ موقف ابن مجاهد من تعدد الاختيارات وكثرتها؟
٩. ما أثر تأليف ابن مجاهد كتاب السبعة وكتاب شواذ السبعة على رواية القراءات والتأليف فيها؟
١٠. ما هي القراءات الصحيحة اليوم، وما هي الشاذة؟



المبحث الثاني

الوجوه الجائزة لمخالفة القراءة الرسم والوجوه الممتنعة

كانت المصاحف العثمانية مجردة من نقاط الإعجام وعلامات الحركات، وهناك آرايان لتعليل ذلك، الأول: ما ذهب إليه عدد من علماء السلف من أن المصاحف إنما جُرِّدَت من النُّقْطِ والشُّكْلِ لِيَحْتَمِلَ خَطُّهَا القراءات الصحيحة المروية^(١)، والثاني: أن الكتابة العربية في عصر تدوين القرآن ونَسَخِ المصاحف كانت خالية من النقط والشكل، وهو ما كشفت عنه الدراسات الحديثة في تاريخ الخط العربي، كما تقدّم في الفصل الأول.

ومهما كان الرأي الذي يميل إليه الدارس فإن النتيجة العملية واحدة، وهي أن المصاحف الأولى كانت مجردة، وكان خطها لذلك يحتمل أكثر من قراءة، وقد أتاح ذلك لأهل الأمصار أن يقرؤوا المصحف بما تلقوه عن الصحابة من قراءات ما دام خطها يحتمل تلك القراءات، والمصاحف العثمانية كُتِبَتْ على حرف واحد وقراءة واحدة، لكن تجرد خطها من النقط والشكل أتاح قراءتها بالقراءات الأخرى التي يحتملها خطها، كما تقدّم بيان ذلك في المبحث السابق.

وإذا كان الأمر كذلك فلا بد للدارس أن يقف عند الحدود الفاصلة بين القراءة التي يحتملها خط المصحف فتعدّ قراءة صحيحة، والقراءة التي لا يحتملها الخط فتعدّ قراءة شاذة، وتحدّث علماء الرسم والقراءات عن هذا الموضوع، مؤكدين على أمرين:

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٣، وابن الجزري: النشر ٧/١ و ٣٣، والضباع: سمير

١ - إن من الرسم ما تجب مخالفته في القراءة؛ لأن التلفظ بالمرسوم يؤدي إلى خلل في القراءة وإلى خروجها عن سنن الرواية والمتعارف عليه في العربية، وذلك مثل ما حُذِفَتْ منه الألفات، مثل: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ و﴿الْفَلِاحَاتِ﴾ وما أُبْدِلَتْ فيه الألف واواً مثل: ﴿الْفَلَاةُ﴾ و﴿الزُّكُوَّةُ﴾ أو زيد في رسم الكلمة حرف مثل: ﴿مَائَةٌ﴾ و﴿لِشَائِي﴾ ونحو ذلك، قال ابن الجزري: «فكَم من موضع حُوِلَف فيه الرسم وحُوِلَف فيه الأصل، ولا حرج في ذلك إذا صحت الرواية»^(١)، ونقل أبو عمرو الداني عن ابن المنادي (ت ٣٣٦هـ) قوله: «إِنَّ مِنَ الْخَطِّ الْمَكْتُوبِ مَا لَا تَجُوزُ بِهِ الْقِرَاءَةُ مِنْ وَجْهِ الْإِعْرَابِ، وَأَنَّ حُكْمَهُ أَنْ يُتْرِكَ عَلَى مَا خُطَّ، وَيُطْلَقَ لِلْقَارِئِينَ أَنْ يَقْرَؤُوا بِغَيْرِ الَّذِي يَرُونَهُ مَرْسُومًا»^(٢)، وذهب أبو بكر بن أشته (ت ٣٦٠هـ) إلى أن ما زيد في رسمه في المصحف لو قُرئ بظاهر الرسم لكان لحناً^(٣).

٢ - إن موافقة القراءة للرسم يمكن أن تكون تحقيقاً، إذا حَصَرَ الْخَطُّ اللَّفْظَ مثل: ﴿الْحَمْدُ﴾ وأن تكون تقديراً مثل قراءة ﴿الْصِرْطُ﴾ بالسین أو بإشمام الصاد الزاي، وذلك بناء على إمكانية تنوع نطق بعض الحروف بما لا يخرج بالكلمة عن أصلها.

قال الجعبري: «وهذه الموافقة تكون تحقيقاً وتقديراً؛ لأنَّ الاختلاف يكون اختلاف تَغَايِيرٍ وهو في حكم الموافق؛ أي: لا يلزم من صحة أحدهما بطلان الآخر، ويكون اختلاف تَضَادُّ أو تناقض؛ أي: يلزم من صحة أحدهما بطل الآخر، والواقع الأوَّل، وتحقيقه: أَنَّ الْخَطَّ تَارَةً يَحْصُرُ جِهَةَ اللَّفْظِ، فَمُخَالَفَةُ مُنَاقِضٍ، وتارة لا يحصرها، بل يُرَسِّمُ عَلَى أَحَدِ التَّقَادِيرِ، فاللافت به موافق تحقيقاً، وبغيره موافق تقديراً لِيَتَعَدَّدِ الْجِهَةُ، إذ البدل في حكم المُبْدَلِ، وما زيد في حكم العدم، وما حُذِفَ في حكم الثابت، وما وُصِلَ في حكم الفصل، وما فُصِّلَ في حكم الوصل»^(٤).

(١) النشر/١٤١.

(٢) المحكم ص ١٨٥.

(٣) ينظر: السيوطي: الإتقان ٤/١٢٤٢.

(٤) جميلة أرباب المراصد ص ٩٨.

ووضَّح ابن الجزري هذا التقسيم لموافقة القراءة للرسم ومثَّل له، وقال: إن موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً، كقراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ إذ الألف محذوفة من الرسم، وقد تكون تقديراً كقراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بإثبات الألف، وقال: «إن مخالف صريح الرسم في حرف مدغم أو مبدل أو ثابت أو محذوف أو نحو ذلك لا يُعدُّ مخالفاً، إذا ثبتت القراءة به ووردت مشهورة مُسْتَفَاضَةً، ألا ترى أنهم لم يعدوا إثبات ياءات الزوائد وحذف ياء ﴿تَسْتَأْنِي﴾ في الكهف [٧٠]، وقراءة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]»^(١)، والظاء من ﴿يُضَيِّنِينَ﴾ [التكوير: ٢٤]»^(٢)، ونحو ذلك من مخالفة الرسم المردود، فإن الخلاف في ذلك يُعْتَفَرُ، إذ هو قريب يرجع إلى معنى واحد، وتُثْمِشِيهِ صحَّةُ القراءة وشهرتُها وتلقيها بالقبول، بخلاف زيادة كلمة ونقصانها، وتقديمها وتأخيرها، حتى لو كانت حرفاً واحداً من حروف المعاني، فإن حكمه في حكم الكلمة لا يسوغ مخالفة الرسم فيه، وهذا هو الحد الفاصل في حقيقة اتباع الرسم ومخالفته»^(٣).

وكان عدد من الذين كتبوا في رسم المصحف من المتأخرين والمعاصرين قد أضافوا فصلاً سادساً إلى فصول علم الرسم الخمسة: الحذف، والزيادة، والبدل، والهمز، والفصل والوصل، وهو ما فيه قراءتان فُكِّتَبَ على إحداهما، وأوردوا أمثلة له^(٤)، كما تقدم، وهو موضوع لا يتعلق بقواعد الرسم بقدر تعلقه بعلاقة القراءات به، فالأصل أن المصحف كُتِبَ على قراءة واحدة وحرف واحد، وأتاح تجرد الخط من النُّقَاطِ والحركات أن يحتمل أكثر من قراءة، وهناك عدة عوامل أدَّت أن يحتمل الخط أكثر من قراءة، منها:

- (١) رسمت الكلمة في المصحف ﴿وَأَكُنْ﴾، وقرأها أبو عمرو (وأَكُونُ) بالواو ونصب النون، والباقون بغير واو وجزم النون، ينظر: الداني: التيسير ص ٢١١.
- (٢) رسمت الكلمة في المصحف بالضاد، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (بظنين) بالظاء، والباقون بالضاد، ينظر: الداني: التيسير ص ٢٢٠.
- (٣) النشر ١٢/١ - ١٣، وينظر: المخللاني: إرشاد القراء والكاتبين ١/١٨١.
- (٤) ينظر: السيوطي: الإتيقان ٦/٢٢٠٠، والضبايع: سمير الطالبين ١/٦٨ و ٢/٤٤٢، ومحمد حبيب الله الشنقيطي: كتاب إيقاظ الأعلام ص ٤١ و ٥٧.

- ١ - تجرد الخط من النُّقَاط والحركات .
 - ٢ - خصائص الرسم القديم من حذف رموز حروف المد ورسم عدد من الكلمات على الأصل دون اللفظ، أو على الوصل دون الفصل .
 - ٣ - اختلاف المصاحف في هجاء عدد من الكلمات .
- وهذا توضيح لأثر هذه العوامل على احتمال الرسم أكثر من قراءة، وأمثلة توضح ذلك .

أولاً: أثر تجرد الخط من النقاط والشكل :

إن تجرد خط المصاحف العثمانية من نقاط الإعجام وعلامات الحركات ساعد على توسيع دائرة القراءات الصحيحة، فإذا كانت المصاحف العثمانية قد كُتِبَتْ على حرف واحد وقراءة واحدة، فَإِنَّ تَجَرُّدَ خَطِّهَا ساعد على استيعاب قراءات أخرى، فحين أُرْسِلَتِ المصاحف إلى الأمصار تَرَكَ الناس كل قراءة تخالف الخط، واستمروا يقرؤون بالقراءات التي يحتملها خط المصحف، ومن ضمن تلك القراءات ما كان الاختلاف فيها بالحركات أو تنقيط الحروف، وأمثلة هذا النوع من القراءات كثيرة جداً، وسوف أكتفي بذكر أمثلة تشير إليها، وذلك من خلال ثلاث مجموعات :

١ - قراءات تختلف في حركة بنية الكلمة :

- ١ - ﴿الْبَيْوتُ﴾ [البقرة: ١٨٩]: قرأ ورش وحفص وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بضم الباء حيث وقع، والباقون بكسرها^(١).
- ٢ - ﴿مَيْسِرَةً﴾ [البقرة: ٢٨٠]: قرأ نافع بضم السين، والباقون بفتحها^(٢).
- ٣ - ﴿وَرِضْوَانٌ﴾ [آل عمران: ١٥]: قرأ أبو بكر بضم الراء، والباقون بكسرها^(٣).

(١) ينظر: الداني: التيسير ص ٨٠، والواسطي: الكنز ٤٢٢/٢، وابن الجزري: النشر ٢/٢٢٦.

(٢) التيسير ص ٨٥، والكنز ٤٣٢/٢، والنشر ٢/٢٣٦.

(٣) التيسير ص ٨٦، والكنز ٤٣٧/٢، والنشر ٢/٢٣٨.

٤ - ﴿مُدْخَلًا﴾ [النساء: ٣١]: قرأ نافع وأبو جعفر بفتح الميم، والباقون بضمها^(١).

٥ - ﴿بِالْمُدَّوَّةِ الدُّنْيَا﴾ [الأنفال: ٤٢]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر العين، والباقون بضمها^(٢).

٢ - قراءات تختلف في حركة الإعراب:

١ - ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ [آل عمران: ٨٠]: قرأ عاصم وحمزة وابن عامر ويعقوب بنصب الراء، والباقون برفعها، وأبو عمرو على أصله في الإسكان^(٣).

٢ - ﴿يُضَعَّفَ لَهُ﴾ [الفرقان: ٦٩]: قرأ ابن عامر وأبو بكر برفع الفاء، والباقون بجزمها^(٤).

٣ - ﴿وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ [النساء: ١١]: قرأ نافع ويعقوب برفع (واحدة) والباقون بنصبها^(٥).

٤ - ﴿وَلِيَّاسُ الْقَوِيُّ﴾ [الأعراف: ٢٦]: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر والكسائي بالنصب، والباقون بالرفع^(٦).

٥ - ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ﴾ [يس: ٥]: قرأ حفص وابن عامر وحمزة والكسائي بنصب اللام، والباقون برفعها^(٧).

٣ - قراءات تختلف في إعراب الحروف:

١ - ﴿إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ﴾ [الأنفال: ٥٠]: قرأ ابن عامر بتاءين في أول الفعل، والباقون بياء وتاء^(٨).

(١) التيسير ص ٩٥، والكنز ٤٥٢/٢، والنشر ٢٤٩/٢.

(٢) التيسير ص ١١٦، والكنز ٤٩٣/٢، والنشر ٢٧٦/٢.

(٣) التيسير ص ٨٩، والكنز ٤٤٠/٢، والنشر ٢٤٠/٢.

(٤) التيسير ص ١٦٤، والكنز ٥٨٢/٢، والنشر ٣٣٤/٢.

(٥) التيسير ص ٩٤، والكنز ٤٤٩/٢، والنشر ٢٤٧/٢.

(٦) التيسير ص ١٠٩، والكنز ٤٨٠/٢، والنشر ٢٦٨/٢.

(٧) التيسير ص ١٨٣، والكنز ٦١٨/٢، والنشر ٣٥٣/٢.

(٨) التيسير ص ١١٦، والكنز ٤٩٢/٢، والنشر ٢٧٧/٢.

٢ - ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [النحل: ٩٦]: قرأ ابن كثير وأبو جعفر وعاصم بالنون والباقون بالياء^(١).

٣ - ﴿وَيَعْلَمُ مَا نَفَعُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]: قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف (تفعلون) بالتاء، والباقون بالياء^(٢).

٤ - ﴿إِنَّمْ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩]: قرأ حمزة والكسائي بالشاء (كثير) والباقون بالياء^(٣).

٥ - ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] قرأ أبو جعفر بالتاء مضمومة على التأنيث، وفتح الواو، ورفع السماء، وقرأ الباقون بالنون مفتوحة، وكسر الواو، ونصب السماء^(٤).

ولا شك في أن هذه القراءات وما أشبهها كلها من القراءات الصحيحة التي قرأها الصحابة - رضوان الله عليهم - نقلها عنهم التابعون ومن جاء بعدهم، وخط المصحف يحتملها جميعاً، وأن الصحابة حين نسخوا المصاحف قصدوا وجهاً واحداً، لكن تعيين ذلك الوجه صار غير متاح بسبب الاختيار في القراءة، الذي أدّى إلى امتزاج قراءات الأمصار، قال مكّي: «فالمصحف كُتِبَ على حرف واحد وخطّه مُخْتَمِلٌ لأكثر من حرف، إذ لم يكن منقوطةً ولا مضبوطةً، فذلك الاحتمال الذي احتل الخطة هو من الستة الأحرف الباقية، إذ لا يخلو أن يكون ما اُخْتَلِفَ فيه من لفظ الحروف التي تخالف الخط: إما هي مما أراد عثمان، أو مما لم يرده إذ كتب المصحف، فلا بد أن يكون إنما أراد لفظاً واحداً أو حرفاً واحداً، لكننا لا نعلم ذلك بعينه، فجاز لنا أن نقرأ بما صحت روايته مما يحتمله ذلك الخط لتحرى مراد عثمان ﷺ ومن تبعه من الصحابة وغيرهم»^(٥).

(١) التيسير ص ١٣٨، والكنز ٥٣٣/٢، والنشر ٣٠٤/٢.

(٢) التيسير ص ١٩٥، والكنز ٦٤٠/٢، والنشر ٣٦٧/٢.

(٣) التيسير ص ٨٠، والكنز ٤٢٤/٢، والنشر ٢٢٧/٢.

(٤) الكنز ٥٦٥/٢، والنشر ٣٢٤/٢.

(٥) الإبانة ص ١٩.

ثانياً: أثر خصائص الرسم القديم:

أتاحت خصائص الرسم الذي كُتِبَ به المصحف، إلى جانب تجرده من النقط والشكل، استيعاب كثير من القراءات التي قرأ بها الصحابة - رضوان الله عليهم - ورواها عنهم التابعون ومن جاء بعدهم، وأهم تلك الخصائص في هذا المجال:

١ - حذف رمز الألف في كثير من الكلمات.

٢ - رسم الألف ياء.

٣ - رسم الحرف المشدّد برمز واحد.

٤ - رسم هاء التأنيث تاء.

وهذه أمثلة تُبَيِّنُ كيف ساعدت هذه الخصائص على دلالة الرسم على

أكثر من قراءة.

١ - حذف رمز الألف:

من خصائص الرسم القديم عدم إثبات رمز الألف في وسط الكلمة في كثير من الحالات، فإذا جاءت كلمة محذوفة الألف مثل: ﴿الْعَلَمِينَ﴾ فإن القارئ يثبتها في قراءته حتماً، ولا يصح حذفها من النطق؛ لأن ذلك يخل بصيغة الكلمة، ولكن كثيراً من الكلمات التي لم تثبت فيها الألف قُرِئَتْ بإثبات الألف وحذفها، مثل: ﴿مَلِكٍ﴾ و﴿مَلِكٍ﴾ فمن أثبت الألف في النطق وافق الرسم تقديراً؛ لأن من خصائص الرسم عدم إثبات الألف كثيراً، ومن قرأ ﴿مَلِكٍ﴾ وافق الرسم تحقيقاً؛ لأن الألف غير ثابتة في الرسم، وهناك أمثلة كثيرة جداً لحالات مماثلة أكتفي بإيراد عدد منها:

١ - ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾ [البقرة: ٩]: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالألف

(يُخَادِعُونَ) مع ضم الياء وفتح الخاء وكسر الدال، وقرأ الباقون بغير ألف وسكون الخاء وفتح الياء والدال^(١).

٢ - ﴿تَفَلَّدُوهُمْ﴾ [البقرة: ٨٥]: قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم والكسائي

(١) ينظر: التيسير ص ٧٢، والكنز ٤٠٤/٢، والنشر ٢٠٧/٢.

- ويعقوب بالألف وضم التاء، والباقون بغير ألف وسكون الفاء وفتح التاء^(١).
- ٣ - ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا﴾ [البقرة: ٥١]: قرأ أبو جعفر وأبو عمرو ويعقوب بغير ألف (وَعَدْنَا)، والباقون بالألف^(٢).
- ٤ - ﴿فَسِيَّٰةٌ﴾ [المائدة: ١٣]: قرأ حمزة والكسائي بتشديد الياء من غير ألف (فَسِيَّةٌ)، والباقون بتخفيفها وبالألف^(٣).
- ٥ - ﴿فَرُهْنٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم الراء والهاء من غير ألف (فَرُهْنٌ)، والباقون بكسر الراء وفتح الهاء وألف بعدها^(٤).
- ٢ - رسم الألف ياء:
- رُسِمَ الألف بصورة الياء في كلمات كثيرة، وقُرِئَ عدد منها بالياء وبالألف، من ذلك:
- ١ - ﴿يُوصَىٰ بِهَا﴾ [النساء: ١٢]: قرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر بفتح الصاد وألف بعدها، والباقون بكسر الصاد وياء بعدها^(٥).
- ٢ - ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ﴾ [الأنفال: ١١]: قرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء والشين وألف بعدها، وقرأ نافع وأبو جعفر (يُغَشِّكُم) بضم الياء وكسر الشين مخففاً، (النعاس) بالنصب، والباقون كذلك إلا أنهم فتحوا الغين وشددوا الشين^(٦).
- ٣ - ﴿تُوحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ [يوسف: ١٠٩]: قرأ حفص بالنون وكسر الحاء، والباقون بالياء وفتح الحاء^(٧).
- ٤ - ﴿تَجْرِي﴾ [فاطر: ٣٦]: قرأ أبو عمرو بالياء مضمومة وفتح الزاي،

(١) التيسير ص ٧٤، والكنز ٤١٢/٢، والنشر ٢١٨/٢.

(٢) التيسير ص ٧٣، والكنز ٤/٢ - ٨، والنشر ٢١٢/٢.

(٣) التيسير ص ٩٩، والكنز ٤٥٨/٢، والنشر ٢٥٤/٢.

(٤) التيسير ص ٨٥، والكنز ٤٣٣/٢، والنشر ٢٣٧/٢.

(٥) التيسير ص ٩٤، والكنز ٤٥٠/٢، والنشر ٢٤٨/٢.

(٦) التيسير ص ١١٦، والكنز ٤٩٢/٢، والنشر ٢٧٦/٢.

(٧) التيسير ص ١٣٠، والكنز ٥١٥/٢، والنشر ٢٩٦/٢.

وقرأ الباقون بالنون مفتوحة وكسر الزاي^(١).

٥ - ﴿قَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الزمر: ٤٢]: قرأ حمزة والكسائي وخلف (قَضِي) بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، والباقون بفتح القاف والضاد فتصير الياء ألفاً^(٢).

٣ - رسم الحرف المشدّد برمز واحد:

أتاح رسم الحرف المشدّد برمز واحد استيعاب قِراءَتِي التشديد والتخفيف، وساعد على ذلك عدم إثبات الألف في الرسم، ومن أمثلة ذلك:

١ - ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ [البقرة: ٣٦]: قرأ حمزة (فَأَزَالَهُمَا) بألف بعد الزاي وتخفيف اللام، وقرأ الباقون بحذف الألف وتشديد اللام^(٣).

٢ - ﴿بِمَا عَقَدْتُمُ﴾ [المائدة: ٨٩]: قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف (عَقَدْتُمُ) بتخفيف القاف، ورواه ابن ذكوان عن ابن عامر (عَاقَدْتُمُ) بالألف، وقرأ الباقون بتشديد القاف من غير ألف^(٤).

٣ - ﴿يَصْعَدُ﴾ [الأنعام: ١٢٥]: قرأ ابن كثير بإسكان الصاد وتخفيف العين من غير ألف، وروى أبو بكر عن عاصم (يَصَاعِدُ) بتشديد الصاد وألف بعدها، والباقون بتشديد الصاد والعين من غير ألف^(٥).

٤ - ﴿وَلَا تُصْعِرْ﴾ [لقمان: ١٨]: قرأ ابن كثير وأبو جعفر وعاصم وابن عامر ويعقوب بتشديد العين من غير ألف، والباقون بالألف وتخفيف العين^(٦).

٥ - ﴿مِن نَّفَوْتٍ﴾ [الملك: ٣]: قرأ حمزة والكسائي (تَفَوَّت) بضم الواو مشدّدة من غير ألف، وقرأ الباقون بالألف وتخفيف الواو^(٧).

(١) التيسير ص ١٨٢، والكتز ٢/٦١٦، والنشر ٢/٣٥٢.

(٢) التيسير ص ١٩٠، والكتز ٢/٦٣٠، والنشر ٢/٣٦٣.

(٣) التيسير ص ٧٣، والكتز ٢/٤٠٧، والنشر ٢/٢١١.

(٤) التيسير ص ١٠٠، والكتز ٢/٤٦١، والنشر ٢/٢٥٥.

(٥) التيسير ص ١٠٦ - ١٠٧، والكتز ٢/٤٧٤، والنشر ٢/٢٦٢.

(٦) التيسير ص ١٧٦، والكتز ٢/٦٠٦، والنشر ٢/٣٤٦.

(٧) التيسير ص ١٢١، والكتز ٢/٦٨٨، والنشر ٢/٣٨٩.

٤ - رسم هاء التأنيث تاء:

تقدّم في الفصل الثالث الحديث عن رسم هاء التأنيث في الأسماء تاء مبسوطه في عدد من الكلمات، واختلف القراء في الوقف عليها، فمنهم من يقف بالهاء بناء على أن الأصل في الوقف عليها بالهاء، ومنهم من يقف بالتاء متابعة لرسم المصحف^(١)، وأتاح رسمها تاء في عدد من الكلمات استيعاب ما قرأه بعض القراء من تلك الكلمات بالجمع، وعضّد ذلك عدم إثبات الألف في كثير من الأحيان، ومن أمثلة ذلك^(٢):

١ - ﴿كَلِمَاتٍ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١١٥]: قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب على التوحيد، والباقون على الجمع^(٣).

٢ - ﴿آيَاتٍ لِّلسَّالِينَ﴾ [يوسف: ٧]: قرأ ابن كثير على التوحيد، والباقون على الجمع^(٤).

٣ - ﴿فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ [يوسف: ١٠ و١٥]: قرأ نافع وأبو جعفر في الموضوعين على الجمع، والباقون على التوحيد^(٥).

٤ - ﴿الْعُرْفَتِ﴾ [سبأ: ٣٧]: قرأ حمزة بغير ألف على التوحيد، والباقون بالألف على الجمع^(٦).

٥ - ﴿عَلَىٰ يَنْبَتِ﴾ [فاطر: ٤٠]: قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وأبو بكر عن عاصم والكسائي ويعقوب بالألف على الجمع، والباقون بغير ألف على التوحيد^(٧).

(١) ينظر: الداني: التيسير ص ٦٠، وابن الجزري: النشر ١٣٠/٢.

(٢) ينظر: الداني: المقنع ص ٨١، وابن الجزري: النشر ١٣٠/٢.

(٣) ينظر: التيسير ص ١٠٦، والكنز ٤٧٣/٢، والنشر ٢٦٢/٢.

(٤) التيسير ص ١٢٧، والكنز ٥١٢/٢، والنشر ٢٩٣/٢.

(٥) التيسير ص ١٢٧، والكنز ٥١٢/٢، والنشر ٢٩٣/٢.

(٦) التيسير ص ١٨١، والكنز ٦١٣/٢، والنشر ٣٥١/٢.

(٧) التيسير ص ١٨٢، والكنز ٦١٦/٢، والنشر ٣٥٢/٢.

ثالثاً: أثر اختلاف المصاحف:

لم يكن هجاء الكلمات في المصاحف العثمانية مَوْحَدًا، فقد رُسِمَ عدد من الكلمات في بعضها بصورة، ورُسِمَ في بعضها بصورة أخرى، ويمكن تقسيم الاختلاف بين المصاحف في هجاء الكلمات على نوعين: نوع لا يترتب عليه اختلاف في النطق، ونوع يترتب عليه اختلاف في النطق، أي أنه يترتب عليه تعدد القراءات، وأُلْفِتْ كُتِبَ مفردة في بيان اختلاف مصاحف الأمصار، على نحو ما تقدّم في الفصل الأول، وعَقَدَ عدد من المؤلفين مباحث في كتبهم لبيان اختلاف المصاحف، لكلا النوعين، والذي يهمننا هنا هو الحديث عن النوع الثاني والوقوف على ما ترتب عليه من استيعاب عدد من القراءات الصحيحة المروية عن قراء الصحابة - رضوان الله عليهم - .

ولعل من المفيد إعطاء أمثلة لاختلافات النوع الأول الذي لا يترتب عليه اختلاف النطق، ليقف الدارس عليها ويميزها عن غيرها، فمن ذلك^(١):

١ - في المائة ﴿أَبْتَوْا اللَّهَ﴾ [١٨] في بعض المصاحف بالواو والألف، وفي بعضها (أبناء الله) بغير واو.

٢ - في الأعراف ﴿كَلِمًا دَخَلَتْ أُمَّةً﴾ [٣٨] في بعض المصاحف (كُلِّ مَا) مقطوعة، وفي بعضها (كلما) موصولة.

٣ - في التوبة ﴿وَلَاؤَضَعُوا﴾ [٤٧] في بعض المصاحف بغير ألف ﴿وَلَاؤَضَعُوا﴾ وفي بعضها (ولأؤضعوا) بألف.

٤ - في الأنبياء ﴿أَنْ لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ [٨٧] في بعض المصاحف (أَنْ لا) بالنون، وفي بعضها (ألاً) بغير نون.

٥ - في الشعراء ﴿فِي مَا هَاهُنَا﴾ [١٤٦] في بعض المصاحف موصولة ﴿فِي مَا﴾، وفي بعضها (في ما) مقطوعة.

ولا تَعَلَّقْ للقراءات بهذا النوع من الاختلاف بين المصاحف، عكس

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ٩٣ - ٩٦.

النوع الثاني الذي ارتبط به اختلاف القراءات، ويمكن أن نوجز الحديث عن هذا النوع من خلال الفقرات الآتية:

- ١ - أمثلة للاختلاف وبيان القراءات المتعلقة بها.
 - ٢ - تعليل وجوه هذه الاختلافات في المصاحف.
 - ٣ - علاقة قراءة أهل كل مصر بمصحفهم.
- وإليك تفصيل هذه الفقرات:

١ - أمثلة للاختلاف وبيان القراءات المتعلقة بها:

اعتنى المؤلفون في رسم المصحف ببيان اختلاف المصاحف العثمانية في هجاء عدد من الكلمات، مما يترتب عليه اختلاف القراءة^(١) وهذه خمسة أمثلة منها:

١ - في مصاحف أهل المدينة والشام (وَأَوْصَى) في البقرة [١٣٢]، بألف بين الواوين، وفي سائر المصاحف ﴿وَوَصَّى﴾ بغير ألف.

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (وَأَوْصَى) بالألف مخففاً، والباقون بغير ألف مشدداً^(٢).

٢ - في مصاحف أهل المدينة والشام (سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ) في آل عمران [١٣٣]، بغير واو قبل السين، وفي سائرهما ﴿وَسَارِعُوا﴾ بالواو.

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (سارعوا) بغير واو، والباقون بالواو^(٣).

٣ - في مصاحف أهل المدينة ومكة والشام ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في المائدة [٥٣] بغير واو قبل (يَقُولُ)، وفي مصاحف الكوفة والبصرة ﴿وَيَقُولُ﴾ بالواو.

(١) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٢٨ - ٣٣٢، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ٢٥٣/١ - ٢٨٢، والداني: المقنع ص ١٠٢ - ١١٢، والمهدوي: هجاء مصاحف الأمصار ص ٩٧ - ١٠٥.

(٢) ينظر: الداني: التيسير ص ٧٧، والواسطي: الكنز ٤١٧/٢، وابن الجزري: النشر ٢/ ٢٢٢.

(٣) التيسير ص ٩٠، والكنز ٤٤٢/٢، والنشر ٢/٢٤٢.

قرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وابن عامر (يَقُولُ الَّذِينَ) بغير واو قبل الياء، والباقون بالواو^(١).

٤ - في مصاحف أهل المدينة والشام ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ في المائة [٥٤] بدالين، وفي سائر المصاحف ﴿يَرْتَدُّ﴾ بدال واحدة.

قرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر (مَنْ يَرْتَدُّ) بدالين الثانية ساكنة، والباقون بدال واحدة مفتوحة مشددة^(٢).

٥ - في مصاحف أهل مكة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ في التوبة [١٠٠] بزيادة (من)، وفي سائر المصاحف بغير (من).

قرأ ابن كثير (من تَحْتِهَا) بزيادة (من) وخفض التاء، والباقون بغير (من) وفتح التاء^(٣).

٢ - تعليل وجود هذه الاختلافات في المصاحف:

بيّن علماء القراءات والرسم سبب وجود هذه الحروف المختلفة في هجائها المتباينة في نطقها في المصاحف، فقال أبو عبيد: إن هذه الحروف التي اختلفت في مصاحف الأمصار «مُتَّبَعَةٌ بَيْنَ اللُّوْحِينَ، وهي كلها مَسْخُوحَةٌ من الإمام الذي كتبه عثمان رضي الله عنه ثم بَعَثَ إلى كل أفق مما نَسَخَ بمصحف، ومع هذا إنها لم تختلف في كلمة تامة، ولا في شطرها، إنما كان اختلافها في الحرف الواحد من حروف المعجم؛ كالواو والفاء والألف وما أشبه ذلك... وهي كُلُّهَا عندنا كلام الله، والصلاةُ بها تامةٌ إذ كانت هذه حالها»^(٤).

وقال المهدي: «وإنما أقرَّ عثمان ومن اجتمع على رأيه من سلف الأمة هذا الاختلاف في النسخ التي اُكْتُبَتْ وُبِعِثَتْ إلى الأمصار، لعلمهم أن ذلك من جملة ما أنزل عليه القرآن فَأَقْرَأَ لِيَقْرَأَهُ كُلُّ قَوْمٍ عَلَى رِوَايَتِهِمْ»^(٥).

(١) التيسير ص ٩٩، والكنز ٢/٤٥٩، والنشر ٢/٢٥٤.

(٢) التيسير ص ٩٩، والكنز ٢/٤٦٠، والنشر ٢/٢٥٥.

(٣) التيسير ص ١١٩، والكنز ٢/٤٩٨، والنشر ٢/٢٨٠.

(٤) فضائل القرآن ص ٣٣٣.

(٥) هجاء مصاحف الأمصار ١٠٢ - ١٠٣.

وقال الإمام أبو عمرو الداني: «فإن سأل سائل عن السبب الموجب لاختلاف مرسوم هذه الحروف الزوائد في المصاحف؟ قلت: السبب في ذلك عندنا أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لما جَمَعَ القرآن في المصاحف ونَسَخَهَا على صورة واحدة وأَثَرَ في رسمها لغة قريش، دون غيرها مما لا يَصِحُّ ولا يَثْبُتُ، نظراً للأمة واحتياطاً على أهل الملة، وثبَّتَ عنده أن هذه الحروف من عند الله ﷻ كذلك مُنْزَلَةٌ، ومن رسول الله ﷺ مسموعة، وعَلِمَ أن جمعها في مصحف واحد على تلك الحال غير ممكن إلا بإعادة الكلمة مرتين، وفي رَسْمِ ذلك كذلك من التخليط والتغيير للمرسوم ما لا خفاء به، فَفَرَّقَهَا في المصاحف لذلك، فجاءت مثبتة في بعضها ومحذوفة في بعضها، لكي تحفظها الأمة كما نزلت من عند الله ﷻ وعلى ما سُمِعَتْ من رسول الله ﷺ، فهذا سبب اختلاف مرسومها في مصاحف أهل الأمصار»^(١).

وقال الأندرابي: «هذه الحروفُ الْمُخْتَلَفُ فيها كُلُّهَا كُتِبَتْ على الصحة والإتقان والإيثار لحفظ قراءتين قرأ بهما كليهما رسول الله ﷺ في وقتين أو أوقات مختلفة كما قرأ في غيرها من الحروف المختلفة فيها، ولم يكن ذلك الاختلاف عن سهو ناقلٍ، ولا لإسقاطِ ناسخِ غافلٍ، فكأنهم وجدوا كلمة عند جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ على هجاءٍ ومثالٍ، ووجدوا تلك الكلمة عند آخرين على هجاءٍ ومثالٍ، وكان ذلك كله من إملاء رسول الله ﷺ، داخلاً في الأحرف السبعة التي رُخِّصَ له القراءة بها، فَكَتَبُوا في بعض المصاحف على قول جماعة وفي بعضها على قول جماعة آخرين، قصداً وإيثاراً لحفظهما جميعاً على المسلمين...»^(٢).

٣ - علاقة أهل كل مصر بمصحفهم:

من المقرر لدى علماء القراءة والرسم أن «مرسوم المصاحف لم يكن وُضِعَ على قراءة أهل البلد الذي سُيِّرَ إليه كل مصحف، حتى يكون تابِعاً لهم،

(١) المقنع ص ١١٥.

(٢) الإيضاح ص ١٢٠.

وإنما مَرَجُعُ ما أُضِيفَ إلى مصحف كل قطر العنينة أيضاً، فربما وافق قراءتهم مُصَحَّفُهُمْ، وهو الغالب، وربما اختلفا^(١). وقال المهدي: «وربما قرأ بعض القراء هذه الحروف على خلاف مصحفه، على ما رواه عَمَّنْ أَخَذَ عَنْهُ»^(٢).

وأوضح أبو عمرو الداني هذه القضية بقوله: «والقطعُ عندنا على كيفية ذلك في مصاحف أهل الأمصار على قراءة أئمتهم غير جائزة إلا برواية صحيحة عن مصاحفهم بذلك، إذ قراءتهم في كثير من ذلك قد تكون على غير مرسوم مصحفهم... وإنما بَيَّنَّتْ هذا الفصل وَنَبَّهَتْ عليه لأنني رأيت بعض من أشار إلى جَمْعِ شيء من هجاء المصاحف من منتحلي القراءة من أهل عصرنا قد قَصَدَ هذا المعنى وجعله أصلاً، فأضاف بذلك ما قرأ به كل واحد من الأئمة من الزيادة والنقصان في الحروف المتقدمة وغيرها إلى مصاحف أهل بلده، وذلك من الخطأ الذي يقود إليه إهمال الرواية وإفراط الغباوة وقلة التحصيل، إذ غير جائز القطع على كيفية ذلك إلا بخبر منقول عن الأئمة السالفين، ورواية صحيحة عن العلماء المختصين بعلم ذلك، المؤتمنين على نقله وإيراده لِمَا بَيَّنَّاهُ من الدلالة، وبالله التوفيق»^(٣).

ومن أمثلة اختلاف قراءة القارئ عما في مصحف بلده ما ورد في مصحف أهل الكوفة من رسم قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ في يس [٣٥] بغير هاء بعد التاء، وفي سائر المصاحف بالهاء^(٤)، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم (وَمَا عَمِلَتْ) وقرأ حفص عن عاصم ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ﴾ بالهاء مثل باقي القراء^(٥)، ويكون عاصم من رواية أبي بكر موافقاً لمصحف بلده، ومن رواية حفص غير موافق.

وأخذت اللجان التي تشرف على طباعة المصاحف في عصرنا بما يوافق

(١) العقيلي: المختصر ص ١١٦.

(٢) هجاء مصاحف الأمصار ص ١٠٢.

(٣) المقنع ص ١١٣ - ١١٤.

(٤) ينظر: الداني: المقنع ص ١٠٦.

(٥) ينظر: الداني: التيسير ص ١٨٤، وابن الجزري: النشر ٣٥٣/٢.

قراءة القارئ الذي يُضَبِّط المصحف بقراءته، وجاء في خاتمة المصحف الأميري المطبوع في القاهرة سنة (١٩٢٣م - ١٣٤٢هـ): «أما الأحرف اليسيرة التي اختلفت فيها أهجية تلك المصاحف فاتبع فيها الهجاء الغالب مع مراعاة قراءة القارئ الذي يُكْتَبُ المصحف لبيان قراءته».

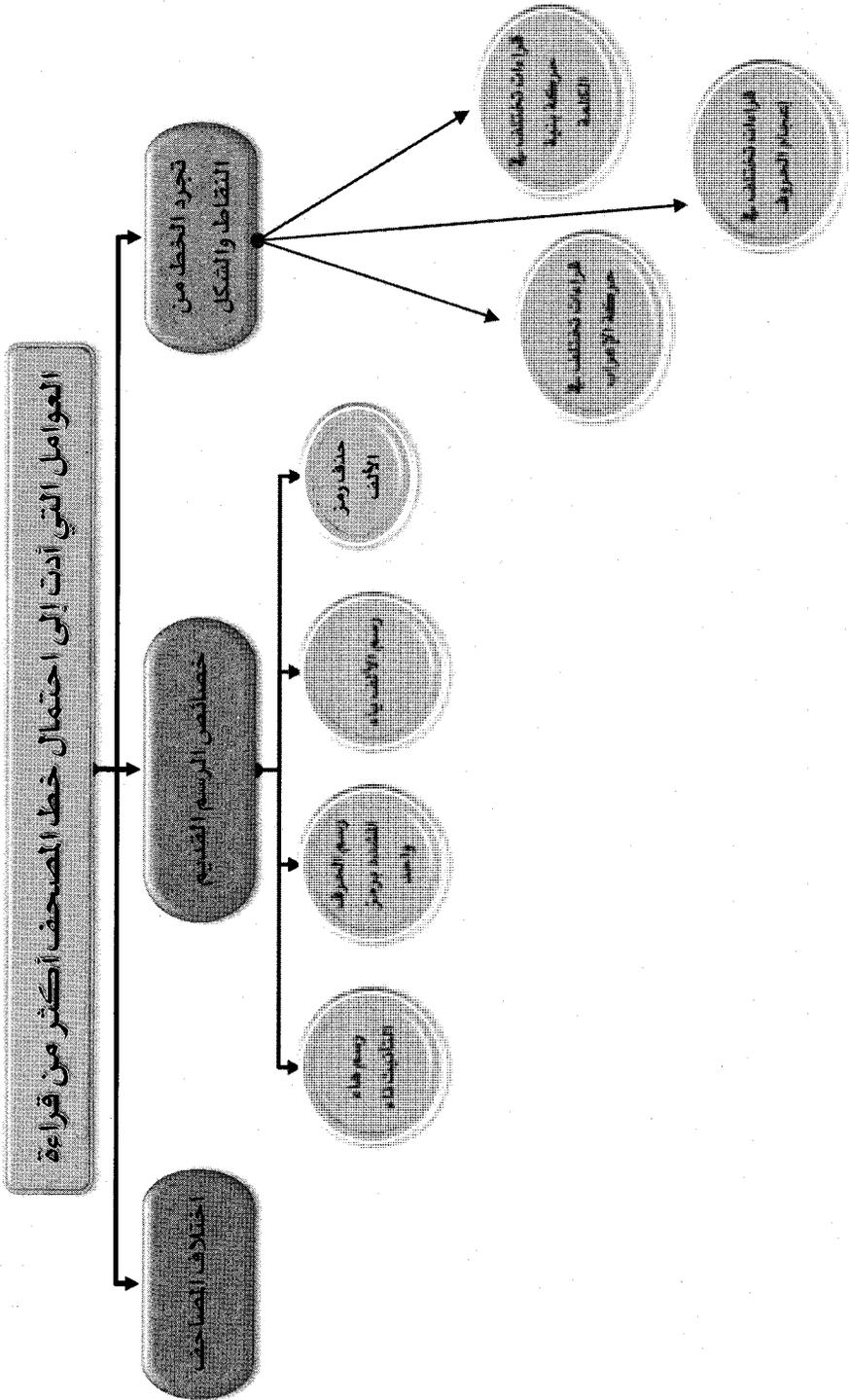
ولعل ذلك هو الذي حمل اللجنة على رسم ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ في يس [٣٥] بالهاء، وهو في مصاحف الكوفة بدونها، وكذلك رسم ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ في الزخرف [٧١] بالهاء، عكس ما عليه مصاحف أهل الكوفة أيضاً^(١)، حتى يوافق الرسم رواية حفص عن عاصم في هذه الحروف، وكذلك أُثْبِتَتْ في مصحف المدينة النبوية.

ويبدو أن ابن الجزري قصد ذلك في قوله: «إذا اختلفت المصاحف في رسم حرف فينبغي أن تتبع في تلك المصاحف مذاهب أئمة أمصار تلك المصاحف، فينبغي إذا كان مكتوباً مثلاً في مصاحف المدينة أن يجري ذلك في قراءة نافع وأبي جعفر، وإذا كان في المصحف المكي فقراءة ابن كثير، والمصحف الشامي فقراءة ابن عامر، والبصري فقراءة أبي عمرو ويعقوب، والكوفي فقراءة الكوفيين، هذا هو الأليق بمذاهبهم، والأصوب بأصولهم، والله أعلم»^(٢).

وفي خاتمة هذا المبحث أذكرُ الدارس بأن ما حصل من اختلاف في هجاء عدد من الكلمات في المصاحف سواء ترتب على ذلك تغيير في النطق أم لم يترتب لا يؤثر في الحقيقة القائلة إن عثمان رضي الله عنه كَتَبَ المصاحف على حرف واحد وقراءة واحدة، وأنه وَحَدَّ مصاحف المسلمين على الصورة التي تلقاها كتبه الوحي عن النبي صلى الله عليه وسلم فأثبتوها في الرقاع ونسخوها في الصحف، فهذه الاختلافات أشبه ما تكون بتنوع الأداء، شأنها شأن القراءات القرآنية الأخرى، لكن هذه الاختلافات أُثْبِتَتْ في المصاحف، وتلك القراءات تُبَيَّنَتْ في الرواية، ولم تُرَسَمْ في المصاحف.

(١) ينظر: الداني: المقنع ص ١٠٦ و ١٠٧.

(٢) النشر ٢/١٥٨.



خلاصة

- ١ كانت المصاحف العثمانية مجردة من العلامات، وقد أتاح ذلك لقراء الأمصار أن يقرؤوا بالقراءات التي يحتملها خط المصاحف.
- ٢ قال علماء القراءة: إن من رسوم المصاحف ما تجب مخالفته، لوجود حروف زائدة أو محذوفة أو مبدلة فيها.
- ٣ موافقة القراءة لرسم المصحف أحد شروط صحتها، لكن تلك الموافقة قد تكون تحقيقاً كقراءة (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) أو تقديراً كقراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.
- ٤ هناك عدة عوامل أتاح أن يَحْتَمَلَ حَظُّ المصحف أكثر من قراءة، منها: تجرد الخط من الحركات ونقاط الإعجام، فاحتمل الرسم القراءات التي تختلف في الحركة أو إعجام الحروف.
- ٥ أتاح خصائص الرسم القديم، مثل حذف الألف ورسم الألف ياء ورسم المشدد بحرف واحد، استيعاب كثير من القراءات الصحيحة.
- ٦ وقع اختلاف في رسم المصاحف، ومنه ما لا يترتب عليه اختلاف في النطق، ومنه ما احتمل أكثر من قراءة، مثل: ﴿وَصَّى﴾ (وأوصى)، و﴿يَرْتَدُّ﴾ و﴿يَرْتَدُّ﴾.
- ٧ علَّل علماء القراءة والرسم وجود هذا النوع من الاختلاف في المصاحف بأن هذه الحروف قد صحت القراءة بها عن النبي ﷺ، فأُنْبِتَ كُتَابُ المصاحف بعضها في مصحف والبعض الآخر في مصحف آخر.
- ٨ لم تكن المصاحف العثمانية التي أرسلت إلى الأمصار تتطابق تماماً مع قراءة أهل تلك الأمصار، لكن رسم المصاحف في العصور المتأخرة راعى موافقة المصحف لقراءة القارئ الذي يضبط المصحف بقراءته.

أسئلة تقويمية

- ١ س ما سبب تَجَرُّدِ المصاحف العثمانية من النقط والشكل؟
- ٢ س وَضَّحْ أثر تَجَرُّدِ رسم المصاحف العثمانية في قراءة القرآن؟
- ٣ س هل تجب مطابقة القراءة كُلِّ ما رُسِمَ في المصحف من رسوم؟
- ٤ س قَسِّمَ علماء القراءة موافقة القراءة للرسم على قسمين، اذكرهما ومَثِّلْ لهما.
- ٥ س هناك عوامل أدت إلى أن يحدث خطأ المصحف أكثر من قراءة، اذكرها.
- ٦ س وَضَّحْ أثر تَجَرُّدِ خط المصحف من النقط والشكل على تعدد القراءات.
- ٧ س بَيِّنْ أثر خصائص الرسم القديم على تعدد القراءات التي يحتملها خط المصحف.
- ٨ س بَيِّنْ أثر اختلاف المصاحف العثمانية في رسم عدد من الكلمات على تعدد القراءات التي يحتملها الخط.
- ٩ س ما علة اختلاف مصاحف الأمصار في رسم عدد من الكلمات؟
- ١٠ س ما علاقة قراءات قراء الأمصار بمصاحف بلدانهم؟



المبحث الثالث

تَجَرُّدُ الرَّسْمِ لَيْسَ سَبَبًا لِنَشْأَةِ الْقِرَاءَاتِ

تَلَقَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَحَيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٦﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٧﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء]، وَحَفِظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، وَتَلَاهُ عَلَى أَصْحَابِهِ وَحَفِظُوهُ عَنْهُ، فَكَانُوا يَتْلُونَهُ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ، وَأَمَرَ ﷺ كَتَبَةَ الْوَحْيِ أَنْ يَكْتُبُوهُ فِي الرِّقَاعِ، لَكِنِ الْكِتَابَةُ كَانَتْ دَائِمًا تَالِيَةً لِلْحَفِظِ، وَلَمْ تَكُنْ فِي زَمَنِ ﷺ مَصَاحِفَ يَتَعَلَّمُ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ الْقُرْآنَ أَوْ يَتْلُونَهُ مِنْهَا، وَإِنَّمَا كَانَ الْحَفِظُ وَالتَّلْقِي الشَّفَهِي هُوَ الْأَسَاسُ فِي التَّعْلِيمِ وَالْقِرَاءَةِ.

وَتَدُلُّ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَلَى وُجُودِ اخْتِلَافٍ فِي قِرَاءَةِ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ اخْتِلَافٌ مَصْدَرُهُ التَّلْقِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا جَاءَ فِي رَوَايَاتٍ حَدِيثِ الْأَحْرَفِ السَّبْعَةِ، وَتَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَكُنِ الْقُرْآنُ جُمِيعَ فِي شَيْءٍ، وَإِنَّمَا كَانَ مَفْرُقًا فِي الرِّقَاعِ، كَمَا تَقَدَّمَ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ، وَجُمِعَتِ الرِّقَاعُ فِي الصَّحَفِ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَبَعْدَ اتِّسَاعِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَخُرُوجِ عَدَدٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْقِرَاءَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَى الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ الْقُرْآنَ، اخْتَلَفَتْ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْأَمْصَارِ عَلَى نَحْوِ اخْتِلَافِ قِرَاءَةِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ عَلَّمُوهُمْ الْقُرْآنَ، وَحَمَلَ اتِّسَاعُ الْاِخْتِلَافِ فِي الْقِرَاءَةِ الْخَلِيفَةَ الثَّلَاثَ عَثْمَانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَأْمُرَ بِنَسْخِ الْمَصَاحِفِ مِنَ الصَّحَفِ وَتَوْزِيعِهَا عَلَى الْأَمْصَارِ، لِيَضَعَ حَدًّا لِلاِخْتِلَافِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَلِتَتَّوَحَّدَ الْمَصَاحِفُ الَّتِي بِأَيْدِي الْمُسْلِمِينَ، فَقَرَأَ أَهْلُ الْأَمْصَارِ بِمَا يُوَافِقُ خَطَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ الْمُرْسَلَةِ إِلَيْهِمْ، وَتَرَكُوا الْقِرَاءَاتِ الَّتِي تَخَالَفُ خَطَ الْمَصْحَفِ، عَلَى نَحْوِ مَا بَيْنَا فِي الصَّفَحَاتِ السَّابِقَةِ.

ولم يكن خط المصحف المجرد من النقط والحركات سبباً لنشأة القراءات أو وجودها كما حاول عدد من المستشرقين أن يُصوِّروا ذلك^(١)، وَقَلَّدَهُمْ في ذلك عدد من الباحثين من غيرهم^(٢)، ويبدو أن هؤلاء قاسوا قراءة القرآن الكريم على قراءة النقوش القديمة التي يختلف الدارسون في قراءتها على حسب ما يهديهم إليه تفكيرهم في قراءة رموزها، وهناك فرق جوهري بين الأمرين، فقارئ تلك النقوش انقطعت صلته بكاتبها فلم يَدِرْ ما أراد، في حين أن قارئ القرآن تتصل قراءته عن طريق التلقي الشفهي للنص القرآني، جيلاً عن جيل، حتى تنتهي سلسلة التلقي إلى القراء من الصحابة - رضوان الله عليهم - الذين تلقوا القرآن عن رسول الله ﷺ وقاموا بكتابته في المصاحف.

ويمكن للدارس تقديم عدد من الأدلة التاريخية التي تنفي أن تكون القراءات ناتجة عن حيرة القراء في نطق الكلمات المرسومة في المصاحف بالخط المجرد، منها:

١ - كانت القراءات القرآنية موجودة ومعروفة في زمن النبي ﷺ قبل أن تُكْتَبَ المصاحف، وكانت قراءات الصحابة متعددة بفضل رخصة الأحرف السبعة، فلم يكن خط المصحف سبباً في وجود القراءات القرآنية أو اختلافها، ولكن الخط كان سبباً في حفظ الاختلاف الموجود أصلاً؛ لأن القراءة سُنَّةٌ متبعة^(٣)، وكان الخط حين عُدَّتْ موافقته شرطاً في قبول القراءة مقياساً يمنع ما لا يدخل في نطاقه مما صَحَّحَ من الروايات، فالرسم لا يُنشئُ القراءة ولكنه يَحْكُمُ عليها^(٤).

٢ - لو كان الرسم هو السبب في نشأة القراءات لَمَا وجدنا قراءات

(١) ينظر: جولد تسيهر: مذاهب التفسير الإسلامي ص ٨، وبروكلمان: تاريخ الأدب العربي ١/١٤٠، ونولدكه: تاريخ القرآن ص ٥٥٩.

(٢) ينظر: صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٤٢.

(٣) ينظر: عبده الراجحي: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ٧١.

(٤) ينظر: عبد الصبور شاهين: القراءات القرآنية ص ٢١٠، وأحمد مختار عمر: لغة القرآن ص ٤٧.

مخالفة للرسم أو خارجه عليه، وهي كثيرة، ومثال القراءات المخالفة للخط قراءة من قرأ في الفاتحة (مالك) بالألف، و(السرائط) بالسین، و(عليهمو) بإلحاق الميم الواو، فمثل هذه القراءات لا يمكن أن تكون ناتجة عن الخط قطعاً، وهناك أمثلة كثيرة على ذلك يطول ذكرها.

٣ - لو كان الرسم هو السبب في نشأة القراءات لوجب قبول كل قراءة احتملها خط المصحف، فما دامت القراءات - حسب زعمهم - اجتهاد القراء في قراءة المرسوم فإنه لا فضل للواحدة منها على الأخرى، وفي قصة حمّاد الراوية (ت ١٥٥هـ)^(١) ما يدل على بطلان نظرية المستشرقين في أصل القراءات، فقد كان حمّاد مشغولاً برواية الشعر عن تعلم قراءة القرآن، فلما أراد أن يحفظ القرآن قرأه في المصحف، فكان يُصَحِّفُ نَيْفًا وثلاثين حرفاً^(٢)، ذكرها الرواة وأثبتها المؤلفون في التصحيف والتحريف، ولو كان الأمر كما ذهب إليه هؤلاء المستشرقون لكان حمّاد أحد القراء للقرآن.

٤ - كان منهج تعليم القرآن الكريم منذ زمن النبي ﷺ وأصحابه يعتمد على التلقي الشفهي، والحفظ في الصدور، قال ابن الجزري: إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على حفظ المصاحف والكتب^(٣)، ويُلَخِّصُ ذلك المنهج قولهم: «إِنَّ القِراءَةَ سُنَّةٌ يأخذها الآخِرُ عن الأول»^(٤)، قال الداني: «الأخبار الواردة عن السلف والأئمة والعلماء بهذا المعنى كثيرة»^(٥).

إنَّ القرآن العظيم لم يكن يوم أنزَلَ أو في أي يوم آخر نقشاً عثر عليه الآثاريون في خرائب أقوام بادوا، واقتضى حَلُّ رموزه وظلُّسماتِهِ عَرْضَهُ على

(١) الزركلي: الأعلام ٢/ ٢٧١.

(٢) ينظر: العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف ص ١٢، والطار: التمهيد ص ٢٥٢ - ٢٥٤.

(٣) النشر ١/ ٦.

(٤) ينظر: ابن مجاهد: كتاب السبعة ص ٤٩ - ٥٥.

(٥) جامع البيان ص ٤٢.

المستشرقين ليختلفوا في قراءته وتفسيره، بل هو آياتٌ بيّناّت حملته صدور الصحابة من الحفاظ، وعَلَّمُوهُ مَنْ جاء بعدهم من التابعين، في سلسلة مترابطة الحلقات، تؤكد تواتر القرآن الكريم تلاوة ورسمًا، فالأمة الإسلامية حافظت على رسم المصاحف كما خطها الصحابة، كما حافظت على قراءاته التي تلقنتها عن الصحابة بالإسناد المتصل إلى زماننا هذا.

خلاصة

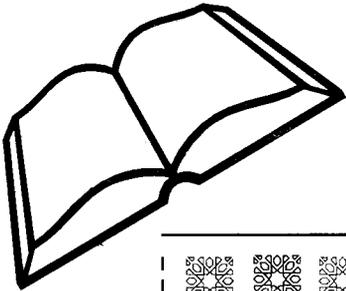
- ١ تلقى رسول الله ﷺ القرآن وحياً، وحفظه، وتلقاه عنه أصحابه مشافهة.
- ٢ كانت كتابة القرآن تالية للمحفظ، وكان الاعتماد في نقل القرآن على الحفظ في الصدور، وليس على الرسم في السطور.
- ٣ كان في قراءة الصحابة للقرآن اختلاف نتيجة رخصة الأحرف السبعة، وكان ذلك الاختلاف سابقاً لوجود المصاحف.
- ٤ كان تفاقم اختلاف القراء في خلافة عثمان رضي الله عنه سبباً لأمره بنسخ المصاحف.
- ٥ قرأ قراء الأمصار بعد إرسال المصاحف العثمانية إليهم بالقراءات التي يحتملها خط تلك المصاحف، وتركوا ما خالفها.
- ٦ ذهب عدد من المستشرقين إلى أن سبب نشأة القراءات تجرد المصاحف من النقط والشكل.
- ٧ يبدو أن المستشرقين قاسوا الاختلاف في قراءة القرآن على اختلافهم في قراءة النقوش القديمة، وبينهما فرق كبير.
- ٨ والصواب أن الخط ليس سبباً لنشأة القراءات، وإنما هي تستند إلى الرواية عن الصحابة الذين تلقوا القرآن عن النبي ﷺ.
- ٩ كان شعار القراء في القرون الأولى: «القراءة سُنَّةٌ يأخذها الآخر عن الأول»، فليس هناك مجال للاجتهاد في القراءة.
- ١٠ قرأ المسلمون القرآن أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، ولم يحتاجوا إلى المستشرقين ليعلموهم قراءة القرآن.

أسئلة تقويمية

- ١ س كيف تَلَقَّى رسول الله ﷺ القرآن، وكيف عَلَّمَهُ لأصحابه؟
- ٢ س ما هدف كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ؟
- ٣ س هل كان اختلاف الصحابة في القراءة سابقاً لنسخ المصاحف العثمانية أو لاحقاً لها؟
- ٤ س كيف قرأ أهل الأمصار في المصاحف التي أرسلها عثمان إليهم؟
- ٥ س وَضَّحْ رأي المستشرقين في أصل القراءات القرآنية؟
- ٦ س كيف يمكن تفسير رأي المستشرقين في القراءات؟
- ٧ س هل رأي المستشرقين في نشأة القراءات صحيح؟
- ٨ س ما شعار القراء في القرون الأولى؟



الفصل السادس
علم الضبط
مع دراسة تحليلية
لنماذج مصورة من المصاحف

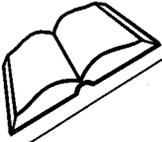


تَحَدَّثنا في الفصول السابقة عن المصحف في صورته الأولى، وعن رسمه وما امتاز به من خصائص، وعرضنا جهود العلماء في تحليل ظواهره، وبيِّنا علاقة القراءات به، ولعل القارئ يتطلع لمعرفة ما لَحِقَّ المصحف من تطور في شكل الخط، وعلامات الضبط، وذكُرِ أسماء السور والأجزاء وعدد الآي، في رحلته الطويلة من لدن عصر الصحابة إلى زماننا، وهو موضوع واسع، وتحتاج الإحاطة به إلى النظر في عدد كبير من المصادر والمصاحف، وقد لا يتسع المقام لاستقصاء تفاصيله، ولكنني سوف أعرض خلاصة له من خلال مبحثين:

الأول: يتضمن تعريفاً بعلم الضبط.

والثاني: يتضمن دراسة تحليلية لنماذج مصورة من عدد من المصاحف.





المبحث الأول

تعريف بعلم الضبط

يشمل الحديث عن خط المصحف موضوعين^(١):

الأول: ما يرجع إلى بيان الحذف والزيادة والبدل والهمز والفصل والوصل، وهو المسمى بعلم الرسم، الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة.

الثاني: ما يرجع إلى علامات الحركة والسكون والشدة والمدة ونحوها، وهو المسمى بعلم الضبط، وهو موضوع هذا الفصل.

وكانت نشأة علم الضبط مرتبطة باستحداث العلامات في المصحف على يد علماء التابعين ومن جاء بعدهم، وكان هذا العلم يُعرَفُ في القرون الهجرية الأولى بعلم النَقْطِ والشَّكْلِ، ثم غلب استعمال مصطلح الضبط في العصور المتأخرة عليه.

والنَّقْطُ بفتح النون وسكون القاف مصدر الفعل نَقَطَ الحرفَ يَنْقُطُهُ نَقْطاً، والاسم النُقْطَةُ وَجَمْعُهَا النُّقُطُ والنَّقَاطُ، ويقال أيضاً نَقَطَ بالتشديد تنقيطاً^(٢)، واستُعمِلَ مصطلح النَّقْطِ في التراث اللغوي العربي بمعنيين^(٣):

الأول: نَقَطَ الإعجام لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة، يقال: أَعْجَمْتُ الحرفَ؛ أي: وضعتُ عليه ما يحتاج من النُّقَاطِ لتمييزه عن نظيره، مثل الذال عليه نقطة واحدة، والتاء عليه نقطتان، وهكذا.

الثاني: نَقَطَ الإعراب، وهو الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي، حين

(١) ينظر: التنسي: الطراز في شرح ضبط الخراز ص ٩.

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢٩٤/٩ (نقط).

(٣) ينظر: الداني: المحكم ص ٢٢، والمارغني: دليل الحيران ص ٣٢١.

جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحته، والضممة نقطة بين يديه، وجعل للتونين نقطتين، بلون يخالف لون الكتابة.

والشُّكْلُ في اللغة المِثْلُ والشُّبُه، وأشكَل الأمرُ التَّبَسَّسَ، وشكَل الدابة يَشْكُلُهَا شَكْلًا شَدَّ قوائمها بالشَّكَال؛ أي: الحبل، وشكَلْتُ الكِتَابَ أَشْكُلُهُ شَكْلًا إِذَا قَيَّدْتُهُ بعلامات الإعراب^(١). «وأما الشُّكْلُ في اصطلاح الخط فهو ما يوضع فوق الحروف أو تحتها من العلامات الدالة على الحركة المخصوصة أو السكون أو الهمز أو المد أو التونين أو الشد»^(٢).

وكانت الكتب المؤلفة الأولى في هذا العلم تحمل عنوان «النَّقْطِ والشُّكْلِ»^(٣)، وأشهر كتاب وصل إلينا من كتب النقط والشكل كتاب «الداني» (ت ٤٤٤هـ) المسمى «المحكم في نقط المصاحف»^(٤)، وسَمَّى أبو داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ) تلميذ الداني كتابه «أصول الضبط وكيفيته»^(٥)، والضَّبُّ لغةٌ مصدر الفعل ضَبَطَ الشَّيْءَ يَضْبُطُهُ ضَبْطًا، والضَّبُّ لزووم الشيء وحَبْسُهُ، وضَبُّ الشيء أيضاً حِفْظُهُ بالحَزْمِ^(٦)، ثم شاع مصطلح الضبط بعد ذلك للدلالة على هذا الموضوع، وقَلَّ استعمال مصطلح النقط والشكل^(٧).

وأشهر منظومة في علم الضبط هي منظومة الحَرَّاز التي ألحقها في آخر منظومته في الرسم المسماة «مورد الظمآن» التي تحدثنا عنها عند الحديث عن مصادر رسم المصحف، وأوَّلُهَا قوله:

- (١) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٣٨١/١٣ (شكل).
- (٢) نصر الهوريني: المطالع النصرية ص ٢٠٤.
- (٣) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٨.
- (٤) حققه الدكتور عزة حسن، وطُبِعَ في دمشق سنة ١٩٦٠م، وأعادت طبعه مكتبة دار الفكر في دمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- (٥) حققه الدكتور أحمد بن أحمد شرشال، وطُبِعَ في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة ١٤٢٧هـ.
- (٦) ينظر: ابن منظور: لسان العرب ٢١٤/٩ (ضبط).
- (٧) ينظر في أسماء الكتب المؤلفة في علم الضبط: الداني: المحكم ص ٩، وكتابي: رسم المصحف ص ٤٧٨ - ٤٨٣، وعلم الكتابة العربية ص ٦٤ - ٦٩.

هَذَا تَمَامُ نَظْمِ رَسْمِ الْخَطِّ وَهِيَ أَنَا أَتَّبِعُهُ بِالضَّبْطِ
 كَيْمَا يَكُونُ جَامِعاً مَفِيداً عَلَى الَّذِي أَلْفَيْتُهُ مَعَهُوداً
 مُسْتَنْبِطاً مِنْ زَمَنِ الْخَلِيلِ مُشْتَهراً فِي أَهْلِ هَذَا الْجِيلِ
 وأشهر شروحها شرح الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله التتسي
 (ت ٨٩٩هـ) المسمى «الطراز في شرح ضبط الخراز»^(١).

ولتعريف الدارس لهذا العلم بتاريخ اختراع العلامات المستعملة في
 الكتابة العربية في المصحف وفي غيره سوف أجعل هذا المبحث في فقرتين:
 الأولى: عن تاريخ العلامات في الكتابة العربية، والثانية: للتعريف بأشهر تلك
 العلامات.

أولاً: تاريخ استعمال العلامات في الكتابة العربية:

كانت المصاحف العثمانية مُجَرَّدَةً خَالِيَةً مِنْ كُلِّ عِلَامَةٍ أَوْ زِيَادَةٍ عَلَى نَصِ
 الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَقَدْ أَخْرَجَ الدَّانِي عَنِ الْأَوْزَاعِيِّ (عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو
 ت ١٥٧هـ)، قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ أَبِي كَثِيرٍ (ت ١٢٩هـ) يَقُولُ: «كَانَ الْقُرْآنُ
 مُجَرَّدًا فِي الْمَصَاحِفِ، فَأَوَّلُ مَا أَحَدَّثُوا فِيهِ النَّقْطَ عَلَى الْيَاءِ وَالنَّوَاءِ، وَقَالُوا: لَا
 بَأْسَ بِهِ هُوَ نُورٌ لَهُ، ثُمَّ أَحَدَّثُوا فِيهَا نَقْطًا عِنْدَ مُنْتَهَى الْآيِ، ثُمَّ أَحَدَّثُوا الْفَوَاتِحَ
 وَالْحَوَاتِمَ»^(٢).

وَعَلَّلَ عَدَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ السَّلْفِ تَجْرِيدَ رَسْمِ الْمَصْحَفِ مِنَ النَّقْطِ وَالشَّكْلِ
 لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْقِرَاءَاتِ، قَالَ الدَّانِي: «وَإِنَّمَا أُخْلِى الصِّدْرُ مِنْهُمْ الْمَصَاحِفَ مِنْ
 ذَلِكَ وَمِنْ الشَّكْلِ مِنْ حَيْثُ أَرَادُوا الدَّلَالََةَ عَلَى بَقَاءِ السَّعَةِ فِي اللُّغَاتِ وَالْفُسْحَةِ
 فِي الْقِرَاءَاتِ الَّتِي أَدْرَنَ اللَّهُ تَعَالَى لِعِبَادِهِ فِي الْأَخْذِ بِهَا، وَالْقِرَاءَةُ بِمَا شَاءَتْ مِنْهَا،
 فَكَانَ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ حَدَّثَ فِي النَّاسِ مَا أَوْجَبَ نَقْطَهَا وَشَكْلَهَا»^(٣).

(١) حققه الدكتور أحمد بن أحمد شرشال، وطبع في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف
 الشريف في المدينة النبوية ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) المحكم ص ٢، والبيان في عدّ آي القرآن ص ١٣٠.

(٣) المحكم ص ٣.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ): «وهذا من أسباب تَرْكِهِمُ المصاحفَ أوَّلَ ما كُتِبَتْ غَيْرَ مشكولةٍ، ولا منقوطةٍ، لِتَكُونَ صورةُ الرسمِ مُحْتَمِلَةً للأمرين؛ كالتاء والياء، والفتح والضم، وهم يضبطون باللفظ كلا الأمرين، وتكون دلالة الحَظِّ الواحدِ على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المَثْلُوثَيْنِ شبيهاً بدلالة اللفظ الواحدِ على كلا المَعْنَيْنِ المنقولين المعقولين»^(١).

ولا شك في أن تَجَرُّدَ حَظِّ المصاحفِ العثمانية قد أتاح لأهل الأمصار أن يقرؤوا في المصحف بما تلقوه عن علماء الصحابة من قراءات ما دام خطها يحتمل تلك القراءات، لكن الدراسات في تاريخ الخط العربي القديم تشير إلى أن الكتابة العربية في عصر تدوين القرآن الكريم كانت مُجَرَّدَةً أصلاً، وأن المصاحف كُتِبَتْ مُجَرَّدَةً بناءً على ذلك، لا أن الصحابة جَرَّدُوهَا من العلامات؛ لأنَّ العلامات لم تكن قد اسْتُعْمِلَتْ بَعْدُ في الكتابة العربية^(٢).

وَحَرَصَ الصَّدْرُ الأوَّلُ من علماء القرآن من الصحابة وكبار التابعين على بقاء المصاحف مُجَرَّدَةً كما كانت، وأشهر الآثار المنقولة في هذا الصدر ما رُوِيَ عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «جَرِّدُوا القرآنَ، ولا تَخْلُطُوا به ما ليس منه»، وفي رواية «ولا تَلْبِسُوا به ما ليس منه»^(٣).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: «وقد اختلفَ الناس في تفسير قوله: (جَرِّدُوا القرآنَ)، فكان إبراهيم [النخعي] يذهب به إلى نَقْطِ المصاحفِ، ويقول: جردوا القرآنَ ولا تخلطوا به غيره، قال أبو عبيد: وإنما نرى أن

(١) شرح حديث أنزَلَ القرآنَ على سبعة أحرف ص ١٢٧، وينظر: ابن الجزري: النشر ٣٣/١.

(٢) الرأي الراجح أن نَقَاطِ الإعجام للحروف المتشابهة، وعلامات الحركات في الكتابة العربية، اِخْتَرَعَتْ بعد الإسلام، في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، ينظر: كتابي: رسم المصحف ص ٤٦٥ وما بعدها، وصالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط ص ١٣٤ و ١٩٨.

(٣) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ٣٩٢، وابن أبي داود في كتاب المصاحف ص ٥٥٧ - ٥٦٢، والداني في المحكم ص ١٠.

إبراهيم كره هذا مخافة أن ينشأ نشء يدركون المصاحف منقوطة فيرى أن النقط من القرآن، ولهذا المعنى كره من كره الفواتح والعواشر. وقد ذهب به كثير من الناس إلى أن يتعلم [القرآن] وحده ويترك الحديث، قال أبو عبيد: وليس هذا عندي وجه^(١).

وحقت الكراهة، وارتفعت الخشية، واستقر الأمر على جواز ذلك والترخص فيه، قال أبو عمرو الداني: «والناس في جميع أمصار المسلمين من لدن التابعين إلى وقتنا هذا على الترخص في ذلك في الأمهات وغيرها، ولا يرؤن بأساً برسم فواتح السور وعدد آيها، ورسم الخموس والعشور في مواضعها، والخطأ مرتفع عن إجماعهم»^(٢).

ولدينا عدد من الروايات التاريخية التي تبين جهود العلماء في القرنين الأول والثاني الهجريين في اختراع الوسائل التي حققت من خلالها الكتابة العربية تمثيل الأصوات التي ليس لها رموز كتابية، وتمييز الحروف المتشابهة في الصورة، ولدينا أيضاً مجموعة من الوثائق الخطية التي تؤكد ما ورد في تلك الروايات.

ولا يتسع البحث لعرض جميع تلك الروايات، وتحليلها، وموازنتها بالوثائق المخطوطة، وسوف أكتفي بالإشارة إلى النقاط البارزة المتعلقة بالموضوع، بما يمهّد لدراسة النماذج المصورة من المصاحف التي سنوردها في المبحث الثاني من هذا الفصل، ليكون الدارس على بينة بالنقاط الأساسية المتعلقة بهذا الموضوع.

١ - علامات الحركات:

لتمثيل الحركات في الكتابة العربية مذهبان: قديم متروك، وآخر مستعمل، فأما القديم المتروك فهو استعمال النقط المدور، وأما المستعمل فهو الشكل المستطيل.

(١) غريب الحديث ١٨٨/٢.

(٢) المقنع ص ١٢٥، وينظر: المحكم ص ٢ - ٣، والنووي: التبيان ص ١٧٣.

المذهب الأول: النَّقْطُ الْمُدَوَّرُ:

تَنَسَّبُ أَكْثَرُ الْمَصَادِرِ اخْتِرَاعَ أَوَّلِ نِظَامٍ لِتَمَثِيلِ الْحَرَكَاتِ فِي الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ الْبَصْرِيِّ (ظالم بن عمرو ت ٦٩هـ)، فَإِنَّهُ بَعْدَ أَنْ رَأَى ظُهُورَ اللَّحْنِ عَلَى أَلْسِنَةِ النَّاسِ، وَوَقُوعَهُ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، اخْتَارَ كَاتِباً فِطْناً، وَقَالَ لَهُ: «خُذِ الْمَصْحَفَ وَصِبْغاً يَخَالِفُ لَوْنَ الْمِدَادِ، فَإِذَا فَتَحْتَ شَفْتَيْ فَانْقُطْ وَاحِدَةً فَوْقَ الْحَرْفِ، وَإِذَا ضَمَمْتُهُمَا فَاجْعَلِ النَّقْطَةَ إِلَى جَانِبِ الْحَرْفِ، وَإِذَا كَسَرْتُهُمَا فَاجْعَلِ النَّقْطَةَ فِي أَسْفَلِهِ، فَإِنْ أَتَيْتُ شَيْئاً مِنْ هَذِهِ الْحَرَكَاتِ غُنَّةً فَانْقُطْ نَقْطَتَيْنِ، فَابْتَدَأَ الْمَصْحَفَ حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهِ»^(١).

وَكَانَ لِأَبِي الْأَسْوَدِ فِي الْبَصْرَةِ تَلَامِذَةً أَخَذُوا عَنْهُ عِلْمَ الْعَرَبِيَّةِ وَنَقَطَ الْمَصْحَفَ، فِي مَقْدَمَتِهِمْ نَصْرَ بْنَ عَاصِمِ اللَّيْثِيِّ (٩٠هـ)، وَيَحْيَى بْنَ يَعْمَرَ الْعَدَوَانِي (ت قَبْلَ ٩٠هـ)، وَنَسَبَ بَعْضُ الْمَصَادِرِ إِلَيْهِمَا الْبَدْءَ بِنَقْطِ الْمَصَاحِفِ^(٢)، وَالصَّحِيحُ أَنَّ أَبَا الْأَسْوَدِ هُوَ الْمَبْتَدِئُ بِهِ^(٣). أَمَّا نَصْرٌ وَيَحْيَى فَإِنَّهُمَا «أَخَذَا ذَلِكَ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ، إِذْ كَانَ السَّابِقَ إِلَى ذَلِكَ وَالْمَبْتَدِئَ بِهِ، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْحَرَكَاتَ وَالتَّنْوِينَ لَا غَيْرَ»^(٤).

وَانتَشَرَ نَقْطُ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ، وَكَانَ يُسَمَّى نَقْطَ الْإِعْرَابِ أَوْ النَّقْطِ الْمُدَوَّرِ^(٥)، وَهُوَ بِلَوْنٍ يَخَالِفُ لَوْنَ الْمِدَادِ الَّذِي تُكْتَبُ بِهِ الْحُرُوفُ، وَالغَالِبُ فِيهِ اللَّوْنُ الْأَحْمَرُ^(٦)، وَهَذِهِ صُورَةٌ مِنْ مَصْحَفٍ مَنْقُوطٍ بِنَقْطِ الْإِعْرَابِ بِاللَّوْنِ الْأَحْمَرِ (مَعَ نِقَاطِ الْإِعْجَامِ بِاللَّوْنِ الْأَسْوَدِ):

(١) ابن الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء ٢٤١/١، وينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٤٥، والداني: المحكم ص ٦ - ٧.

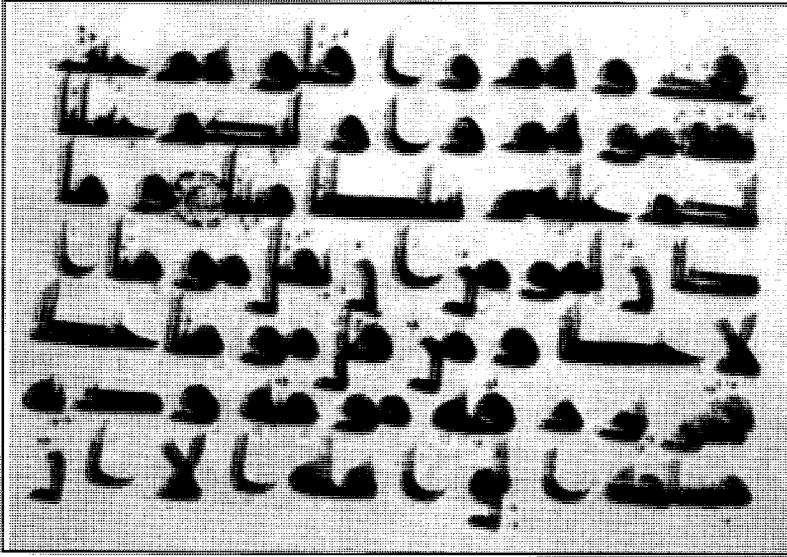
(٢) ينظر: ابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٥٦٨، والداني: المحكم ص ٥ - ٧، والقلقشندي: صبح الأعشى ٣/١٥٥.

(٣) ينظر: التنسي: الطراز ص ١٢.

(٤) الداني: المحكم ص ٧.

(٥) ينظر: الداني: المحكم ص ٢٢ و ٢٣، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ٦، والتنسي: الطراز ص ١٣.

(٦) ينظر: العقيلي: المختصر ص ١٢٠.



من سورة النساء من الآية ٩١ - ٩٢

المذهب الثاني: الشكل المستطيل:

مضى قَرْنٌ من الزمان وكُتِّبَ المصاحف يستعملون نَقَطَ الإعراب الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي، لكن استعمال نِقَاطِ الإِعْجَامِ التي اِخْتَرَعَتْ في النصف الثاني من القرن الهجري الأول - كما سنذكر - إلى جانب نِقَاطِ الإِعْرَابِ أَثْقَلَ الكِتَابَةَ وَأَتَعَبَ الكُتَّابَ، لِحَاجَتِهِمْ إِلَى لَوْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الحِجْرِ، وَقَدْ يُشَوِّشُ ذَلِكَ عَلَى القُرَاءِ، لِاحْتِمَالِ التَّبَاسِ نَقَطِ الإِعْرَابِ بِنَقَطِ الإِعْجَامِ، مِمَّا جَعَلَ عَالِمَ العَرَبِيَّةِ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ) يُفَكِّرُ في طَرِيقَةَ جَدِيدَةٍ لِعَلَامَاتِ الحَرَكَاتِ، فَاسْتَعْمَلَ الحُرُوفَ الصَّغِيرَةَ بَدَلًا مِنَ النِّقَاطِ الحُمْرِ التي اسْتَعْمَلَهَا أَبُو الأسود الدؤلي.

ونقل الداني عن محمد بن يزيد المبرد أنه قال: «الشَّكْلُ الذي في الكتب من عَمَلِ الخليل، وهو مأخوذ من صُورِ الحُرُوفِ، فالضمة واو صغيرة الصورة في أعلى الحرف، لثلاث تلتبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف»^(١).

(١) المحكم ص ٧.

وذكر الداني أيضاً أن الخليل بن أحمد جعل علامات للهمزة والتشديد والرّوم والإشمام^(١)، فجعل على الحرف المشدّد رأس شين من غير نقاط (ت)، وأخذه من أول شديد، فإذا كان خفيفاً جعل عليه خاء مهملة (س)، وأخذه من أول خفيف^(٢).

وذكر سيبويه أن العرب تقف على الحرف الموقوف عليه بالإشمام، والرّوم، والسكون، والتضعيف، ثم قال: «ولهذا علامات، فللإشمام نقطة، وللذي أُجْرِي مُجْرَى الْجَزْمِ وَالْإِسْكَانِ الْخَاءُ، ولرّوم الحركة حَطُّ بين يدي الحرف، وللتضعيف الشين»^(٣)، ويبدو أن سيبويه أخذ هذه العلامات عن شيخه الخليل.

وجعل الخليل بن أحمد من أصول النّقط والشّكل علماً ألف فيه كتاباً^(٤)، قال أبو عمرو الداني: «وأول من صنّف النّقط ورسمه في كتاب، وذكّر علل الخليل بن أحمد، ثم صنّف ذلك بعده جماعة من النحويين والمقرئين، سلكوا فيه طريقه، واتبعوا سنّته، واقتدوا بمذهبه...»^(٥).

وسمّى الداني الشّكل الذي اخترعه الخليل شّكل الشّعْر، وقال: «وترك استعمال شّكل الشّعْر، وهو الشّكل الذي في الكتب الذي اخترعه الخليل، في المصاحف الجامعة من الأمهات وغيرها أولى وأحقّ، اقتداءً بمن ابتدأ النّقط من التابعين، واتباعاً للأئمة السالفين»^(٦).

ومع أن الداني رجّح الأخذ بالنّقط المدوّر في المصاحف إلا أنه نقل عن ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) ما يفهم منه أنه يُجَوِّز استعمال شّكل الشّعْر، الذي

(١) ينظر: المحكم ص ٦.

(٢) ينظر: المصدر نفسه ص ٧.

(٣) الكتاب ١٦٩/٤.

(٤) ينظر: ابن النديم: الفهرست ص ٣٨ و ٤٩.

(٥) المحكم ص ٩.

(٦) المحكم ص ٢٢.

سَمَّاهُ بعض المؤلفين بالشكل المستطيل^(١) أو المَطْوَل^(٢)، في المصاحف أيضاً، وسوف أنقل هذا النص بتمامه، لتحقيق فائدتين، الأولى: الاطلاع على نص من النصوص الباقية من كتاب ابن مجاهد في النَّقْط، وهو مفقود، والثانية: دلالة النص على استمرار العمل بطريقة أبي الأسود الدؤلي في العراق إلى القرن الرابع الهجري.

قال الداني: «وقال أبو بكر بن مجاهد في كتابه في النَّقْط: الشَّكْلُ سِمَةٌ للكتاب... والشَّكْلُ والنَّقْطُ شيء واحد، غير أن فهم القارئ يُسْرِعُ إلى الشكل أقرب مما يُسْرِعُ إلى النَّقْط، لاختلاف صورة الشكل، واتفاق صورة النقط، إذ كان النَّقْطُ كُلُّهُ مُدَوَّرًا، والشَّكْلُ فيه الضم، والكسر، والفتح، والهمز، والتشديد، بعلامات مختلفة، وذلك عامته مجتمع في النَّقْط، غير أنه يحتاج أن يكون الناظر فيه قد عَرَفَ أصوله، ففي النَّقْط الإعرابُ، وهو الرفع والنصب والخفض، وفيه علامات الممدود والمهموز والتشديد في الموضع الذي يجوز أن يكون مخففاً، والتخفيف في الموضع الذي يجوز أن يكون مشدداً.

»ثم ذكر أصولاً في النَّقْط، ثم قال: ... وفي النَّقْطِ عِلْمٌ كبير، واختلاف بين أهله، ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ على القراءة في مصحف منقوط إذا لم يكن عنده عِلْمٌ بالنَّقْط، بل لا يتنفع به إن لم يعلمه.

قال أبو عمرو: جميع ما أورده ابن مجاهد في هذا الباب صحيحٌ بَيِّنٌ لطيفٌ حَسَنٌ، وبالله التوفيق»^(٣).

واستحب أبو داود سليمان بن نجاح (ت ٤٩٦هـ) تلميذ الداني استعمال النَّقْطِ المدوَّر في المصاحف الأمهات، وجَوَّزَ استعمال الشكل أيضاً، فقال: «اعلم أن نَقْطَ المصاحف هو أقدم من الشَّكْلِ، وإن كان ذلك معاً مُسْتَنْبَطاً مُضْطَلِحاً عليه، إلا أن النَّقْطَ كان وكثيراً من الصحابة حَيٌّ، وهو الذي يُسْتَحَبُّ

(١) العقيلي: المختصر ص ١١٩.

(٢) التنسي: الطراز ص ١٤.

(٣) المحكم ص ٢٣ - ٢٤.

في المصاحف خاصة، وهو المعروف قديماً من التابعين إلى هَلَمْ جَرَّأً، والشُّكْلُ في المصحف أسرع إلى فهم المبتدئ؛ لأنه هو الذي عَرَفَ قَبْلَ، وبه يُعَلَّمُ أولاً في المَكْتَبِ، والشُّكْلُ المَدَوَّرُ الذي يُسَمَّى نَقْطاً هو الذي أُسْتَحَبَ في الأمهات، ولا أَمْنَعُ من الشكل المأخوذ من الحروف...»^(١).

ورجَّح أبو طاهر العقيلي (ت ٢٢٣هـ) استعمال الشُّكْلِ، وَعَلَّلَ ذلك بقوله: «فإن الضَّبْطَ المستطيل الآن أشهر، والعملُ به أكثر»^(٢)، وحين تحدَّث ابن وثيق الأندلسي (ت ٦٥٤هـ) عن الضبط لم يذكر إلا الشكل المأخوذ من الحروف؛ أي: الذي اخترعه الخليل^(٣)، وهذا يدل على أن النَّقْطَ المَدَوَّرَ قد تُرِكَ استعماله منذ القرن السابع الهجري، وكان أهل المشرق أسرع إلى استعمال الشُّكْلِ في المصاحف من أهل المغرب والأندلس، كما يظهر ذلك في مصحف ابن البواب الذي كتبه ببغداد سنة (٣٩١هـ).

٢ - نِقَاطُ الإِعْجَامِ:

هي النَّقَاطُ التي توضع على الحروف المشتبهة في الصورة لتمييز بعضها عن بعض، إذ يذكر مؤرخو الخط العربي أن الحروف في الكتابة النبطية الأولى كانت تُرَسَّمُ منفصلة في الكلمة، ثم مالت إلى الاتصال في الكتابة النبطية المتأخرة، وترتَّبَ على ذلك تشابه عدد من الحروف في الصورة^(٤)، وورثت الكتابة العربية هذه الظاهرة عن أصلها القديم، لكن ذلك التشابه لم يستمر طويلاً في الكتابة العربية، إذ لجأ الكُتَّابُ إلى وضع نِقَاطِ الإِعْجَامِ لتمييز الحروف المتشابهة.

وهناك عدة أقوال في مبدأ استعمال نِقَاطِ الإِعْجَامِ في الحروف العربية، أشهرها قولان:

(١) كتاب أصول الضبط ص ٣ - ٧، وينظر: ص ٥٥.

(٢) المختصر ص ١١٩.

(٣) الجامع ص ١٧٣.

(٤) ينظر: كتابي: رسم المصحف ص ٧٣، وصالح بن إبراهيم الحسن: الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط ص ٧٤.

الأول: أن الإعجام قديم في الكتابة العربية، ويرجع إلى ما قبل الإسلام، ويرتبط هذا القول برواية تُنسبُ اختراع الكتابة العربية إلى ثلاثة رجال من قبيلة طيّء، وقيل: من بؤلان، سَكَنُوا الأنبار، وهم مُرَامِرُ بْنُ مُرَّةَ، وَأَسْلَمُ بْنُ سِدْرَةَ، وعامرُ بْنُ جَدْرَةَ، فأما مُرَامِرُ فَوَضَعَ الصُّورَ، وأما أَسْلَمُ فَفَصَّلَ وَوَصَلَ، وأما عامرٌ فَوَضَعَ الإعجام^(١).

وشكك بعض الباحثين المحدثين في صحة هذه الرواية^(٢)، إلى جانب أن الكتابات العربية القديمة لا تؤيد مضمونها، ووجود روايات أخرى تُنسبُ وضع الإعجام إلى تلامذة أبي الأسود الدؤلي.

القول الثاني: أن إعجام الحروف حَدَثَ بعد الإسلام، لكن تحديد سَنَةِ معينة لذلك أو نسبته إلى شخص معين لا يخلو من إشكالات؛ لأن الرواية التي تنسب ذلك إلى نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ) لا تخلو من اضطراب، ولأن ما عُثِرَ عليه من النقوش يتعارض مع ما جاء فيها.

فقد نقل مؤلفو كُتُبِ التصحيف رواية مفادها أن التصحيف فشا في الكتابة العربية في خلافة عبد الملك بن مروان التي امتدت بين سنتي (٦٥ - ٨٦هـ) ففرع الحجاج بن يوسف الثقفي إلى كُتَّابِهِ في العراق، وكانت ولايته على العراق بين سنتي (٧٥ - ٩٥هـ) وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة في الصور علامات تميز بينها، فوضعوا النِّقَاطَ أفراداً وأزواجاً، ويقال: إن نصر بن عاصم هو الذي قام بذلك، وكانت وفاته سنة (٩٠هـ)^(٣).

وتدل هذه الرواية على أن نِقَاطَ الإعجام اسْتُعْمِلَتْ في الكتابة العربية بعد

(١) ينظر: البلاذري: فتوح البلدان ص ٤٧٦، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ١٣٨، وابن النديم: الفهرست ص ٧، والداني، المحكم ص ٣٥، وصلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) ينظر: خليل يحيى نامي: أصل الخط العربي ص ٣.

(٣) ينظر: حمزة الأصفهاني: التنبيه على حدوث التصحيف ص ٢٧، وأبو أحمد العسكري: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحرير ص ١٣، والصفدي: تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص ١٣ - ١٤.

سنة (٥٧٥هـ)، وهي سنة ولاية الحجاج على العراق، وقبل سنة (٥٩٠هـ)، وهي سنة وفاة نصر بن عاصم.

إن ما دلت عليه الرواية السابقة يتعارض مع ما تم العثور عليه من نقوش كتابية عربية ظهرت فيها نقاط الإعجام، وهي مؤرخة بسنة تسبق سنة (٥٧٥هـ)، ومن تلك النقوش^(١):

١ - نقش سد الطائف، وهو مؤرخ بسنة (٥٥٨هـ)، وتظهر فيه سبعة أحرف منقطة، وهي (ب، ت، ي، ث، ن، ف، خ)^(٢):

لِكَ السَّ لَعَلَّ اللهُ مَعُوذَهُ
 مَصَدُّ الْمَوَسْرِ بِنَبِيِّهِ عَمَلُ اللهِ بِرَطْبِهِ
 بَاكِرُ اللهِ لَسَبَهُ ثَمَرٌ وَخَمْسِيْرًا
 لِلْهِمَا عَفْرُ لَعَلَّ اللهُ مَعُوذَهُ
 مَصَدُّ الْمَوَسْرِ وَثَبْنُهُ وَانْقُدُهُ وَمَتْرًا
 [مَصَدُّ] لِمَوْضِعِهِ كَبِ عَمْرٍ وَرَحَابِ

٢ - نقش وادي حفنة الأبيّض في العراق، وهو مؤرخ بسنة (٥٦٤هـ)، وظهرت فيه ثلاثة أحرف منقطة في موضع أو موضعين، وهي (ب ي ث)^(٣).

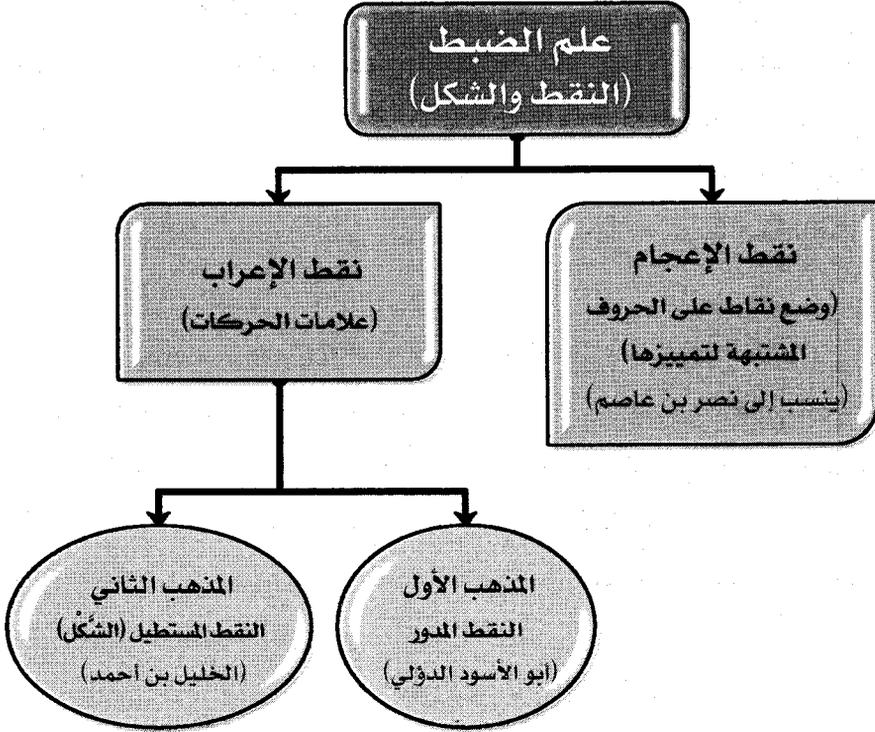
(١) يذكر مؤرخو الخط العربي بردية مؤرخة بسنة ٥٢٢هـ، ويشيرون إلى وجود حروف منقطة فيها، والأمر يحتاج إلى مناقشة أوسع مما يحتمله الكتاب، ينظر: صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص٣٧، وكتايب: رسم المصحف ص٥٤٥ - ٥٤٧.

(٢) ينظر: صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص١٠٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص١٠٥.

إن وجود نقاط الإعجام في هذه النقوش يجعل ما ورد في الرواية السابقة موضع شك، اللهم إلا إذا قلنا إن النقاط التي تظهر في النقوش المذكورة قد أضيفت إليها في وقت لاحق، وهو أمر غير مؤكد.

وما يمكن تأكيده في مجال استعمال نقاط الإعجام في الكتابة العربية هو أن القرن الهجري الأول قد شهد استعمال تلك النقاط في المصاحف وفي غيرها من النصوص المكتوبة، ولا تزال الحروف في الكتابة العربية تُنقَط بالطريقة ذاتها إلا القاف، فإنها كانت تنقط إذا وُصِلَتْ بواحدة من تحتها، وقد نَقَطَهَا ناس من فوقها اثنتين^(١)، واستقر الأمر في كتابة أهل المشرق على نَقَطَهَا باثنتين من فوقها، والفاء بواحدة، وفي كتابة أهل المغرب على نَقَطَهَا بواحدة من فوقها والفاء بواحدة من تحتها.



(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٣٥.

ثانياً: تعريف بالعلامات في الكتابة العربية:

لم يهتم علم الضبط إلا بالعلامات ذات الدلالة الصوتية، مثل علامات الحركات ونحوها، قال ابن وثيق: «اعلم أن ضبط المصحف يحتوي على سبعة فصول: الأول: الهمز، الثاني: المد، الثالث: الشد، الرابع: التحريك، الخامس: التسكين، السادس: الصلوات، السابع: علامات ابتداء همزات الوصل»^(١). أما فواتح السور ورؤوس الآي والأجزاء والأحزاب فلم يَهْتَمَّ بها المؤلفون بعلم الضبط بعد عصر الداني، وسوف أقتصر في هذه الفقرة على التعريف بالعلامات الصوتية، وسيرد الحديث عن العلامات الأخرى في أثناء تحليل النماذج المصورة من المصاحف في المبحث الثاني.

١ - علامات الحركات:

كانت علامة الحركات نقطة حمراء، فالفتحة نقطة فوق الحرف، والكسرة نقطة تحته، والضممة نقطة بين يديه، وهذا نَقَطُ الإعراب الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي، كما تقدم، ثم استبدلت بالعلامات الصغيرة المشتقة من حروف المد التي اخترعها الخليل بن أحمد، فالضممة واوٌ صغيرة الصورة في أعلى الحرف، لثلاثا تلبس بالواو المكتوبة، والكسرة ياء مردودة تحت الحرف، والفتحة ألف مبطوحة فوق الحرف.

وذكر ابن درستويه وجهاً آخر لأصل علامات الحركات، فقال في كتابه الكُتَّاب: «فأما الشكل الذي هو صورٌ للحركات والسكون فأربعة أشياء: الفتحة، والضممة، والكسرة، والوقفَةُ، وهي رُقُومٌ مشتقة من حروف أسمائها، فَرَقُمُ الحركات الثلاث راءٌ غير مُحَقَّقَةٍ في الوجوه الثلاثة، وهي مأخوذة من راء الحركة، وقد زيدت على رَقَمِ الضممة علامة تُفَرِّقُ بينها وبين غيرها مأخوذة من الواو، لاشتراك الضممة والواو في اللفظ والمخرج»^(٢).

والراجع في أصل علامات الحركات أنها مأخوذة من حروف المد

(١) الجامع ص ١٦٧.

(٢) كتاب الكتاب ص ٩٨.

مباشرة، فكما أن الحركات أبعاض حروف المد فكذلك علاماتها، وضمّن الخراز ذلك في منظومته في الضبط حيث قال ^(١):

فَفَتْحَةٌ أَعْلَاهُ وَهِيَ أَلِفٌ مَبْطُوحَةٌ صُغْرَى وَضَمٌّ يُعْرَفُ
وَأَوَّ كَذَا أَمَامَهُ أَوْ فَوْقًا وَتَحْتَهُ الْكِسْرَةُ يَاءٌ تُلْقَى

٢ - علامة السكون:

السكون عَدَمُ الحركة ^(٢)، فهو لا يمثل صوتاً معيناً، ولعل ذلك هو الذي جعل بعض نُقَاطِ العراق لا يضعون للسكون علامة أصلاً ^(٣)، لكن جمهور النُّقَاطِ استعملوا للسكون علامة، لتمييز الحرف المحرك من غيره، واستعمل الخليل وسيبويه للسكون رأس خاء، أخذوه من أول (خفيف) ^(٤)، لكن ظهرت علامات أخرى اسْتُعْمِلَتْ في المصاحف للدلالة على السكون.

وذكر الداني أربع علامات للسكون، هي ^(٥):

١ - جَرَّةٌ فوق الحرف المُسَكَّن، وهو مذهب أهل الأندلس.

٢ - دَارَةٌ صغيرة فوق الحرف، وهي الصفر الذي يجعله أهل الحِسَاب على العدد المعدوم، وهو مذهب أهل المدينة.

٣ - رأس خاء، مأخوذة من أول خفيف ^(٦)، وهو مذهب أهل العربية:

الخليل وسيبويه ومن تابعهما.

٤ - هاء، وهو مذهب بعض أهل العربية.

(١) الخراز: الطراز ص ١٨.

(٢) ابن يعيش: شرح المفصل ٦٧/٩.

(٣) ينظر: الداني: المحكم ص ٥٦، والتنسي: الطراز ص ٩٧.

(٤) ينظر: سيبويه: الكتاب ١٦٩/٤، والداني: المحكم ص ٧ و ٥١، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ٤٧.

(٥) المحكم ص ٥١ - ٥٢، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ٤٥ - ٤٨، والضباع: سمير الطالبين ٥٦٦/٢.

(٦) ذكر ابن درستويه أن علامة الحرف الساكن جيم غير مُعَقَّفَةٌ ولا مُحَقَّقَةٌ مأخوذة من أول جيم الجزم كتاب الكُتَاب ص ٩٨، وأشار إلى ذلك أبو داود في كتاب أصول الضبط ص ٤٥.

واختار أبو داود سليمان بن نجاح أن تكون علامة السكون دارةً، مثل الصُّفْرِ الذي يستعمله أهل الحساب^(١)، ودَكَرَ أن الخليل وسيبويه، وعامة أصحابهما يجعلون علامة السكون خاء، يريدون بذلك أول كلمة (خفيف)، ثم قال: «غير أنني لا أستجيزُهُ في المصحف»^(٢)، وكذلك لم يذكر ابن وثيق إلا الدارة علامة للسكون^(٣).

ولم يذكر الخِرَّاز في ضبطه إلا الدارة أيضاً في قوله:

فَدَارَةٌ عَلامَةُ السَّكُونِ.....

وقال التنسي في «شرحه»: «واقصر في علامة السكون على الدارة اعتماداً على اختيار أبي داود، واقتداء بمدينة النبي ﷺ لأن أكثر نِقَاطِهَا على ذلك... وفيه مذاهب أخرى لم يتكلم عليها الناظم، لكون المتأخرين تركوا العمل بها...»^(٤).

والمتأخرون من النِقَاطِ والكُتَّاب يجعلون السكون دارة^(٥)، قال المارغني: «وجرى بذلك عمل المتأخرين، وعليه عملنا الآن»^(٦)، لكن العمل في المصحف الأميري ومصحف المدينة النبوية جرى على استعمال العلامة التي وضعها الخليل وسيبويه للسكون، وهي رأس الخاء.

٣ - علامة التنوين:

التنوين نونٌ ساكنة زائدة تلحق آخر الأسماء لفظاً لا خطأً، ووصلاً لا وفقاً^(٧)، وكان أبو الأسود الدؤلي قد جعل علامة التنوين نقطتين بالحمرة، كما

(١) كتاب أصول الضبط ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٤٧.

(٣) الجامع ص ١٧٤.

(٤) الطراز ص ٩٥ - ٩٦.

(٥) ينظر: ابن وثيق: الجامع ص ١٧٤، والجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٧٥٨، والقلقشندي: صبح الأعشى ٣/ ١٦٠.

(٦) دليل الحيران ص ٣٤٥، وينظر: المخللاتي: إرشاد القراء والكااتبين ٧٥٧/٢.

(٧) ينظر: الداني: المحكم ص ٥٧، وزكريا الأنصاري: تحفة نجباء العصر ص ٥٢.

تقدمت الإشارة إلى ذلك، واحدة للحركة والأخرى للإشارة إلى التنوين، فقد قال لكاتبه: **فإن أَتَبَعْتُ شيئاً من ذلك غُنَّةً فَاجْعَلِ النقطَةَ نقطتين، وبذلك صارت علامة التنوين مع الفتحة نقطتين فوق الحرف، ومع الكسرة نقطتين تحت الحرف، ومع الضمة نقطتين أمام الحرف** ^(١).

وليس هناك علاقة صوتية بين التنوين والحركات تُحتمُّ جعل علامتهما واحدة، وقد أجاب الداني على التساؤل بهذا الخصوص فقال: «فإن قال [قائل]: من أين اصطلحوا على جعل علامته علامة الحركة؟ قيل: من وجهين: أحدهما: أنه لما كان مخصوصاً بمتابعة الحركات، دون السواكن، جعلوا علامته في النَّقْط علامتهن، إشعاراً بذلك التخصيص وإعلاماً به.

والثاني: أن الحركة لَمَّا لَزِمَتْ أوائل الكَلِم، وَلَزِمَ التنوين أواخرهن، واجتمعا معاً في الثبات في الوصل والحذف في الوقف، تأكد ما بين الحركة والتنوين بذلك، فَجُعِلَتْ علامته علامتها، دلالة على ذلك التأكيد، وتنبهياً على تناسب ما بينهما في أن كل واحد منهما يَثْبُت بثبات الآخر، وَيَسْقُطُ بسقوطه» ^(٢).

وبعد أن جعل الخليل بن أحمد علامات الحركات حروفاً صغيرة جعل **الْكُتَابُ** التنوين فتحيتين أو كسرتين أو ضميتين مكان النقطتين ^(٣). وقال ابن درستويه: «التنوين طائفة مأخوذة من النون أو من نقطتها» ^(٤)، لكن الراجح ما تقدم من أن علامة التنوين تكرر لعلامة الحركة المصاحبة له.

ولعلماء الضبط مذاهب في طريقة وضع العلامتين في أواخر الكلم في المصحف بحسب الحرف الواقع بعد التنوين، فإذا جاء بعد التنوين أحد حروف الحلق الستة رُسِمَت الحركتان متراكبتين، أي إحداهما فوق الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿نَبَأٌ نُوحٍ إِذْ قَالَ﴾ في سورة يونس [٧١]، و﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٤ و ٥٨.

(٢) المحكم ص ٥٩.

(٣) ينظر: العقيلي: المختصر ص ١٢١، والتنسي: الطراز ص ٢٤.

(٤) كتاب الكتاب ص ٩٩.

هَادٍ ﴿ في الرعد [٧]، و﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ في النساء [١٤٨]، ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ في البقرة [٢٥٦]. فإن جاء بعد التنوين غير حروف الحلق رُسِمَت الحركتان متتابعتين، بأن تُجْعَلَ علامة التنوين أمام علامة الحركة هكذا: ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ في يوسف [٩]، و﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ في القمر [٥٥]، و﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ في النحل [٧٠]^(١).

وإذا وقع بعد التنوين باء فإن أهل الضبط يُشْتَبُونَ حركة واحدة، ويرسُمُونَ مكان الحركة الثانية ميماً صغيرة دلالة على قلب التنوين ميماً، مثل الميم التي يشتونها على النون الساكنة إذا وقعت قبل الباء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ في الحج [٧٥]، وفي نحو قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ في النور [٥]^(٢).

ولا يتسع المقام لذكر جميع التفاصيل المتعلقة بهذا الموضوع، ويمكن للدارس أن يقف عليها في كتب الضبط أو تستفاد من التعريف المكتوب في آخر المصاحف المطبوعة.

٤ - علامة التشديد:

التشديد يدل على تكرار حرفين من جنس واحد، الأول ساكن والثاني متحرك، وللتشديد عند أهل الضبط علامتان^(٣):

الأولى: رأسُ شِيبٍ من غير نقاط (ـ)، فوق الحرف، وهي التي اخترعها الخليل وذكرها سيبويه^(٤)، واختارها أبو داود إذا كان المصحف يُضَبُّ بالشكل الذي اخترعه الخليل، يعني بالحركات المأخوذة من حروف المد^(٥).

(١) ينظر: الداني: المحكم ص٦٨، وأبو داود: أصول الضبط ص١٤ و١٨، والضباع: سمير الطالبين ٢/٥٤٥ - ٥٤٦.

(٢) ينظر: الداني: المحكم ص٧٦، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص١٢.

(٣) ينظر: الداني: المحكم ص٤٩، والمقنع ص١٢٩، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص٥٠، والتنسي: الطراز ص٩٨.

(٤) ينظر: سيبويه: الكتاب ٤/١٦٩، والداني: المحكم ص٦.

(٥) ينظر: كتاب أصول الضبط ص٥٥.

الثانية: دالٌّ فوق الحرف إذا كان مفتوحاً، وتحتّه إذا كان مكسوراً، وأمامه إذا كان مضموماً، وبعضهم يجعل مع الشدة علامات الحركات، وهو مذهب أهل المدينة، وتابعهم عليه أهل الأندلس^(١)، ووصف ابن وثيق هذه العلامة بأنها مثلُ قُلَامَةِ الظُّفْرِ^(٢).

واشتهرت العلامة الأولى عند المشاركة في المصاحف وغيرها^(٣)، ونصّ الداني وتلميذه أبو داود على أن رأس الشين تكون فوق الحرف، فإن كان الحرف مفتوحاً جَعَلَتْ علامة الفتحة فوق الشدة، وإن كان مضموماً جَعَلَتْهَا أمامه، وإن كان الحرف مكسوراً جَعَلَتْ الشدة فوق الحرف وعلامة الكسرة تحت الحرف^(٤).

وذكر القلقشندي (ت ٨٢١هـ) أن بعضهم جعل الكسرة أسفل الشدة من فوق الحرف^(٥)، وقال نصر الهوريني: «إذا كان الحرف المشدّد مكسوراً فلك في وضع الحَفْضَةِ تحت الشدة طريقان: إما أن تضعها تحت الحرف، وهو أحسن، أخذاً من قول الدوّلي المتقدم، وإما أن تضعها فوق الحرف وتحت الشدة، وهذه الطريقة الثانية للمشاركة فقط في المكسور، وهي طريقة المغاربة في المفتوح والمضموم يجعلون الفتحة والضمّة فوق الحرف وتحت الشدة، فيكون شكل المفتوح عندهم على صورة شكل المكسور عندنا على الطريقة الثانية، فتنبّه لهذا...»^(٦).

٥ - علامة المد:

إذا وقع بعد أحد حروف المد الثلاثة الواو والياء والألف همزة أو حرف ساكن مخفف أو مشدد فإن أهل الضبط يضعون فوق حروف المد مَطَّةً حمراء دلالة على زيادة تمكينهن، وذلك في نحو: ﴿جَاءَ﴾ [النساء: ٤٣]، و﴿يُضِيءُ﴾

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٥٠.

(٢) الجامع ص ١٧٢.

(٣) ينظر: الجعبري: جميلة أرباب المراصد ص ٧٥٨، والقلقشندي: صبح الأعشى ١٦٢/٣.

(٤) ينظر: الداني: المحكم ص ٤٩، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ٥٠.

(٥) ينظر: صبح الأعشى ١٦٣/٣.

(٦) المطالع النصرية ص ٢٠٨.

[النور: ٣٥]، و﴿الشَّوْءُ﴾ [النساء: ١٧]، و﴿الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ^(١).

ووصف ابن وثيق علامة المد بقوله: «واعلم أن صورة المد تُجَعَلُ بالحمرة كالميم الصغرى ممدودة، في آخرها دال صغرى هكذا (مد)...» ^(٢). وقد يكون هذا هو أصل علامة المد، لكن لم تُعَدِ الميم والدال متميزتين في هذه العلامة.

ولم يشتهر استعمال علامة المد في الرسم القياسي في الموضع الذي تستعمل فيه في المصاحف، ولكنها استعملت للدلالة على الهمزة التي تليها ألف في مثل (آخِرَ)، و(آمَنَ)، و(القرآنَ)، وهذه الكلمات ترسم في أكثر المصاحف هكذا: ﴿ءَاخِرَ﴾ و﴿ءَامَنَ﴾ و﴿الْقُرْءَانَ﴾.

٦ - علامة الهمزة:

تقدمت الإشارة إلى أن رمز الألف (ا) هو رمز الهمزة القديم في لغة أهل التحقيق، واستعمل أهل التسهيل لتمثيل الهمزة ما تؤول إليه في النطق من ألف أو واو أو ياء، ورُسِمَتِ الهمزة في المصحف العثماني على لغة أهل التسهيل على الرأي الراجح، فمن قرأ بالتسهيل وافق المرسوم موافقة صريحة، ومن قرأ بالتحقيق وافق المرسوم تقديراً، واحتاج إلى وضع علامة على حروف المد لتمييز ما يُهَمَزُ منها، وما ليس أصله الهمز.

واستعمل أهل الضبط المتقدمون نقطة للدلالة على الهمزة، فإن كانت محققة كانت النقطة صفراء، وإن كانت مسهلة كانت النقطة حمراء ^(٣)، قال الخَرَّازُ في منظومته في الضبط ^(٤):

فَضَبُّطُ مَا حُقِّقَ بِالصَّفْرَاءِ نَقْطٌ وَمَا سُهِّلَ بِالْحَمْرَاءِ

وكان الخليل بن أحمد حين اخترع علامات الحركات قد وضع علامة

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٥٤، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ١٠٩، والتنسي:

الطراز ص ١٠٩، والضباع: سمير الطالبين ٥٧٤/٢.

(٢) الجامع ص ١٧٠.

(٣) ينظر: الداني: المحكم ص ٩١، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ١٣٠ و ١٣٤.

(٤) ينظر: التنسي: الطراز ص ١٥٤.

للهمزة أيضاً لِيُسْتَعْمَلَ مكان النقطة الحمراء أو الصفراء، وهي طائفة مأخوذة من حرف العين، أو هي عين بلا عَرَاقَةَ، وذلك لقرب مخرج الهمزة من العين^(١)، وأشار ابن درستويه إلى أن الخليل حين وضع هذه العلامة قصد إلى استخدامها حرفاً مستقلاً يمثل الهمزة، فاتخذ الناس تلك العلامة شكلاً يوضع فوق الحروف الثلاثة، شأنها شأن الحركات، وذلك حيث قال: «وهي الصورة التي وضعها الخليل للهمز، فلم يستعملها الناس وكتبوا الهمز على صورة حروف اللين، وصَيَّرُوا ما وضعه الخليل شكلاً له»^(٢).

ونظراً لتفاوت موضع الهمزة من حروف اللين الثلاثة، فقد تأتي قبلها أو بعدها أو في موضعها، فإن علماء العربية وأهل الضبط ابتكروا طريقة لتحديد مكان علامة الهمزة من الحروف الثلاثة، وهي امتحان موضع الهمزة بالعين، قال الداني: «إجماع أئمة القراءة وعلماء العربية على أن موضع الهمزة من الكلمة يُمْتَحَنُ بالعين، فحيثما استقرت العين فهو موضع الهمزة»^(٣)، وقال الخراز في منظومته في الضبط^(٤):

ثم اْمْتَحِنُ مَوْضِعَهُ بِالْعَيْنِ حيثُ اسْتَقَرَّتْ ضَعْفُهُ دُونَ مَيِّنِ
كَعَامَنُو فِي آمَنُوا وَالسُّوعِ فِي السُّوءِ وَالْمُسِيءِ كَالْمُسِيَعِ
وَحُصِّتِ الْعَيْنُ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ شِدَّةٍ وَقُرْبٍ مَخْرَجِيهِمَا

ومما له علاقة بعلامة الهمزة الحديث عن علامة همزة الوصل، وهي همزة على الحقيقة، لكنها تثبت في أول الكلام وتسقط في دَرَجِهِ، ولها مواضع مخصوصة في الحروف والأفعال والأسماء^(٥)، وخصَّها علماء الضبط بعلامة تميزها عن همزة القطع، وكان للمتقدمين من نُّقَاتِ المصاحف مذهباً في علامة همزة الوصل، هما:

(١) ينظر: ابن درستويه: كتاب الكتاب ص ٩٩.

(٢) كتاب الكُتَابِ ص ٩٩، وتنظر: ص ١١٤.

(٣) المحكم ص ١٤٦، وينظر: المقنع (له) ص ١٤٣، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ١٢٨.

(٤) ينظر: التنسي: الطراز ص ١٨٢.

(٥) ينظر: ابن جني: سر صناعة الإعراب ١/ ١٢٦ - ١٣٠.

الأول: وهو مذهب أهل المغرب، جَرَّةٌ لطيفة حمراء كالجَرَّة التي هي علامة السكون، كما يقول الداني^(١)، أو على صورة الفتحة كما يقول ابن وثيق^(٢).

الثاني: وهو مذهب قدماء الناطقين من المشاركة الذين جعلوا علامة همزة الوصل دالاً مقلوبة كالتالي يُحَلَّقُ بها على الكلام الزائد في الكتب، دلالة على سقوطه وزيادته^(٣).

أما على مذهب أهل العربية فإن علامة همزة الوصل رأس صاد، قال ابن درستويه: «وعلامة ألف الوصل صاد غير مُعَرَّفَةٍ ولا مُحَقَّقَةٍ، مأخوذة من الوصل»^(٤)، وقال القلقشندي: «وأما المتأخرون فإنهم رسموا لذلك صاداً لطيفة إشارة على الوصل، وجعلوها بأعلى الحرف دائماً، ولم يراعوا في ذلك الحركات، اكتفاء باللفظ»^(٥)، وهذا هو المعمول به في ضبط المصاحف في بلدان المشرق الإسلامي.

* * *

ومما اعتنى به علماء الضبط نَقْطُ ما نقص هجاؤه أو زيد فيه، وذلك بإلحاق المحذوف في موضعه بالحمرة قديماً، وبلون الكتابة في زماننا، لكن بحرف صغير إشارة إلى عدم إثباته في الرسم العثماني، وبوضع علامة على الحرف الزائد دارة فوقه^(٦)، وذلك كما في ﴿الْعَالَمِينَ﴾ و﴿يَسْتَوُونَ﴾ و﴿يُحْيِي﴾، وفي مثل: ﴿مِائَةٌ﴾ و﴿بِأَيْدِي﴾ و﴿أُولَئِكَ﴾.

(١) المحكم ص ٨٥، وينظر: أبو داود: كتاب أصول الضبط ص ٥٨.

(٢) الجامع ص ١٧٧.

(٣) ينظر: الداني: المحكم ص ٨٦، وأبو داود: كتاب أصول الضبط ص ٦٦.

(٤) كتاب الكُتَّاب ص ٩٩.

(٥) صبح الأعشى ٣/ ١٧٠.

(٦) ينظر: الداني: المحكم ص ١٧٤ - ١٩٢، والمقنع (له) ص ١٣٨ - ١٤٣، وأبو داود:

كتاب أصول الضبط ص ٢١٠ - ٢٢٤، والتنسي: الطراز ص ٢٥٩ و ٣٣٤، والضباع:

سمير الطالبين ٢/ ٦٥٢ - ٦٥٠.

ولعل الدارس يدرك من خلال هذه الإمامة بعلم الضبط تاريخاً وعلاماتٍ مقدار الجهد الذي بذله علماء السلف لضبط الكتابة في المصحف، حتى لا يبقى حرف من غير ضبط أو علامة، وكان المتقدمون من علماء الضبط لا يرون أن تضبط جميع الحروف، فقال ابن مجاهد: «وليس على كُلِّ حَرْفٍ يَفْعُ الشُّكْلُ، إنما يَفْعُ على ما إذا لم يُشكَّلِ التَّبَسُّ»^(١)، لكن العلماء بعده مالوا إلى ضبط كل حرف، فقال الداني: «وإذا كان سَبَبَ نَقْطِ المصاحف تصحيحُ القراءة وتحقيقُ الألفاظ... فسيبيلُ كُلِّ حَرْفٍ أن يُوَفِّي حَقَّهُ بالنَّقْطِ مما يستحقه من الحركة والسكون والشد والمد والهمز وغير ذلك، ولا يُخَصُّ ببعض ذلك دُونَ كُلِّهِ»^(٢).

(١) نقلاً عن: الداني: المحكم ص ٢٣.

(٢) المحكم ص ٥٦.

خلاصة

- ١ يُدرّس علم الضبط العلامات التي زيدت على الرسم العثماني، وسُمّي في القرون الأولى علم النقط والشكل.
- ٢ نشأ علم النقط والشكل على يد علماء التابعين الذين اجتهدوا في اختراع علامات لتساعد في ضبط القراءة.
- ٣ أشهر الكتب المؤلفة في علم النقط والشكل كتاب «المحكم في نطق المصاحف» لأبي عمرو الداني، وأشهر منظوماته «أرجوزة الخراز».
- ٤ استعمل أبو الأسود الدؤلي النقاط الخمسة للدلالة على الحركات والتونين، وسُمّي عمله بنقط الإعراب أو النقط المدور.
- ٥ اخترع الخليل بن أحمد علامات للحركات مشتقة من حروف المد، لتحل محل نقاط الإعراب التي استعملها الدؤلي، وسُمّي عمله بالشكل أو النقط المستطيل.
- ٦ اخترع الخليل إلى جانب الحركات علامات للهمزة والتشديد والروم والإشمام.
- ٧ حلت العلامات التي اخترعها الخليل محل نقاط الإعراب التي استعملها الدؤلي في المصحف.
- ٨ لم تنفق الروايات على تاريخ محدد لاستعمال نقاط الإعجام في الكتابة العربية، وهناك تعارض بين ما تدل عليه النقوش وما ورد في بعض الروايات.
- ٩ أشهر الروايات تشير إلى أن نصر بن عاصم الليثي البصري تلميذ الدؤلي هو الذي اخترع نقاط الإعجام.
- ١٠ استقر استعمال علامات الحركات التي اخترعها الخليل بن أحمد في الكتابة العربية في المصاحف وغيرها.

- ١١ السكون عدم الحركة، وله عدة علامات أشهرها: رأس خاء من أول كلمة (خفيف)، ودارة صغيرة، وهي علامة الصفر عند أهل الحساب.
- ١٢ التنوين نون ساكنة زائدة تلحق آخر الاسم، تثبت وصلًا لا وقفًا، ولفظًا لا خطأ، واستعمل له الدولي نقطتين، وحلت محلها حركتان من الحركات التي اخترعها الخليل.
- ١٣ لأهل الضبط مذاهب في طريقة وضع الحركتين الداليتين على التنوين، فإذا وقع بعده أحد حروف الحلق رُيَسِّتْ الحركتان متراكبتين، وإذا وقع بعده غيرها من الحروف رُيَسِّتْ الحركتان متتابعتين.
- ١٤ التشديد علامة تكرر حرفين من جنس واحد، وله علامتان، الأولى: رأس الشين أول كلمة شديد، والثانية: دال فوق الحرف أو تحته آخر كلمة شديد.
- ١٥ استعمل علماء الضبط علامة تدل على زيادة المد في حروف المد، وهي مشتقة من كلمة (مد).
- ١٦ استعمل علماء الضبط رأس العين للدلالة على همزة القطع، ورأس صاد للدلالة على همزة الوصل.
- ١٧ اعتنى علماء الضبط بالحاق الحروف المحذوفة من الرسم في مواضعها باللون الأحمر قديماً وبحرف صغير بلون الكتابة في العصر الحديث.
- ١٨ اعتنى علماء الضبط بالإشارة إلى الحروف الزائدة في الرسم بوضع دارة صغيرة تدل على ذلك.

أسئلة تقويمية

- ١ س عرّف مصطلح الضبط لغة واصطلاحاً.
- ٢ س ما المصطلح الذي أُطلق على علم الضبط في القرون الهجرية الأولى.
- ٣ س ما سبب تجرد المصاحف العثمانية من العلامات.
- ٤ س يُطلق مصطلح النُقْط في التراث اللغوي العربي على معنيين، اذكرهما.
- ٥ س من الذي اخترع النقط المُدَوَّر، وكيف يُسْتَعْمَلُ؟
- ٦ س من الذي اخترع النقط المستطيل، وكيف يُسْتَعْمَلُ؟
- ٧ س أي النظامين استمر في الاستعمال: النقط المدور أو النقط المستطيل، ولماذا؟
- ٨ س ما أشهر الأقوال في مبدأ استعمال نقاط الإعجام في الكتابة العربية؟
- ٩ س ما دلالة النقوش العربية القديمة على تاريخ استعمال نقاط الإعجام في الكتابة العربية؟
- ١٠ س من أين أُخِذَت علامات الحركات في الكتابة العربية.
- ١١ س عرّف السكون، ثم اذكر أشهر العلامات المستعملة للدلالة عليه.
- ١٢ س عرّف التنوين، ثم اذكر العلامات الدالة عليه، وكيف تُسْتَعْمَلُ في المصحف.
- ١٣ س عرّف التشديد، ثم اذكر أشهر العلامات المستعملة للدلالة عليه.
- ١٤ س ما العلامة المستعملة للدلالة على المد الزائد في المصحف، وما أصلها؟
- ١٥ س ما أنواع الهمزة في اللغة العربية، وما العلامات المستعملة للدلالة عليها؟
- ١٦ س ما موقف علماء الضبط من الحروف المحذوفة من الرسم والحروف الزائدة؟

تطبيق عملي

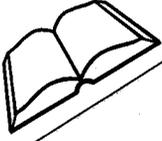
اقرأ قوله تعالى [من سورة آل عمران الآية ١ - ٩]:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المر ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْغَنِيُّ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾ مِنْ قَبْلِ هَذِهِ لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ مِنَ الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٧﴾ فَالَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٨﴾ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٩﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١٠﴾

ثم عيِّنْ شَكْلَ العَلَامَاتِ الْآتِيَةِ:

- ١ - الحركات الثلاث.
- ٢ - التنوين المرفوع والمنصوب والمجرور، ودلالة طريقة رسمه.
- ٣ - علامة همزة القطع وهمزة الوصل.
- ٤ - علامة المد.
- ٥ - علامة السكون.
- ٦ - علامة الشدة.
- ٧ - علامة الحرف الزائد.
- ٨ - علامة الحروف المحذوفة.



المبحث الثاني

دراسة تحليلية لنماذج مصورة من المصاحف

يتضمن هذا المبحث دراسة لنماذج مصورة من عدد من المصاحف تعكس مراحل تطور الخط والعلامات المستعملة في المصاحف، من مرحلة المصاحف المجردة إلى مرحلة المصاحف الكاملة الضبط، ويمكن أن تتحقق من خلال هذه الدراسة ثلاثة أمور:

١ - التَّمَرُّسُ على قراءة الخطوط القديمة التي كُتِبَتْ بها المصاحف الأولى، والتي غلب عليها الخط الحجازي المائل والخط الكوفي ذو الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة، قبل أن تتحول إلى خط النسخ.

٢ - الوقوف على ما لَحِقَ المصاحف في صورتها المجردة الأولى من إضافات على الخط من نَقْطٍ وَشَكْلِ، وغيره من فواتح السور وأعداد الآي والأجزاء.

٣ - الوقوف على ما يدل دلالة حسية على أن نص القرآن الكريم لم يلحقه تغيير منذ أن كتبه الصحابة - رضوان الله عليهم - حتى عصرنا الحاضر، وما لَحِقَ المصحف من تغيرات يتعلق بتقاليد الكتابة ولا ينعكس على النص.

أولاً: نماذج مصورة من المصاحف المجردة:

كانت المصاحف العثمانية مجردة من العلامات التي نجدها الآن في المصاحف فوق الحروف أو تحتها، من الحركات ونقاط الإعجام، وكذلك من أسماء السور وأرقام الآيات والأجزاء والأحزاب، وهناك عدد من المصاحف القديمة المكتوبة على الرِّق في بعض المكتبات العالمية تبدو أقرب إلى صورة المصاحف الأولى، إذ إنها تكاد تخلو من جميع الإضافات التي لَحِقَتْ

بالمصاحف في القرن الأول الهجري وما بعده، وهي مكتوبة بالخط الكوفي القديم.

ولإعطاء فكرة واضحة عن صورة المصاحف في هذه المرحلة سوف أعرض صوراً من المصحف العثماني المحفوظ في جامع الحسين في القاهرة الذي قام بنشره الأستاذ الدكتور طيار آتي قولاج في إستانبول سنة (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، لاستخلاص أبرز خصائصه، بعد تعريف موجز به.

١ - تعريف موجز بالمصحف^(١):

النسخة الأصلية لهذا المصحف محفوظة في جامع الحسين في القاهرة، ويتألف من ١٠٨٧ ورقة، أبعاد صفحاته ٥٧ × ٦٨ سم، وارتفاعه ٤٠ سم، ووزنه ٨٠ كغم، وهو مكتوب على الرق، وفيه أربع ورقات ناقصة، وهو مكتوب بالخط الكوفي القديم، وهناك عشر ورقات أعيدت كتابتها بخط مغاير في وقت لاحق.

وعدد الأسطر في الصفحة الواحدة اثنا عشر سطرًا، إلا في الصفحات التي تبدأ فيها السور فيقل عدد الأسطر إلى أحد عشر سطرًا، وفي أحيان قليلة إلى عشرة أسطر، حيث يوجد بين السورتين فراغ قدر سطر أو سطرين يشغله شريط مزخرف.

وفي السطر الواحد ثلاث كلمات في الغالب، قد تزيد أو تقل بحسب عدد حروف الكلمات في السطر الواحد، وقد تتوزع حروف الكلمة الواحدة على آخر السطر وأول السطر الذي يليه، وقد يتكرر ذلك في الصفحة الواحدة في أكثر من موضع، وهذه سمة غالبية في المصاحف الأولى، والنقوش العربية القديمة.

والمصحف في شكله العام مُجرّد من الزيادات التي ألحقت بالمصاحف العثمانية في القرون الهجرية الأولى، وتظهر فيه العلامات الآتية:

(١) اعتمدت في التعريف بهذا المصحف على الدراسة التي كتبها الدكتور طيار آتي قولاج، وأثبتها في التقديم للنشرة التي أصدرها للمصحف (ص ١٣٣ - ١٤٥)، وعلى القراءة في المصحف نفسه في النسخة الإلكترونية والنسخة الورقية المنشورة له.

- ١ - نقاط الإعجام على شكل خطوط صغيرة تناسب مقاطع حروف الخط الكوفي، لكن هذه النقاط لا توضع دائماً، وقد تخلو صفحات كاملة منها.
- ٢ - بضعة خطوط قصيرة توضع عند رؤوس الآي، قد تكون ثلاثة أو أكثر، منضدة بعضها فوق بعض، بصورة مائلة غالباً، وقد لا تظهر تلك الخطوط في جميع المواضع.
- ٣ - علامة العشور التي توضع عند رأس كل عشر آيات، وهي على شكل مربع صغير مزخرف بألوان متعددة أو على شكل مستطيل، ولا توجد علامات للخموس.
- ٤ - شريط مزخرف بألوان متعددة بين كل سورتين، يخلو من الكتابات في داخله.

ووجود هذه العلامات في المصحف تحمل الدارس على التساؤل عن الحقبة التي يرجع إليها هذا المصحف، فهو لا يمكن أن يكون أحد المصاحف العثمانية الخمسة، حتى لو قلنا إن تلك العلامات قد أُضيفت إلى النسخة في حقبة لاحقة، يقول الأستاذ طيار آتي قولاج: «وعن رأينا نحن فلا يمكننا القول إن هذا المصحف الشريف واحد من مصاحف سيدنا عثمان... ويمكننا القول إن المصحف يرجع إلى النصف الثاني من القرن الهجري الأول (السابع الميلادي)... إن هذا المصحف قد تم نقله من أحد مصاحف عثمان أو من مصحف الكوفة الذي يقرب منه كثيراً، أو من نسخة منقولة من نسخة الكوفة»^(١).

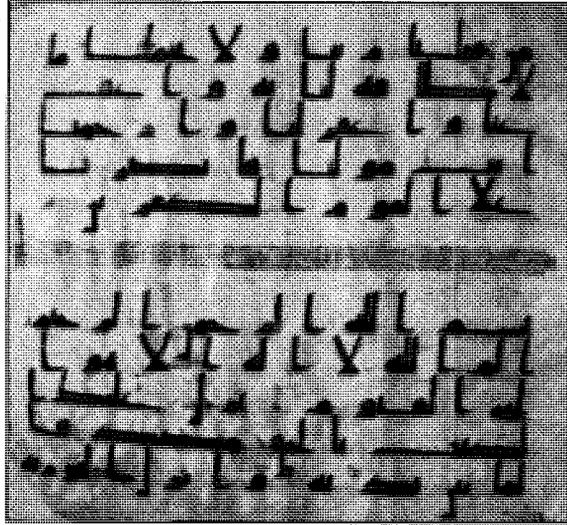
«... إن هذا المصحف - الذي نرى فيه نسخة كاملة - يدلنا على أن القرآن الكريم لم يُحفظ فقط بقراءة الحفاظ والمقرئين، وإنما حُفِظَ أيضاً بخطه ونصه المكتوب، ولا يزال بين أيدينا مثلما نزلَ به الوحي وكُتِبَ قبل أربعة عشر قرناً، وهذه المصاحف هي الشاهد الذي لا جدل فيه على رسوخ هذه الحقيقة»^(٢).

(١) المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة (الدراسة) ص ٢٤٣.

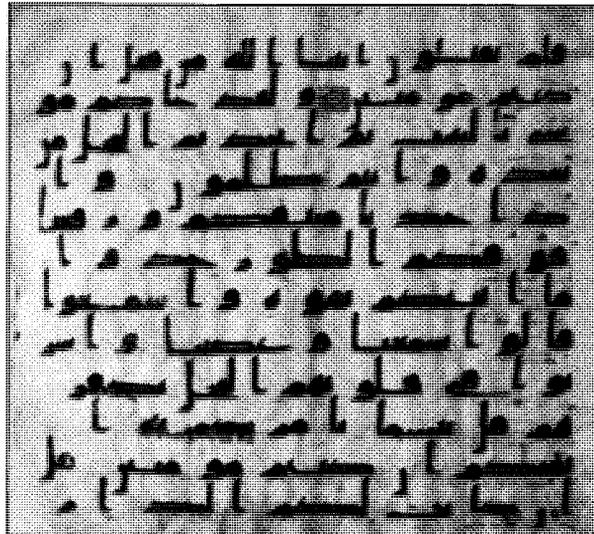
(٢) المصدر نفسه ص ١٤٤.

٢ - صور من المصحف:

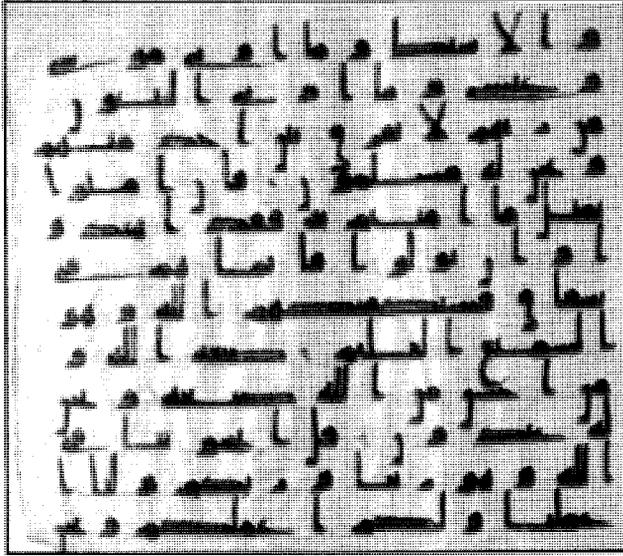
إن اختيار صفحات معدودة من مصحف يتجاوز عدد صفحاته ألفي صفحة لا يخلو من صعوبة، وسأختار ثلاث صفحات، واحدة تَظْهَرُ فيها فاتحة السور، والأخرى تظهر فيها علامة العشور، والثالثة تظهر فيها علامة رأس الآية:



آخر سورة البقرة وأول سورة آل عمران



من سورة البقرة من الآية ٩١ - ٩٤



من سورة البقرة من الآية ١٣٦ - ١٣٩

٣ - خصائص المصحف من خلال الصور الثلاث:

قد تبدو الصفحات الثلاث غير كافية لإعطاء صورة وافية لخصائص المصحف، لكنها في الواقع يمكن أن تُقدِّم للناظر فيها أهم تلك الخصائص من حيث الخط والرسم والعلامات:

١ - الخط:

وأعني به شكل الحروف، والمصحف مكتوب بالخط الكوفي، وهو من أقدم أنواع الخطوط العربية، وتكاد معظم الكتابات على الحجر التي ترجع إلى القرون الهجرية الأولى، ومعظم مصاحف القرون الثلاثة الهجرية الأولى - تكون مكتوبة بهذا الخط^(١)، ويغلب على حروفه الخطوط المستقيمة والزوايا القائمة، وإذا كانت الكوفة قد تأسست سنة (١٧هـ)^(٢)، فإن الخط المنسوب إليها قد يكون مَثُوراً عن الخط الحجازي (المكي والمدني)^(٣)، قال ابن النديم: «فأول الخطوط العربية: الخط المكي، وبعده المدني، ثم البصري،

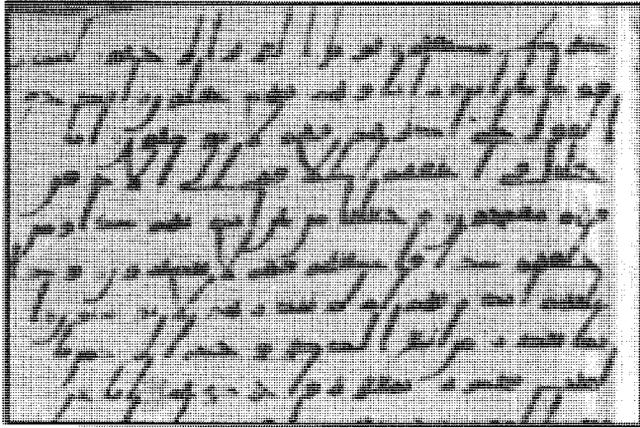
(١) ينظر: إبراهيم جمعة: دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ٢٨.

(٢) ينظر: تاريخ خليفة ١/١٢٩.

(٣) ينظر: صلاح الدين المنجد: دراسات في تاريخ الخط العربي ص ٧٨.

ثم الكوفي، فأما المكي والمدني ففي ألفاته تعويج إلى يمنة اليد وأعلى الأصابع، وفي شكله انضجاع يسير^(١).

وهناك بقايا من مصاحف قديمة مكتوبة بالخط الحجازي ذي الألفات المائلة نحو اليمين، وخطها أقرب ما يكون إلى الخط الكوفي، وهذه صورة لمقطع من صفحة من مصحف مكتوب بالخط المائل [من سورة يس ٤ - ١١]:



جزء من صفحة من مصحف قديم على الرق بالخط المائل

محفوظ في المتحف البريطاني رقم (٢١٦٥ or)

نقلًا عن المنجد (ص ٢٧)

ولا يصعب على القارئ ملاحظة تميز الخط الكوفي بالخطوط المستقيمة، والزوايا القائمة أو الحادة، والحلقات المستديرة، وسيكتشف علاقات جديدة لأشكال الحروف لم تعهدها عينه في الخطوط التي تُطَبَّعُ بها الكتب أو يَكْتُبُ بها بيده، فالكاف تشبه الدال والذال لا اللام، والنون إذا فُصِّلت تشبه الراء والزاي، والقاف إذا فصلت تشبه الواو وليس الفاء، وكان علماء العربية قد لاحظوا ذلك، كما يدل عليه قول الخليل بن أحمد الآتي الذي نقله الداني في (المحكم):

«وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: والفاء إذا وُصِّلت فَوْقَهَا واحدة، وإذا انفصلت لم تُنْقَطْ لأنها لا يلبسها شيء من الصور.

(١) الفهرست ص ٩.

والقاف إذا وُصِلَتْ فَتَحَّتْهَا واحدة، وقد نَقَطَهَا ناس من فوقها اثنتين، فإذا فُصِلَتْ لم تُنْقَطْ؛ لأن صورتها أعظم من صورة الواو، فاستغنوا بِعِظَمِ صورتها عن النقط.

والكاف لا تنقط؛ لأنها أعظم من الدال والذال...

والنون إذا وَصِلَتْهَا فَوْقَهَا واحدة؛ لأنها تلتبس بالباء والتاء والشاء، فإذا فُصِلَتْ لم تُنْقَطْ، استغنوا بِعِظَمِ صورتها؛ لأن صورتها أعظم من الراء والزاي... والياء إذا وُصِلَتْ نَقِطَتْ تَحْتَهَا اثنتين، لثلا تلتبس بما مضى، فإذا فُصِلَتْ لم تُنْقَطْ»^(١).

٢ - الرسم:

وأعني به هجاء الكلمات، وموضوع الكتاب الذي بين يديك هو بيان رسم المصاحف العثمانية، وتقدّم في الفصل الثالث بيان قواعده، وما ورد في الصفحات الثلاث يتطابق مع ما أثبتته علماء الرسم في مؤلفاتهم، إلا ما جاء في الآية الأخيرة من سورة البقرة من رسم كلمة (على) بالألف الممدودة (علا)، وهي ظاهرة شائعة في هذا المصحف، وفي عدد من المصاحف القديمة الأخرى^(٢).

وكذلك رسمت ﴿أَنحَاوُنَا﴾ في البقرة [١٣٩] بحذف الألف، وهي في مصحف المدينة بإثباتها.

وفي الصفحات الثلاث عدد من الكلمات التي توزعت حروفها على سطرين، مثل (ا/لحي) و(ا/لكتاب) في أول آل عمران، ومثل (مو/سى)، و(ا/ذ)، و(أشِر/بوا)، و(بكفر/هم)، و(أ/عمالنا) في البقرة [١٣٦ - ١٣٩]، وهي ظاهرة شائعة في المصاحف الأولى، وفي النقوش العربية القديمة أيضاً^(٣).

(١) المحكم ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) ينظر: المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه (نسخة المشهد الحسيني بالقاهرة)، قسم الدراسة ص ١٣٨.

(٣) ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى ٣/١٤٥، وكتابي: رسم المصحف ص ٤٤٩ - ٤٥١.

ولا يمكن الإحاطة في هذه الصفحات ومن خلال الصفحات الثلاث التي نقلنا صورتها بخصائص هذا المصحف الذي تجاوزت صفحاته الألفي صفحة، ولكن حسبنا أنا وضعنا بين يدي الدارس أهم تلك الخصائص^(١).

٣ - العلامات:

كانت المصاحف العثمانية الأولى مجردة من العلامات، وكَرِهَ بعض الصحابة الزيادة فيها، وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: «جَرِّدُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَخْلَطُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ»^(٢)، وَتَرَخَّصَ علماء التابعين وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ فِي نَقْطِ الْمَصَاحِفِ لِلضَّرُورَةِ، وَكَذَلِكَ تَرَخَّصُوا فِي وَضْعِ عِلَامَاتٍ تَدُلُّ عَلَى أَعْدَادِ الْآيِ وَرُؤُوسِهَا، وَفَوَاتِحِ السُّورِ وَخَوَاتِيمِهَا، كَمَا تَقَدَّمَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ.

وفي الصفحات الثلاث من مصحف جامع الحسين في القاهرة التي نقلنا صورتها في الكتاب بعض العلامات، وإن كان المصحف خالياً من علامات الحركات، لكن ظهرت فيه نقاط الإعجام ورؤوس الآي وعلامات العُشُور، وفواتح السور.

أ - نِقَاطُ الْإِعْجَام:

ظهرت نقاط الإعجام على عدد من الحروف في الصفحات الثلاث، خاصة النون والفاء، وذكر ناشر المصحف الدكتور طيار آتتي قولاً أن نقاط الإعجام مستخدمة مع جميع الحروف التي من شأنها أن تُعْجَمَ، بطريقة الخطوط الصغيرة المائلة قليلاً، لكن لم تستخدم إلا في مواضع قليلة هنا وهناك، وَنُقِطَتِ الْقَافُ بِوَاحِدَةٍ مِنْ أَسْفَلٍ بَدَلًا مِنْ نَقْطَتَيْنِ مِنْ أَعْلَى^(٣).

(١) أنجز الأستاذ إياد سالم السامرائي أطروحته للدكتوراه عن مصحف جامع الحسين في القاهرة، ودراسة خصائصه الكتابية، في قسم اللغة العربية، بكلية التربية بجامعة تكريت.

(٢) أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٩٢، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٥٥٧، والداني: المحكم ص ١٠.

(٣) ينظر: المصحف الشريف (الدراسة) ص ١٣٦.

ب - رؤوس الآي وعلامات العُشور:

التزم كاتب المصحف بوضع خطوط مائلة قصيرة عند رؤوس الآي ، في الغالب، ووضع شكل مربع أو مستطيل ملون عند رأس كل عشر آيات بهذه الصورة ، كما يظهر ذلك في الصفحات الثلاث التي نقلنا صورتها في ما تقدّم، وهو ما يسمى بالتعشير.

وعلامات رؤوس الآي من أوائل العلامات التي أُدخِلت في المصاحف في عصر التابعين، ونقل أبو عبيد القاسم بن سَلَام عن يحيى بن أبي كثير (ت ١٣٢هـ) أنه قال: «ما كانوا يعرفون شيئاً مما أُخِذت في المصاحف، إلا هذه النُقْط الثلاث عند رؤوس الآيات»^(١).

ونقل أبو عبيد أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كان يكره التعشير في المصحف، وكذلك مجاهد بن جبر، ومحمد بن سيرين^(٢)، وذكر الداني أن الإمام مالك بن أنس سُئِلَ عن العشور التي تكون في المصحف بالحمرة وغيرها من الألوان، فكره ذلك، وقال: تعشير المصحف بالحبر لا بأس به^(٣)، ونَقَلَ عن الأوزاعي أنه قال: «سمعت قتادة (ت ١١٧هـ) يقول: بَدَّؤُوا فَنَقَطُوا، ثم خَمَّسُوا ثم عَشَرُوا، قال أبو عمرو: وهذا يدل على التَّرْخُصِ في ذلك والسَّعَةِ فيه»^(٤).

ولم ألحظ في المصحف علامات للخموس أو الأجزاء والأحزاب، وهو ما سنجد في مصاحف تعود إلى فترة لاحقة.

٤ - الفواتح والخواتم:

كانت المصاحف العثمانية الأولى خالية من فواتح السور وخواتمها،

(١) فضائل القرآن ص ٣٩٥، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٥٧٥، والداني: المحكم ص ١٧.

(٢) فضائل القرآن ص ٣٩٤، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٥٥٣، والداني: المحكم ص ١٤ - ١٥.

(٣) المحكم ص ١٥، والبيان (له) ص ١٣٠.

(٤) المحكم ص ١٥، والبيان (له) ص ١٣٠.

ويُكْتَفَى بترك فراغ بين السور مقدار سطر واحد، كما يظهر في هذه الصفحة، وفيها آخر سورة الفتح وأول الحجرات:



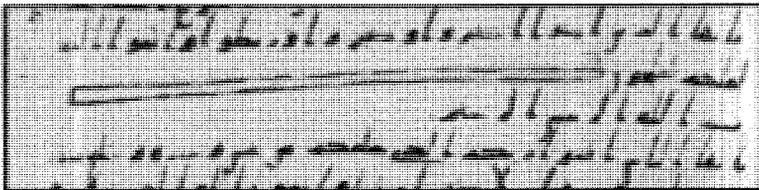
صورة من صفحة من مصحف قديم في متحف الآثار الإسلامية في إستانبول

رقم ٣٦٤ من مجموعة الوثائق الأموية

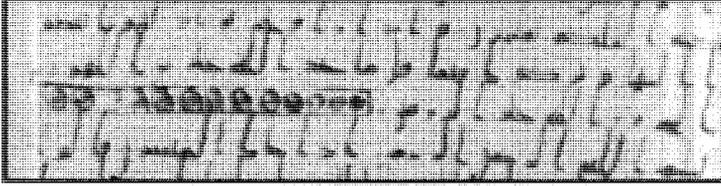
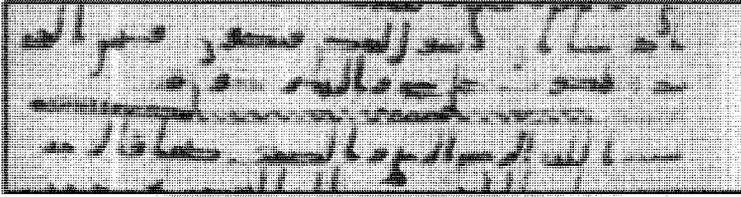
نقلًا عن المنجد ص ٩٥

وشهد عصر التابعين إضافة الفواتح للسور، وبعض العلماء يُسَمِّيهَا الخواتم، لكن استقر الحال على أنها فواتح للسور كُتِبَ فيها في عصور لاحقة أسماء السور وعدد آياتها ومكان نزولها، وكَرِهَ ذلك عدد من علماء التابعين كما كرهوا العواشر^(١).

ثم ترخَّص العلماء في الفواتح، كما ترخصوا في العواشر ونحوها^(٢)، ويبدو أن الفواتح الأولى كانت مجرد خطين يُشكِّلَانِ مستطيلًا يملأ الفراغ بين السورتين، ثم ظهرت في داخله دوائر أو خط ثالث متعرج في داخل المستطيل على شكل السلسلة، كما يظهر في الصور الآتية:



(١) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٩٥، وابن أبي داود: كتاب المصاحف ص ٥٥٣ - ٥٥٥، والداني: المحكم ص ١٥، والبيان (له) ص ١٣٠.
(٢) ينظر: الداني: البيان ص ١٣١.



(نقلًا عن المنجد ص ٩٢ - ٩٤)

ونقل الداني: عن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢١٤هـ) تلميذ الإمام مالك أنه قال: «وأُخْرِجَ إلينا مالك مصحفًا مُحَلَّى بالفضة، ورأينا خواتمه من جِبْرِ، على عمل السلسلة في طول السطر، قال: ورَأَيْتُهُ مَعْجُومَ الآي بالحبر، وذكر أنه لجدّه، وأنه كَتَبَهُ إِذ كَتَبَ عثمان المصاحف»^(١).

وتبدو فواتح السور في مصحف جامع الحسين على شكل شريط مزخرف بعدة ألوان، كما يبدو ذلك في الصفحة التي نقلنا صورتها من المصحف وتتضمن آخر البقرة وأول آل عمران، ويمثل هذا الشريط مرحلة ثانية في تطور الفواتح التي سنجد فيها في مرحلة لاحقة أسماء السور، وعدد الآي، ومكان النزول.

وقد يتساءل الدارسُ عن مدى تمثيل مصحف جامع الحسين في القاهرة للمصاحف المجردة، بعد ما رأينا من وجود علامات متنوعة فيه، والجواب عن ذلك التساؤل يكون من خلال الإشارة إلى أن العلامات التي تضمنها المصحف قليلة لا تبتعد بالمصحف عن حالة المصاحف المجردة، ثم إن هذه العلامات قد تكون مضافة إليه لاحقاً، إلى جانب أن وجود مصحف كامل

(١) المحكم ص ١٧.

مجرد تماماً من جميع العلامات قد يندر وجوده، ومن ثم فإني آثرت دراسة مصحف القاهرة ممثلاً للمصاحف المجردة، على دراسة صفحات متعددة لا تنتمي إلى مصحف واحد، على أن خطة تأليف الكتاب منعتنا من إيراد صور أخرى من مصاحف مجردة، وأحسب أن ما أوردناه هنا يعطي صورة كافية للمصحف في مراحل الأولى.

ثانياً: نماذج مصورة من المصاحف المنقوطة:

لم تَمْضِ سنوات كثيرة على نسخ المصاحف العثمانية وتوزيعها على الأمصار حتى ظهرت الحاجة إلى ضبط المصاحف بالعلامات التي تدل على الحركات والعلامات المميزة للحروف المتشابهة في الصورة، للحيلولة دون وقوع القارئ فيها في اللحن، وقام علماء القراءات واللغة العربية الأوائل باختراع تلك العلامات واستخدموها في المصاحف وغيرها.

وتقدم الحديث عن تاريخ استعمال العلامات في الكتابة العربية في المبحث الأول من هذا الفصل، وتكاد آراء الباحثين تتفق على أن أول مَنْ ابتكر طريقة لتمثيل الحركات في الكتابة العربية هو أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو ت ٦٩هـ) الذي استعمل النُّقَاطَ الحمر للدلالة عليها.

واختلفت الأقوال في أصل نِقَاطِ الإعْجَامِ المُمَيِّزَةِ بين الحروف المتشابهة الصورة، وأشهر الأقوال في ذلك أن نصر بن عاصم الليثي البصري (ت ٩٠هـ) هو الذي نَقَطَ الحروف نِقَاطَ الإعْجَامِ، وذلك في سِنِيّ ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق بين سنتي (٧٥ - ٩٥هـ)، كما تقدم بيان ذلك.

وتحتفظ المكتبات في العالم بمصاحف كاملة أو بقايا من مصاحف تظهر فيها نِقَاطُ الإِعْرَابِ التي اخترعها أبو الأسود الدؤلي إلى جانب نِقَاطِ الإعْجَامِ المميزة للحروف المتشابهة في الصورة، ولا يتسع المقام لاستعراض صور من مصاحف متعددة تظهر فيها تلك النقط، وآثرت عرض نماذج مصورة من مصحف واحد من تلك المصاحف، وهو المصحف الشريف المنسوب إلى

عثمان بن عفان رضي الله عنه (نسخة متحف طوب قابي سرايي) في إستانبول، الذي نشره الدكتور طيار آتي قولاج سنة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، فهو يُقدّم نموذجاً متميزاً لنظام العلامات في صورته الأولى، مع إمكانية الاطلاع عليه، بعد نشره مُصَوِّراً، وسوف أتبع الخطوات ذاتها التي اتبعتها في عرض النماذج من المصاحف المجردة.

١ - تعريف موجز بالمصحف^(١):

تحتفظ مكتبة متحف (طوب قابي سرايي) بالنسخة الأصلية لهذا المصحف، تحت رقم (٣٢/٤٤)، ويقع في ٤٠٨ ورقات، أبعادها ٤١ × ٤٦ سم، وتضم كل صحيفة ثمانية عشر سطراً بشكل عام، إلا إذا كان في الصحيفة فاتحة سورة فإنها تنقص سطراً كتابياً واحداً ليحل محله الشريط المزخرف، ومعدل كلمات السطر الواحد خمس كلمات.

ويمكن اعتبار المصحف نسخة كاملة، مع أن النسخة سقطت منها ورقتان، وهناك عدد من الصفحات تصعب قراءتها بسبب انطماس الكتابة فيها واضمحلالها.

ويبدو على المصحف إتقان الصنعة في الرسم وفي وضع العلامات أكثر مما لاحظناه في مصحف القاهرة، ومن ثم فإن التاريخ الذي ترجع إليه النسخة هو أواخر القرن الهجري الأول وأوائل القرن الثاني^(٢).

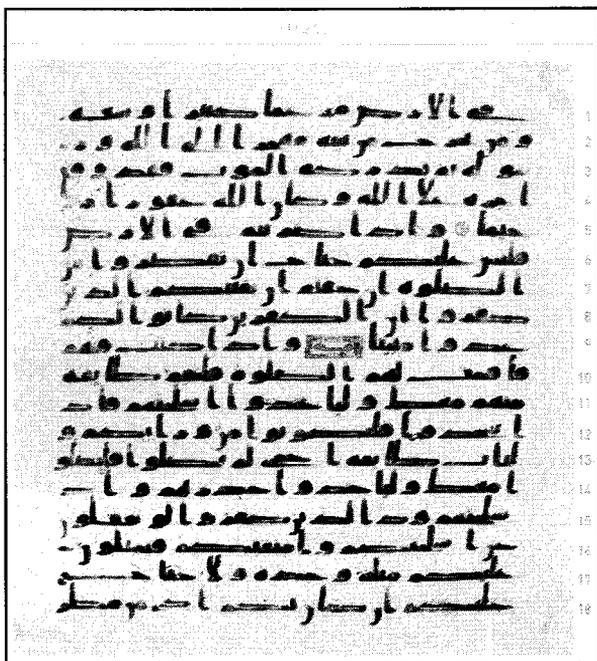
وسوف نتحدث عن خصائص المصحف بعد عرض نماذج مصورة منه.

٢ - صور من مصحف طوب قابي سرايي:

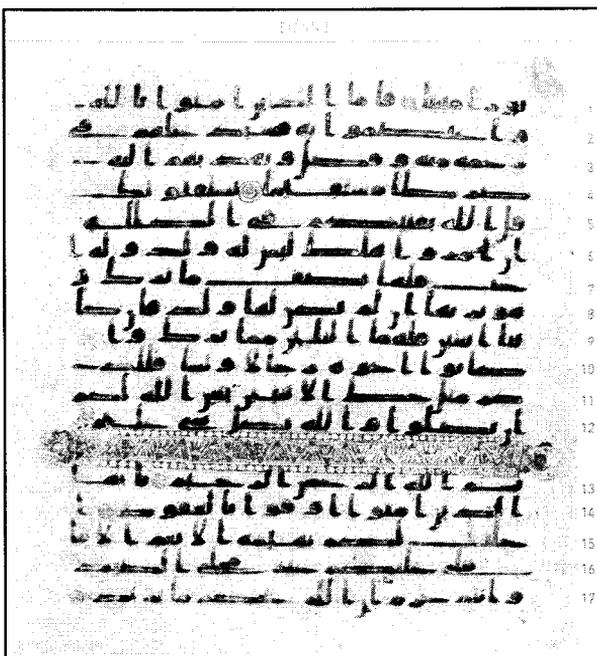
تبلغ صفحات هذا المصحف ٨١٦ صحيفة، تضررت الصفحات الأولى والأخيرة، مما جعلها صعبة القراءة، واخترت ثلاث صفحات واضحة الكتابة لعرض صورتها هنا لاستخلاص أهم خصائص هذا المصحف من خلالها، وهي:

(١) تنظر: الدراسة التي كتبها الدكتور طيار آتي قولاج في مقدمة المصحف ص ٧٩ - ٩١.

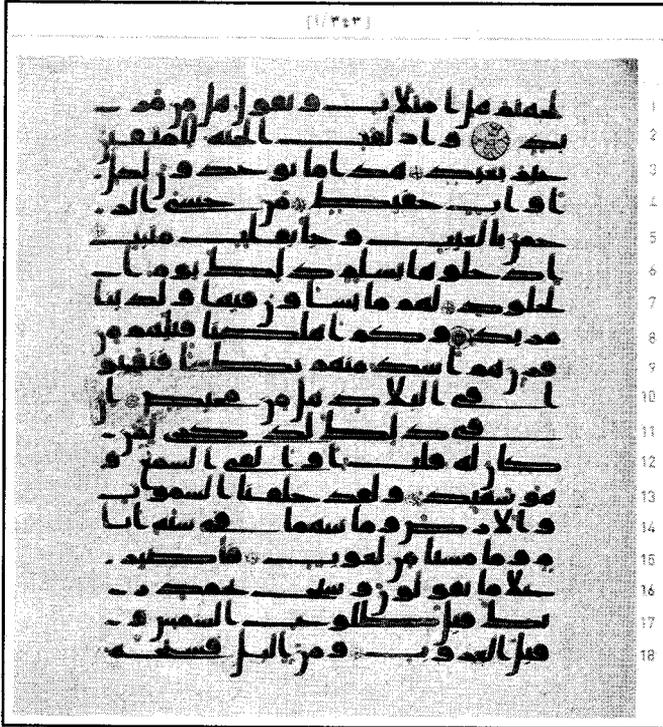
(٢) ينظر: المصدر السابق ص ٨٩.



سورة النساء ١٠٠ - ١٠٢



آخر النساء وأول المائدة



من سورة ق ٣٠ - ٤٠

٣ - خصائص المصحف من خلال الصور الثلاث:

١ - الخط:

المصحف مكتوب بالخط الكوفي، الذي استُعملَ في المصاحف في القرون الثلاثة الأولى، وهو يبدو بشكل جميل وامتقن، ويغلب على حروفه الإعجام، ونقطة الإعراب، ووضع رؤوس الآي، كما سنبين في الفقرة الثالثة عند الحديث عن العلامات في المصحف.

٢ - الرسم:

من خلال الموازنة بين رسم الكلمات في الصفحات الثلاث ونظيراتها في مصحف المدينة النبوية نلاحظ الفروق الآتية:

ت	مصحف المدينة	السورة والآية	مصحف طوب قابي	الاختلاف
١	﴿مُهَاجِرًا﴾	النساء ١٠٠	مهجرا	حذف الألف
٢	﴿عَلَى اللَّهِ﴾	النساء ١٠٠	علا الله	رسم الألف المقصورة ألفاً
٣	﴿الثُّلُثَانِ﴾	النساء ١٧٦	الثلثن	حذف الألف
٤	﴿الْبَلَدِ﴾	ق ٣٩	البلاد	إثبات الألف
٥	﴿عَلَى مَا﴾	ق ٣٩	علا ما	رسم الألف المقصورة ألفاً

وتمثل هذه الفروقات اتجاهات في إطار الرسم المصحفي، فثلاث كلمات تتعلق بإثبات الألف وحذفها، وهي ظاهرة شائعة في المصاحف العثمانية والكتابة العربية القديمة، وقد نص أبو داود أن ﴿الثُّلُثَانِ﴾ مُخْتَلَفٌ فِي رِسْمِهِ «فَكَتَبَهُ الصَّحَابَةُ بِأَلْفٍ وَبِغَيْرِ أَلْفٍ»^(١)، أما رسم (على) بالألف الممدودة فهو اتجاه سائد في المصاحف المخطوطة القديمة، وإن كان غير مشهور في كتب الرسم، وقد رأينا أمثلة له في مصحف القاهرة في النماذج المصورة التي عرضناها من قبل.

وتُظهِرُ فِي المصحف ظاهرة توزيع الكلمات على سطرين، كما لاحظنا ذلك في مصحف القاهرة، وقد يضع الكاتب شارحة (ـ) في آخر السطر إشارة إلى ذلك، وقد لا يضعها، وتظهر الشارحة في آخر بعض الأسطر من غير أن تكون هناك كلمة موزعة على السطرين، ولعل الكاتب يستخدم تلك الشارحة لملء الفراغ في آخر السطر.

إن هذا المصحف يمثل وثيقة قادمة من عهد يقرب كثيراً من جيل الصحابة في صورة مكتوبة وبالصفاء نفسه، وهو يُثَبِّتُ لَنَا حَقًّا وجود تطابق بين المصاحف التي نقرؤها اليوم والمصاحف التي كُتِبَتْ فِي عصور الإسلام

(١) مختصر التبيين ٢/٤٣٠.

الأولى، شأنه في ذلك شأن مصحف القاهرة، ويؤكد ذلك أن القرآن الكريم لا تحفظه صدور الحفاظ وحدهم، وإنما تحفظه أيضاً نصوصه المكتوبة وإملاؤه، وهو اليوم بين أيدينا بالصورة التي نزل بها قبل أربعة عشر قرناً، وهذه الوثائق المَدَوَّنة إنما هي في الوقت نفسه من التجليات الفعلية الملموسة للبيان الإلهي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] (١).

٣ - العلامات الكتابية:

يُقَدِّمُ مصحف طوب قابي نموذجاً كاملاً للعلامات التي اسْتُعْمِلَتْ في المصاحف بين النصف الثاني من القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني، سواء ذلك في ما يتعلق بعلامات الحركات، ونقاط الإعجام، ورؤوس الآي وعددها، وفواتح السور، وإليك البيان.

أ - علامات الحركات:

اسْتُعْمِلَ كاتب المصحف نقاط الإعراب التي اخترعها أبو الأسود الدؤلي، سواء في ذلك حركات الإعراب أم حركات بنية الكلمات، ولا تخلو كلمة في المصحف من نقطة أو أكثر من نقاط الحركات، باللون الأحمر، وبحجم واضح.

ولا يصعب على القارئ ملاحظة النقاط الحُرْمِ فوق الحروف للفتحة، وتحتها للكسرة، وأمامها أو بين يديها للضمة، كما لا يخفى عليه ملاحظة النقطتين الدالتين على التنوين وهما تبدوان مترابكتين أحياناً، ومتابعتين أحياناً، بحسب موضعهما من الحروف، وليس بحسب حكم التنوين في النطق، من إظهار وإخفاء وإدغام وإقلاب، كما نص علماء الضبط في العصور اللاحقة (٢).

ولا تبدو في المصحف علامة للهمزة، ووضَع الكاتب نقطة حمراء في أعلى الألف التي هي صورة لهمزة القطع في أوائل الكلمات، على يمينها دلالة على فتحها، وأسفل منها إن كانت مكسورة، وأمامها إن كانت مضمومة،

(١) ينظر: طيار آتي قولاج: الدراسة الخاصة بمصحف طوب قابي سرايي ص ٩٠ - ٩١.

(٢) ينظر: الداني: المحكم ص ٦٨.

أما الهمزات المتوسطة فقد لاحظت أن الكاتب وضع نقطتين بالسواد تحت الياء في كلمة ﴿طَائِفَةٌ﴾ [النساء: ١٠٢] في الموضعين، دلالة على تسهيلها، وقد يكون في ذلك دلالة على القراءة التي ضُبِطَ عليها المصحف، ويحتاج ذلك إلى دراسة أوسع مما تسمح به طبيعة هذا الكتاب.

ولا توجد في المصحف علامة للحرف المشدّد؛ لأن تلك العلامة لم تكن قد اخترعت على ما يبدو في العصر الذي كُتِبَ فيه المصحف؛ لأن اختراع علامة التشديد يُنسَبُ إلى الخليل بن أحمد المتوفى سنة (١٧٠هـ) كما تقدم في المبحث الأول.

ب - نِقَاطُ الإِعْجَامِ:

تبدو النقاط موضوعة على أغلب الحروف التي تحتاج إلى الإعجام لتمييزها عن مشابهاتها، وهي في الحقيقة ليست نقاطاً، وإنما هي خطوط صغيرة دقيقة بلون المداد الذي كُتِبَتْ به الحروف، وهي تستعمل بالطريقة التي نستعملها في كتابتنا اليوم من حيث عددها ومواضعها، إلا حرف القاف فإنه نُقِطَ بواحدة من أسفل، في حين تُنْقِطُ الفاء بواحدة من الأعلى، كما لاحظنا ذلك في مصحف القاهرة من قبل، وهو اتجاه قديم في نقط القاف، تَرَكَّهُ الكتابة العربية في ما بعد.

وليس هناك مقياس ثابت لِمَا يُعْجَمُ من الحروف، فتبدو بعض الكلمات كاملة الإعجام أحياناً، وتبدو كلمات أخرى خالية من الإعجام، أو أُعْجِمَ فيها حرف أو حرفان، وهذه مرحلة انتقالية في إعجام الحروف في المصاحف، فسجد أن جميع الحروف توضع عليها نِقَاطُ الإعجام في مرحلة لاحقة.

ج - علامات رؤوس الآي:

أَلْتَرَمَّ كاتب المصحف بوضع علامات رؤوس الآي في جميع مواضعها، واستعمل الدائرة المزخرفة الصغيرة بدلاً من النقاط الثلاث، أو الخطوط القصيرة المائلة.

وَأَسْتَعْمَلَ كاتب المصحف ثلاثة أنواع من الدوائر المزخرفة عند رؤوس

الآي: الصغيرة للإشارة إلى موضع رأس الآية، والمتوسطة للإشارة إلى الخموس؛ أي: انقضاء خمس آيات من أول السورة، أو من آخر علامة للخموس، والدائرة المزخرفة الكبيرة للدلالة على العشور؛ أي: انقضاء عشر آيات.

وأستعمل كاتب المصحف أيضاً علامة للمئة والمئتين من الآيات، وهي عبارة عن مستطيل مزخرف بالألوان وفي داخله كلمة [مئة] أو [مئتين] من غير زيادة ألف في الكلمتين، ويبدو أن الكاتب قد أخطأ في وضع كلمة [مئة] في سورة النساء، فقد جاءت عند رأس الآية مئة وواحدة، في العدد المثبت في مصحف المدينة النبوية، اللهم إلا أن يكون كاتب المصحف قد عدَّ البسملة آية، فقد وضع عند رأسها الدائرة المزخرفة، وكذلك فعل في جميع مواضع البسملة في المصحف، وهو خلاف مذهب العاديين.

ويظهر في الصورة التي نقلناها من المصحف وتتضمن آخر سورة النساء وأول المائدة علامة رأس الآية عند كلمة ﴿يَالْعُقُودِ﴾ التي لم يعدّها الكوفي، وعدّها غيره من أصحاب العدد^(١).

د - فواتح السور:

ألْتَمَزَ كاتب المصحف بترك فراغ بين آخر السورة وأول السورة التي تليها، وملء هذا الفراغ بشريط مزخرف بالألوان المتعددة، كما يظهر ذلك في الصورة التي نقلناها من المصحف لآخر سورة النساء وأول المائدة، لكن لم يلتزم كاتب المصحف بشكل واحد للشريط المزخرف الذي يفصل بين السورتين، فأحياناً يبدو على شكل دوائر مزخرفة مترابطة، وأخرى على شكل سلسلة متعرجة داخل الشريط، ولم تظهر في داخل الشريط أي كتابة تشير إلى اسم السورة، أو عدد آيها، أو مكان نزولها، كما سنجد ذلك في مصاحف من فترات لاحقة.

ومن الموضوعات الجديرة بالبحث في مصحف طوب قايي سرايي تحديد

(١) ينظر: الداني: البيان ص ١٤٩.

القراءة التي ضُبِّطَ عليها المصحف، وتقف في وجه دراسة هذا الموضوع عقبتهان، الأولى: أن المصحف غير مكتمل الضبط، فلا يتيح تحديد النطق المراد في كثير من المواضع، والثانية: أن القراءات في الحقة التي يرجع إليها المصحف لم تكن مقتصرة على السبع، بل ربما لم تكن بعض القراءات السبع قد تميزت في تلك الحقة، مما يفقدنا المثال الذي يمكن أن نقيس عليه القراءة التي ضُبِّطَ بها المصحف.

ثالثاً: نماذج مصورة من المصاحف المشكولة:

المصاحف المشكولة هي التي أَسْتُعْمِلَ فيها الشُّكْلُ؛ أي: الحركات بدلاً من نِقَاطِ الإعرابِ الحُمُرِ التي اخترعها أبو الأسود الدؤلي، ويُنَسَبُ وضع الحركات إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي، كما بينا ذلك من قبل.

ولم يَنْتَهَ استعمال نِقَاطِ الإعرابِ التي اخترعها أبو الأسود بعد أن وَضَعَ الخليل بن أحمد علامات الحركات، بل امتد استعمالها حتى القرن الثالث أو الرابع، ثم غلب استعمال علامات الحركات وزال استعمال النِقَاطِ الحمر، على تفصيل يطول ذكره هنا^(١).

وهناك مصاحف قديمة مشكولة كثيرة، ولعل مصحف ابن البواب أقدم مصحف كامل مشكول شكلاً تاماً، ومن ثم اخترت منه نماذج مصورة لإثباتها هنا واستخلاص دلالتها التاريخية والعلمية.

١ - تعريف بالمصحف:

تحفظ مكتبة تشسترتي بدبلن بالمخطوط الأصلي للمصحف تحت رقم (ك/١٦)، وهو بخط أبي الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب، المتوفى سنة (٤١٣هـ)^(٢)، كَتَبَهُ سنة (٣٩١هـ)، كما جاء في آخر المصحف، وهذه صورة خاتمته:

(١) ينظر: الداني: المحكم ص ٢٢ - ٢٣، وكتابي: رسم المصحف ص ٥١٦ - ٥٣٠.

(٢) ينظر: الزركلي: الأعلام ٣٠/٥.



صورة خاتمة مصحف ابن البواب

ويتألف المصحف من ٢٨١ ورقة^(١)، تبدأ سورة الفاتحة بظهر الورقة الرابعة، وتنتهي سورة الناس بظهر الورقة ٢٧٨؛ أي: أن مجموع صفحاته (٥٦٢) صحيفة، في الصفحات الأولى والأخيرة من المصحف زخارف، وتتضمن ذكر عدد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه، وفي الصفحتين الأخيرتين من المصحف جدول بأعداد ما في المصحف من حروف المعجم. ويبلغ طول الصحيفة ١٧,٥سم وعرضها ١٣,٥سم، وفي كل صحيفة خمسة عشر سطرًا^(٢)، إلا إذا كان في الصحيفة فاتحة سورة فإنها تنقص سطرين، ومعدل كلمات السطر الواحد عشر كلمات.

وهو مكتوب على ورق متين متوسط السمك، وقد اكتسب على مرّ السنين اللون البنيّ النَّضِر، وهو اللون المُمَيِّز لمخطوطات ذلك العصر^(٣).

والمصحف تام الضبط، وفيه علامات أواخر الآي وعلامات الخموس والعشور والأجزاء، وأسماء السور وعدد آيها، وهو مكتوب بالخط اللَّيِّن الذي صار يُعْرَفُ بالنَّسْخ، وسوف نُفَصِّلُ القول في هذه الجوانب في المصحف، بعد أن نعرض صفحات منه.

(١) ورد في الدراسة التي كتبها المستشرق رايس أن المصحف يتألف من ٢٨٦ صفحة، وهو خطأ.

(٢) ينظر: رايس: المخطوط الوحيد لابن البواب ص ٢٣.

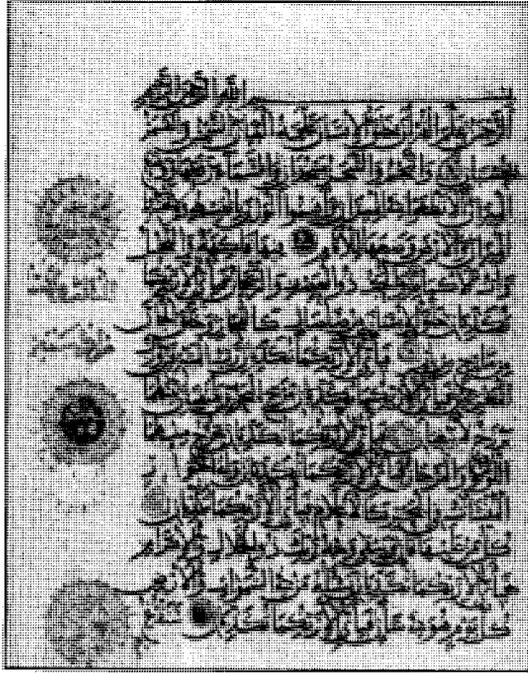
(٣) ينظر: المصدر نفسه.

٢ - صور من المصحف:

إنَّ عَيْنَ المتأمل في صفحات مصحف ابن الجواب لا تكاد تنصرف عن صحيفة إلا وتجذبها صحيفة أخرى، لجمال خطه ودقة ضبطه، وحسن زينته وألوانه، فهو تحفة رائعة يصعب اختيار صفحات معدودة للكشف عن كل خصائصه، ولكن طبيعة المنهج الذي انبنى عليه هذا الكتاب القائم على الاختصار جعلتني أختار ثلاث صفحات، هي الأولى والأخيرة وصحيفة ثلاثة من داخل المصحف.



فاتحة الكتاب وأول سورة البقرة



أول سورة الرحمن



آخر المصحف: سورة الإخلاص والقلق والناس

٣ - خصائص المصحف من خلال الصور الثلاث:

١ - الخط:

يغلب على الخط الذي استعمله ابن البواب في كتابة المصحف الليونة، فلم تُعد الحروف مستقيمة، ولا زواياها قائمة، كما كانت في الخط الكوفي، وسُمِّيَ هذا الخط بالريحاني الذي تطور عنه ما يُعرفُ بخط النسخ، واستعمل ابن البواب نوعاً من خط الثلث في عناوين الصفحتين الأوليين، واستعمل الخط الذهبي المُدَوَّرَ لبقية عناوين السور^(١).

وتحققت بذلك نقلة مهمة في شكل الخط العربي، في المصاحف وفي غيرها، خاصة في بلدان المشرق الإسلامي.

٢ - الرسم:

أول ما يلفتُ نظر القارئ في المصحف أن ابن البواب لم يلتزم فيه بالرسم العثماني في كثير من الكلمات التي لها رسم خاص، فَرَسَمَهَا على ما يقتضيه نُظْمَهَا، فأثبت أكثر الألفات المحذوفة من الرسم، وكتب الألف المرسومة واواً بالألف، وحذفت الحروف الزائدة في بعض الكلمات، ففي الصفحة الأولى من المصحف نجد الكلمات الآتية:

ت	مصحف المدينة	السورة والآية	مصحف ابن البواب	الاختلاف
١	﴿الْعَالَمِينَ﴾	الفاتحة ٢	العالمين	إثبات الألف
٢	﴿صِرَاطٌ... صِرَاطٌ﴾	الفاتحة ٦ - ٧	الصراط... صراط	إثبات الألف
٣	﴿الْكِتَابُ﴾	البقرة ٢	الكتاب	إثبات الألف
٤	﴿الصَّلَاةُ﴾	البقرة ٣	الصلاة	عدم رسم الألف واواً
٥	﴿رَزَقْنَاهُمْ﴾	البقرة ٣	رزقناهم	إثبات الألف

(١) ينظر: راييس: المخطوط الوحيد لابن البواب ص ٢٤، وهلال ناجي: ابن البواب

ويبدو أن ابن البواب أخذ برأي معاصره القاضي أبي بكر الباقلاني الذي أجاز كتابة المصحف بالإملاء الذي يكتب به الناس، فكما جاز للكُتَّاب أن ينقلوا الخط من الكوفي إلى النسخي جاز لهم أن يكتبوا المصحف بإملائهم، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك في الفصل الأول.

وقد يجد المتتبع مصاحف أخرى غير مصحف ابن البواب لم يلتزم كاتبوها بالرسم العثماني، لكن أقوال العلماء وفتاوى الفقهاء قديمة وحديثة لا تزال تدعو إلى الالتزام بالرسم العثماني في كتابة المصاحف حتى تحقق ذلك، والحمد لله.

٣ - العلامات الكتابية:

إن العلامات المستعملة في مصحف ابن البواب تمثل مرحلة النضج في الكتابة العربية، فكل حرف له علامةٌ مُميّزة من النُقْط أو الرِّقْم، ولكل حركة علامة، وإلى جانب العلامات الكتابية في المصحف علامات وكتابات تتعلق بعدد الآي والأجزاء وفواتح السور، وسوف نخصص هذه الفقرة للعلامات الكتابية ونتحدث عن الجوانب الأخرى في فقرة أخرى.

أ - الحركات:

استعمل ابن البواب علامات الخليل، وهي الضمة والفتحة والكسرة، وجعل علامة التنوين تكرير الحركة، لكنه في حالة التنوين مع الضمة يستعمل الفتحة فوق الضمة، كما يظهر ذلك في **الحكمة** في سورة الرحمن [١١]، و**الحمد** [٢٠] من السورة نفسها، وفي **الحمد** في سورة الإخلاص [١].

وتظهر في المصحف علامة التشديد رأس شين، وعلامة السكون دائرة صغيرة، وعلامة همزة القطع رأس عين، ولا تظهر في المصحف علامة همزة الوصل، فتركت ألف الوصل من غير علامة، وقد يكون ألف الوصل الحرف الوحيد الذي بقي من دون علامة في المصحف، واستعمل ابن البواب علامة المد (~) على حروف المد إذا جاءت بعدها همزة في كلمة واحدة.

ب - نقاط الإعجام:

استوفى ابن البواب وضع نقاط الإعجام على جميع الحروف المعجمة، وهو يستخدم نقطتين للقاف من أعلاها، وللفاء واحدة، ويبدو أن المذهب

القديم لنقط القاف بواحدة من أسفل الذي ظهر في المصاحف الأولى قد تُرك استعماله في عصر ابن البواب.

وذكر ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ) أن نَقَطَ الحروف على ضربين: نَقَطٌ مَحْضٌ؛ كنقط الباء والتاء والثاء والياء والنون، وَضَرْبٌ يَجْرِي مَجْرَى النَّقْطِ؛ كَرَقْمِ الحاء والراء والسين والصاد والعين والبدال والطاء، فَمِنَ الكُتَّابِ مَنْ يُحَدِّثُ لَهَا نَقْطاً مَخَالَفاً لِنَقْطِ مَا شَابَهَا مِنَ الحروفِ أو علاماتٍ أُخْرَى غير النقط، وهم أهل النحو والشعر والغريب، يريدون بذلك الاحتياط^(١).

وظهرت علامات الرِّقْمِ في مصحف ابن البواب واضحة على الحروف السبعة المذكورة، لكن علامات الرقم اختلفت من حرف إلى آخر، ومن موضع في المصحف إلى آخر.

علامة الحاء: حاء صغيرة تحت الحرف.

علامة العين: عين صغيرة تحت الحرف.

علامة الصاد: صاد صغيرة تحت الحرف، وقد تضاف فوق الحرف دال

صغيرة متجهة إلى الأعلى.

علامة الراء: دال صغيرة متجهة إلى الأعلى.

علامة السين: دال صغيرة متجهة إلى الأعلى، وقد يضاف تحت

الحرف ثلاث نقاط.

علامة الدال: نقطة واحدة تحت الحرف.

ولم تظهر على الطاء أي علامة من علامات الرقم.

٤ - فواتح السور، وأعداد الآيات والأجزاء:

أ - فواتح السور:

كَتَبَ ابن البواب قبل السورة في سطر منفرد اسم السورة وعدد آياتها بخط ذهبي كبير، وكتب بحاشية الصحيفة مكان نزولها، ولم يضع شريطاً مزخرفاً بين السورتين، إلا في أول الفاتحة والبقرة، واكتفى في السور الأخرى

(١) ينظر: كتاب الكُتَّاب ص ٩٥ - ٩٦.

برسم ما يشبه الزهرة بجانب السطر الذي فيه اسم السورة وعدد آياتها.

ب - عدد الآيات:

التزم ابن البواب بوضع ثلاث نقاط عند رأس كل آية، فإذا بلغت خمساً رسم دائرة مذهبة، فيها حرف الهاء الذي يشير في حساب الجُمَّل^(١) إلى عدد خمسة. فإذا بلغت الآيات عشراً وضع في داخل الدائرة حرف (ي) الذي يدل على عشرة في حساب الجُمَّل، فإذا انقضت خمس آيات أخرى وضع علامة (الْحَمْسِ)، فإذا مرَّتْ حَمْسٌ أُخْرَى وضع في داخل الدائرة حرف (ك) الذي يدل على عشرين في حساب الجُمَّل، وهكذا حتى آخر السورة، كما يظهر ذلك في صورة الصحيفة التي نقلناها من أول سورة الرحمن.

والتزم ابن البواب أن يضع في حاشية الصحيفة دائرة مزهرة في داخلها عدد الآيات العقود، فهو يضع في مقابل السطر الذي فيه الدائرة التي تضم حرف الياء كلمة (عشر) في داخل دائرة مزهرة، ثم (عشرون) ثم (ثلاثون) ثم (أربعون) إلخ، وذلك ظاهر في صورة الصحيفة المشار إليها.

ويبدو أن استعمال الحروف للدلالة على أعداد الآي قديم فقد روي عن ابن سيرين أنه كان يكره الفواتح والعواشر التي فيها قاف، كاف^(٢)، ويعني بذلك استعمال هذه الحروف للدلالة على عدد الآيات وفق حساب الجُمَّل.

ج - الأجزاء:

كتب ابن البواب في حاشية المصحف أرقام الأجزاء، فكتب مقابل نهاية الآية [٧٥] من سورة البقرة (الجزء الأول من أجزاء ستين)؛ أي: نهايته، وهو موضع بدء الجزء الثاني من هذه التجزئة.

وكتب في مقابل نهاية الآية [١٤١] من سورة البقرة: (الجزء الأول من ثلاثين، والثاني من ستين)، وهكذا مضى يشير إلى مواضع الأجزاء.

(١) حساب الجُمَّل: قال ابن منظور (لسان العرب ١٣/١٣٥ جمل): «وحساب الجُمَّل بتشديد الميم: الحروف المقطعة على أبجد...» ويراد به استعمال الحروف على الترتيب الأبجدي للدلالة على الأعداد فالألف واحد، والياء اثنان، والجيم ثلاثة... إلخ.

(٢) ينظر: أبو عبيد: فضائل القرآن ص ٣٩٥، والداني: المحكم ص ١٥.

وكتب في مقابل نهاية الآية [٢٦٦] من سورة البقرة: (نصف سبع) وكتب في مقابل نهاية الآية [٦١] من سورة النساء: (آخر السبع الأول).

وبذلك يكون ابن البواب قد نص على ثلاثة أنواع من التجزئة: الأسباع وأنصافها، وتجزئة ثلاثين، وتجزئة ستين، وكل ذلك مما نصَّ عليه علماء العدد^(١).

٥ - القراءة التي جرى عليها ضبط المصحف:

إن الشكل الكامل لحروف مصحف ابن البواب يساعد في تحديد القراءة التي ضُبطَ عليها المصحف، وإذا كنا قد وجدنا صعوبة في تحديد القراءة التي ضُبطَ عليها مصحف طوب قايي سرايي من ناحية عدم اكتمال الضبط في المصحف ومن ناحية تعدد القراءات في عصر كتابته، فإن كلتا العقبتين قد زالتا في مصحف ابن البواب، فإلى جانب الضبط الكامل للمصحف فإن القراءات التي كانت سائدة في عصر ابن البواب هي القراءات السبع التي اختارها ابن مجاهد بشكل خاص.

وحين وازنت بين ضبط المصحف في الكلمات المختلف فيها بين القراء وجدت أن الضبط يتناسب مع قراءة أبي عمرو بن العلاء، وتأكد لي ذلك بتتبع ما انفرد به أبو عمرو من قراءات في كتاب التيسير للداني، فوجدت التطابق بين ما ضُبطَ به المصحف وما قرأ به أبو عمرو.

مثال ذلك قراءة أبي عمرو ﴿بَارِكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] و﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ [البقرة: ٦٧] باختلاس الحركة عن طريق البغداديين^(٢)، لم يضع ابن البواب حركة الإعراب على الراء في الكلمتين ووضع مكانها خاء صغيرة (خ) دلالة على الاختلاس.

وانفرد أبو عمرو عن السبعة بقراءة ﴿عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ في البقرة [١٤٩] بالياء^(٣)، وكذلك ضُبطت في المصحف.

(١) ينظر: الداني: البيان ص ٣٠٣ و ٣١٧.

(٢) ينظر: الداني: التيسير ص ٧٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص ٧٧، والتهديب (له) ص ٧١.

وانفرد أبو عمرو بقراءة (قُلِ الْعَفْوَ) في البقرة [٢١٩] بالرفع^(١)، وكذلك ضُبِطَتْ في المصحف.

وانفرد أبو عمرو بفتح التاء وكسر الجيم من ﴿تُجْعَلُونَ فِيهِ﴾ في البقرة [٢٨١]^(٢)، وكذلك ضُبِطَتْ في المصحف.

وتتبع مواضع أخرى كثيرة في المصحف فوجدتها مطابقة لقراءة أبي عمرو بن العلاء، وبذلك يتأكد أن ابن البواب ضَبَطَ مصحفه بهذه القراءة، لكن يبدو أنه من الصعب تحديد الرواية التي ضَبَطَ عليها المصحف عن أبي عمرو، فتبدو أحياناً مطابقة لرواية أبي عُمَرَ الدوري، وأحياناً مطابقة لرواية أبي شعيب السوسي، وقد يكون الأمر بحاجة إلى تتبع أكثر في المصحف ومصادر القراءات.

* * *

وفي ختام هذه الدراسة للنماذج المصورة من مصاحف مجردة، ومنقوطة، ومشكولة، يمكن أن نقول بكل طمأنينة ويقين: إن المصاحف التي نقرأ بها القرآن اليوم تتطابق مع أقدم المصاحف التي تحتفظ بها مكتبات العالم، في رسمها وفي ترتيبها، وإذا ما لاحظ الدارس فوارق في هجاء بعض الكلمات فإن ذلك يعكس تقاليد كتابية ولا يعبر عن فوارق حقيقية تتعلق بنص القرآن الكريم.

ولا شك في أن هناك مجالاً واسعاً للبحث في المصاحف المخطوطة أكثر مما فعلناه هنا، لكن وضع النماذج المصورة التي تقدمت بجانب ما يقابلها من مصحف المدينة النبوية أو غيره من المصاحف المطبوعة في عصرنا يؤكد لنا الحقيقة القائلة إنَّ مُضِيَّ السنين وتقدم الأزمان لم تغير من نص القرآن، لا في تلاوته، ولا في رسمه، فكلما شاب الزمان ازداد هذا القرآن شباباً، فالحمد لله الذي نَزَلَ القرآن وهياً أسباب حفظه حتى وصل إلينا، وعشنا في ظلاله الوارفة، وصدق الله القائل في محكم كتابه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(١) ينظر: المصدران السابقان ص ٧١ و ٨٠.

(٢) ينظر: المصدران السابقان ص ٧١ و ٨٥.



خلاصة

- ١ لدراسة المصاحف القديمة المخطوطة فوائدها عدة، منها التمرس على قراءة الخطوط القديمة، ومنها الوقوف على ما لجقَّ شكل المصحف من تطور.
- ٢ يُمثَّل المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان المحفوظ في جامع الحسين في القاهرة المصاحف العثمانية الأولى المسجدة إلى حد كبير.
- ٣ مصحف القاهرة مكتوب بالخط الكوفي القديم على الرق، وتظهر فيه نقاط الإعجام في مواضع متفرقة، وعلامات العشور، وفواصل الآيات، وفواتح السور.
- ٤ استُعملت في مصحف القاهرة نقاط الإعجام على شكل خطوط صغيرة، وهي تطابق في عددها مع نقاط الإعجام التي نستعملها في كتابتنا، سوى حرف القاف الذي يُقَطُّ بوحدة من أسفل.
- ٥ مصحف القاهرة مكتوب بالرسم العثماني، وهناك مواضع فيه تعكس اتجاهات قديمة في رسم المصحف.
- ٦ استُعمل الشريط المزخرف بالألوان في فواتح السور، من غير كتابة في داخله.
- ٧ يُمثَّل مصحف طوب قاهي سرايي مرحلة المصاحف المنقوطة بالنقط المُدَوَّر الذي اخترعه أبو الأسود الدؤلي.
- ٨ استُعملت الدوائر المزخرفة الصغيرة للإشارة إلى رؤوس الآيات، والمتوسطة للدلالة على الخموس، والكبيرة للدلالة على العشور.
- ٩ رُسمت فواتح السور على شكل شريط مزخرف بالألوان، لكنه متعدد الأشكال، فمرة على شكل مستطيل مزخرف، وأخرى على شكل دوائر قد يضمها إطار، وقد لا يضمها إطار.

- ١٠ يُمَثَّلُ مصحف ابن البواب المكتوب سنة (٣٩١هـ) مرحلة المصاحف المشكولة بالعلامات التي اخترعها الخليل بن أحمد، وهو مكتوب بخط النسخ على ورق سميك ذي لون بني غامق.
- ١١ لم يلتزم ابن البواب بالرسم العثماني في كتابة كثير من الكلمات، ويبدو أنه متأثر برأي القاضي الباقلاني الذي أباح كتابة المصحف بالإملاء الذي يكتب به الناس.
- ١٢ استعمل ابن البواب علامات الحركات وعلامة الهمزة والتشديد التي اخترعها الخليل، واستعمل للسكون دارة، ولم يترك ابن البواب حرفاً من غير علامة.
- ١٣ استوفى ابن البواب وضع نقاط الإعجام بالطريقة التي نستعملها في كتابتنا اليوم، واستعمل أيضاً رُفُوماً تُمَيِّزُ الحروف السبعة المهملة التي لها نظائر منقوطة، وهي: الحاء والذال والراء والسين والصاد والطاء والعين.
- ١٤ رَسَمَ ابن البواب في فواتح السور اسم السورة وعدد آياتها في السطر المنفرد قبل السورة، من غير وضعها في إطار مزخرف، واكتفى برسم شكل مزخرف في حاشية فاتحة السورة.
- ١٥ اعتنى ابن البواب بوضع ثلاث نقاط عند رأس كل آية، كما وضع علامات الخموس والعشور، مستعملاً لها حساب الجُمَّل.
- ١٦ أشار ابن البواب إلى الأجزاء والأحزاب، وذلك بالنص على مواضع الأسباع وأنصافها، وأجزاء ثلاثين وأجزاء ستين، على حاشية صفحات المصحف.
- ١٧ يُتِمِّكُنُ من خلال ملاحظة علامات الضبط في المصحف تحديد القراءة التي كُتِبَ عليها المصحف، وهي قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري، أحد القراء السبعة المشهورين.
- ١٨ ينتهي الدارس للمصاحف القديمة المخطوطة إلى نتيجة تؤكد على أن نص القرآن الكريم لم ينله التغيير منذ أن كتبه الصحابة رضي الله عنهم إلى عصرنا الحاضر، وأن ما لُحِقَ المصحف من تطور في شكله جاء لخدمة النص وتسهيل القراءة في المصحف.

أسئلة تقويمية

- ١ س ماذا يتحقق للدارس من دراسة المصاحف القديمة المخطوطة؟
- ٢ س ما المرحلة التي يمثلها المصحف المنسوب إلى عثمان بن عفان المحفوظ في جامع الحسين في القاهرة؟
- ٣ س اذكر أهم خصائص الخط والرسم في مصحف جامع الحسين؟
- ٤ س ما العلامات التي تظهر في هذا المصحف؟
- ٥ س كيف كانت فواتح السور في المصاحف العثمانية الأولى، وكيف صارت في مصحف جامع الحسين؟
- ٦ س ما المرحلة التي يمثلها مصحف مكتبة متحف طوب قابي سرايي؟
- ٧ س اذكر خصائص الخط والرسم في هذا المصحف؟
- ٨ س ما نوع العلامات المستعملة في هذا المصحف التي تشير إلى الحركات؟
- ٩ س ما نوع العلامات المستعملة لتمييز الحروف المتشابهة في الصورة في المصحف؟
- ١٠ س ما العلامات التي تشير إلى مواضع رؤوس الآيات في المصحف؟
- ١١ س كيف رُسِمَتْ فواتح السور في المصحف؟
- ١٢ س ما المرحلة التي يمثلها مصحف ابن البواب؟
- ١٣ س اذكر أهم خصائص الخط والرسم في مصحف ابن البواب؟
- ١٤ س ما العلامات الكتابية المستعملة في مصحف ابن البواب؟
- ١٥ س ما النظام الذي استعمله ابن البواب لإعجام الحروف؟
- ١٦ س كيف رَسَمَ ابن البواب فواتح السور؟

١٧
س
كيف يُسْتَدَلُّ على مواضع رؤوس الآيات وعددها في مصحف ابن
البواب؟

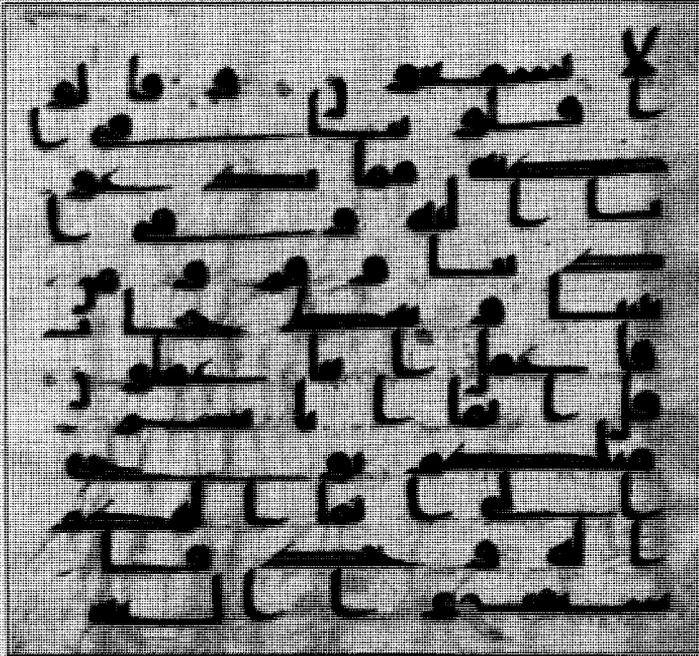
١٨
س
كيف أشار ابن البواب إلى الأجزاء والأحزاب؟

١٩
س
ما القراءة التي ضُبِّطَ عليها مصحف ابن البواب؟

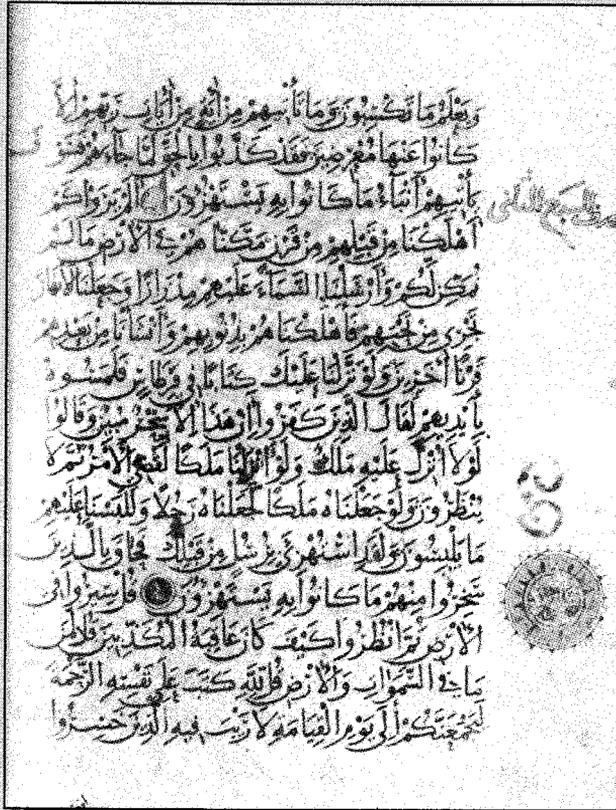
٢٠
س
ما أهم نتيجة ينتهي إليها الدارس للمصاحف القديمة المخطوطة؟

تطبيق عملي

١ - اقرأ الصفحة الآتية من مصحف جامع الحسين في القاهرة، ثم وازن
بين النص فيها وفي مصحف المدينة النبوية من حيث الرسم:



٢ - اقرأ الصفحة الآتية من مصحف ابن البواب:



ثم استخراج العلامات الآتية من الصفحة، بعد موازنتها بمصحف المدينة:

- الحركات الثلاث.
- السكون
- التنوين.
- علامة المد
- همزة القطع وهمزة الوصل.
- نقاط الإعجام.
- الرقوم على الحروف المهملة.

مصادر الكتاب

أولاً: المصاحف:

- ١ - المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: نسخة المشهد الحسيني (جامع الحسين) في القاهرة، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور طيار آتي قولاج، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢ - المصحف الشريف المنسوب إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه: نسخة متحف طوب قاپي سرايي، دراسة وتحقيق: الأستاذ الدكتور طيار آتي قولاج، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إستانبول ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٣ - مصحف ابن البواب (علي بن هلال): محفوظ في مكتبة چسترتي، رقم (ك/١٦)، طبعة مصورة مع دراسة للمستشرق (دي. إس. رايس)، جنيف ١٩٨٠م، ترجم الدراسة أحمد الأرفلي، توزيع الشركة الشرقية للنشر والتوزيع، بيروت.

ثانياً: الكتب:

- ١ - ابن آجظا (عبد الله بن عمر الصنهاجي): التبيان في شرح مورد الظمان، تحقيق: عبد الحفيظ بن محمد نور بن عمر الهندي، رسالة ماجستير، كلية القرآن الكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢ - ابن الأبار (محمد بن عبد الله): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة، بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٣ - إبراهيم جمعة (دكتور): دراسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، دار الفكر، القاهرة ١٩٦٩م.
- ٤ - ابن الأثير (المبارك بن محمد): النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر محمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
- ٥ - إحسان عباس (دكتور): تاريخ دولة الأنباط، ط ١، دار الشروق، عمان ١٩٨٧م.

- ٦ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، بيت الأفكار الدولية بيروت ٢٠٠٤م.
- ٧ - أحمد بن المبارك: الإبريز من كلام العارف بالله سيدي عبد العزيز الدباغ، صححه: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٨ - أحمد مختار عمر (دكتور): لغة القرآن، دراسة توثيقية فنية، ط٢، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ٩ - الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد): تهذيب اللغة، القاهرة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٠ - الإستراباذي (محمد بن الحسن): شرح الشافية، تحقيق: محمد الزفزاف وآخرين، مطبعة حجازي، القاهرة.
- ١١ - إسماعيل أحمد عمايرة (دكتور)، وعبد الحميد مصطفى السيد (دكتور): معجم الأدوات والضمائر في القرآن الكريم، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ١٢ - أشرف محمد فؤاد طلعت (دكتور): سفير العالمين في إيضاح وتحرير وتحرير سفير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٣ - ابن الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم): أ - إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله ﷻ، تحقيق: د. محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م.
ب - مرسوم الخط، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض ١٤٣٠هـ.
- ١٤ - الأندرابي (أحمد بن أبي عمر): الإيضاح في القراءات، تحقيق: منى عدنان غني، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٥ - الباقلائي (محمد بن الطيب): أ - الانتصار للقرآن، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع عمان، ودار ابن حزم بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
ب - نكت الانتصار لنقل القرآن، اختصره محمد بن عبد الله الصيرفي، تحقيق: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٧١م.
- ١٦ - البخاري (محمد بن إسماعيل): صحيح البخاري، بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- ١٧ - بروكلمان (كارل): تاريخ الأدب العربي، ج ١، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف بمصر.
- ١٨ - البسوي (يعقوب بن سفيان): المعرفة والتاريخ، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ١٩ - البلاذري (أحمد بن يحيى): فتوح البلدان، القاهرة ١٩٠١م.
- ٢٠ - البنا الدمياطي (أحمد بن محمد): إتحاف فضلاء البشر بقراءات الأئمة الأربعة عشر، مطبعة عبد الحميد حنفي، القاهرة ١٣٥٩هـ.
- ٢١ - ابن البناء المراكشي (أبو العباس أحمد بن عثمان): عنوان الدليل من مرسوم خط التنزيل، تحقيق: هند شلبي، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٠م.
- ٢٢ - البيهقي (أحمد بن الحسين):
 أ - دلائل النبوة، تحقيق: د. عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، ودار الريان للحديث، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
 ب - شعب الإيمان، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٣ - الترمذي (محمد بن عيسى): جامع الترمذي، بيت الأفكار الدولية.
- ٢٤ - التنسي (محمد بن عبد الله): الطراز في شرح ضبط الخراز، تحقيق: د. أحمد بن أحمد شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٢٥ - ابن تيمية (أحمد بن عبد الحلیم): شرح حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف، تحقيق: د. محمد إبراهيم فاضل المشهداني، عالم الكتب الحديث، إربد ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٢٦ - ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن محمد):
 أ - غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق: برجستراسر، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٣٢م.
 ب - منجد المقرئين، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
 ج - النشر في القراءات العشر، راجعه علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- ٢٧ - الجعبري (إبراهيم بن عمر): جميلة أرباب المراصد في شرح عقيلة أتراب القصائد، تحقيق: د. محمد خضير ماضي الزويبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

- ٢٨ - الجكني (محمد العاقب بن ما يأبي): رشف اللمى على كشف العمى، تحقيق: د. محمد بن سيدي محمد مولاى، دار إيلاف الدولية، الكويت ١٤٢٨هـ.
- ٢٩ - ابن جنى (أبو الفتح عثمان):
أ - سر صناعة الإعراب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، البابى الحلبي بمصر ١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م.
- ب - المحتسب فى تبیین شواذ القراءة، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، القاهرة ١٩٦٦م.
- ٣٠ - جواد علي (دكتور):
أ - تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٠ - ١٩٥٧م.
- ب - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٩م.
- ٣١ - جولد تسيير: مذاهب التفسير الإسلامى، ترجمة عبد الحلیم النجار، مكتبة الخانجي بمصر ١٩٥٥م.
- ٣٢ - حاجى خليفة (مصطفى بن عبد الله): كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، إستانبول ١٩٤١، ١٩٤٣م.
- ٣٣ - الحاكم (محمد بن عبد الله): المستدرک على الصحیحین، دائرة المعارف العثمانية فى الهند ١٣٣٤هـ.
- ٣٤ - ابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني): فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ.
- ٣٥ - أبو حيان (محمد بن يوسف الأندلسي): الهجاء (آخر أبواب التذييل والتكميل)، تحقيق: د. تركي بن سهو العتيبي، ط ٢، دار صادر، بيروت ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٣٦ - الخراز (محمد بن محمد الشريشي): مورد الظمان فى رسم القرآن، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، المكتبة المحمودية التجارية، بمصر.
- ٣٧ - الخزاعي (علي بن محمد): تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد الرسول ﷺ من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامى بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٣٨ - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة، ط ٣، دار إحياء التراث العربى، بيروت.

- ٣٩ - خليفة بن خياط: تاريخ خليفة، تحقيق: سهيل زكار، دمشق ١٩٦٧م.
- ٤٠ - الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٤١ - خليل يحيى نامي (دكتور): أصل الخط العربي وتاريخ تطوره إلى ما قبل الإسلام، القاهرة ١٩٣٥م.
- ٤٢ - الداني (أبو عمرو عثمان بن سعيد):
 أ - أوراق غير منشورة من كتاب المحكم، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مجلة الإمام الأعظم، العدد الرابع، بغداد ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
 ب - البيان في عدّ آي القرآن، تحقيق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
 ج - التيسير في القراءات السبع، تحقيق: أوتو برتزل، إستانبول ١٩٣٠م.
 د - جامع البيان في القراءات السبع المشهورة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- هـ - المحكم في نقط المصاحف، تحقيق: د. عزة حسن، دار الفكر، دمشق ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- و - المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار، تحقيق: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ز - الموضح لمذاهب القراء واختلافهم في الفتح والإمالة، تحقيق: فرغلي سيد عرباوي، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠م.
- ٤٣ - أبو داود (سليمان بن الأشعث): سنن أبي داود، بيت الأفكار الدولية.
- ٤٤ - أبو داود (سليمان بن نجاح):
 أ - كتاب أصول الضبط وكيفيته على جهة الاختصار، تحقيق: د. أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٧هـ.
 ب - مختصر التبيين لهجاء التنزيل، تحقيق: أحمد بن أحمد بن معمر شرشال، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٤٥ - ابن أبي داود (عبد الله بن سليمان): كتاب المصاحف، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٤٦ - ابن درستويه (عبد الله بن جعفر): كتاب الكُتَّاب، تحقيق: د. إبراهيم السامرائي ود. عبد الحسين الفتلي الكويت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

- ٤٧ - ديرينجر: الكتابة، ترجمة وتعليق د. عامر سليمان، المجمع العلمي، بغداد ٢٠٠١م.
- ٤٨ - الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق: د. طيار آلي قولاج، مركز البحوث الإسلامية، إستانبول ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- ٤٩ - رايس (دي. إس): المخطوط الوحيد لابن البواب بمكتبة جستریتی، ترجمة أحمد الأرفلي، جنيف ١٩٨٠م.
- ٥٠ - الرجراجي (حسين بن علي): تنبيه العطشان على مورد الظمان (من أول الكتاب إلى باب حذف الياء)، تحقيق: محمد سالم حرشة، رسالة الماجستير، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، جامعة المرقب ٢٠٠٦م.
- ٥١ - رمزي بعلبكي (دكتور): الكتابة العربية والسامية، ط١، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨١م.
- ٥٢ - رمضان عبد التواب (دكتور): مناهج تحقيق التراث، بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٥٣ - الزجاج (إبراهيم بن محمد بن السري): معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ٥٤ - الزجاجي (عبد الرحمن بن إسحاق): كتاب الخط، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ٥٥ - الزرقاني (محمد عبد العظيم): مناهل العرفان في علوم القرآن، ط٣، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الباي الحلبي) والقاهرة.
- ٥٦ - الزركشي (محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، عيسى الباي الحلبي، القاهرة ١٩٧٢م.
- ٥٧ - الزركلي (خير الدين): الأعلام، ط٥، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠م.
- ٥٨ - زكريا بن محمد الأنصاري:
- أ - تحفة نجباء العصر في أحكام النون الساكنة والتنوين والمد والقصر، تحقيق: د. محيي هلال السرحان، بغداد ١٩٨٦م.
- ب - الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، ط٤، تحقيق: د. نسيب نشاوي، دار المكتبي ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٥٩ - أبو زهرة (الشيخ محمد): المعجزة الكبرى (القرآن)، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

- ٦٠ - ابن السراج (محمد بن السري): كتاب الخط، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مجلة المورد مج ٥ ع ٣٤، بغداد ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.
- ٦١ - ابن سعد (محمد): الطبقات الكبرى، دار صادر - دار بيروت ١٩٥٧م.
- ٦٢ - السمعاني (عبد الكريم بن محمد): أدب الإملاء والاستملاء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ٦٣ - سهيلة ياسين الجبوري: أصل الخط العربي وتطوره حتى نهاية العصر الأموي، مطبعة الأديب، بغداد ١٩٧٧م.
- ٦٤ - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان): الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، القاهرة.
- ٦٥ - السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر):
 أ - الإتيان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢٦هـ.
 ب - المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرين، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي)، القاهرة.
 ج - همع الهوامع شرح جمع الجوامع في النحو، صححه: محمد بدر الدين النعساني، طبعة الخانجي بمصر ١٣٢٧هـ.
- ٦٦ - الشاطبي (القاسم بن فيرّة): عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد في علم رسم المصحف، تحقيق: د. أيمن رشدي سويد، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٦٧ - أبو شامة المقدسي (عبد الرحمن بن إسماعيل): المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، تحقيق: طيار آتني قولاج، دار صادر، بيروت ١٩٧٥م.
- ٦٨ - شعبان محمد إسماعيل (دكتور): رسم المصحف وضبطه، بين التوقيف والاصطلاحات الحديثة، ط ٢، دار السلام، القاهرة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٦٩ - الشنقيطي (محمد حبيب الله بن عبد الله): كتاب إيقاظ الأعلام لوجوب إتباع رسم المصحف الإمام، ط ٢، مكتبة المعرفة، حمص ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ٧٠ - الشوكاني (محمد بن علي): إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٧١ - أبو الشيخ (عبد الله بن محمد الأصبهاني): كتاب أخلاق النبي ﷺ وآدابه، تحقيق: أحمد محمد مرسي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٢م.

- ٧٢ - صالح بن إبراهيم الحسن، الكتابة العربية من النقوش إلى الكتاب المخطوط، دار الفيصل الثقافية، الرياض ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٧٣ - صبحي الصالح (دكتور): مباحث في علوم القرآن، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٥م.
- ٧٤ - الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك): تصحيح التصحيف وتحريم التحريف، تحقيق: السيد الشرقاوي، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٧٥ - صلاح الدين المنجد (دكتور): دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي، دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٧٢م.
- ٧٦ - الضباع (علي محمد): سмир الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، مع سفير العالمين، للدكتور أشرف محمد فؤاد طلعت، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٧٧ - طاش كبري زاده (عصام الدين أحمد بن مصطفى):
 أ - شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: د. محمد سيدي محمد محمد الأمين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة ١٤٢١هـ.
 ب - مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٧٨ - الطالب عبد الله بن محمد الأمين الجكني الشنقيطي: الإيضاح الساطع على المحتوي الجامع رسم الصحابة وضبط التابع، تحقيق: الشيخ بن محمد بن الشيخ أحمد، ط١، نواكشوط ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- ٧٩ - الطبراني (سليمان بن أحمد): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة الزهراء، الموصل ١٩٨٤م.
- ٨٠ - الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير):
 أ - تاريخ الطبري: (تاريخ الرسل والملوك)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت (د.ت).
 ب - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- ٨١ - ابن عبد البر (يوسف بن عبد الله):
 أ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة ١٩٦٠م.
 ب - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المغرب ١٣٨٧هـ.

- ٨٢ - عبد الحي حسين الفرماوي (دكتور): رسم المصحف ونقطه، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ودار نور المكتبات، جدة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ٨٣ - ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، القاهرة ١٩٤٠م.
- ٨٤ - عبد الصبور شاهين (دكتور): القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، دار القلم، القاهرة ١٩٦٦م.
- ٨٥ - عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ (دكتور): حديث الأحرف السبعة، دراسة لإسناده ومتمنه واختلاف العلماء في معناه وصلته بالقراءات القرآنية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٨٦ - عبد الله بن يوسف الجديع: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط٣، مؤسسة الريان، بيروت ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٨٧ - عبده الراجحي (دكتور): اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.
- ٨٨ - أبو عبيد (القاسم بن سلام):
- أ - غريب الحديث، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ب - فضائل القرآن، تحقيق: مروان عطية وآخرين، دار ابن كثير، دمشق ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- ج - كتاب الأموال، دار الحدائث، بيروت ١٩٨٨م.
- ٨٩ - العسكري (أبو أحمد الحسين بن عبد الله): شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق: عبد العزيز أحمد، البايع الحلبي بمصر ١٩٦٣م.
- ٩٠ - العطار (أبو العلاء الحسن بن أحمد الهمداني): التمهيد في معرفة التجويد، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ٩١ - ابن عطية (عبد الحق بن أبي بكر): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: الرحالي فاروق وآخرين، الدوحة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٧م.
- ٩٢ - العقيلي (أبو طاهر إسماعيل بن ظافر): المختصر في مرسوم المصحف الكريم، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٩٣ - علم الدين السخاوي (علي بن محمد): الوسيلة إلى كشف العقيلة، تحقيق: د. مولاي محمد الإدريسي الطاهري، ط٣، مكتبة الرشد (ناشرون)، الرياض ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- ٩٤ - علي عبد الواحد وافي (دكتور): علم اللغة، ط٧، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢م.
- ٩٥ - علي القاري (ملا علي بن سلطان بن محمد): المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق: أسامة عطايا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٩٦ - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دمشق ١٩٥٧م.
- ٩٧ - عياض بن موسى (القاضي): الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ط٢، تحقيق: محمد أمين قره علي وآخرين، دار الفيحاء، عمان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
- ٩٨ - غانم قدوري الحمد:
أ - الأجوبة العلمية على أسئلة ملتقى أهل التفسير، دار عمار، عمان ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
ب - رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، بغداد ١٩٨٢م.
ج - علم الكتابة العربية، دار عمار، عمان ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
د - موازنة بين رسم المصحف والنقوش العربية القديمة، مجلة المورد، مج١٥، ع٤، بغداد ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، منشور ضمن كتاب «أبحاث في علوم القرآن»، دار عمار، عمان ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ٩٩ - ابن فارس (أحمد): الصحابي في فقه العربية، تحقيق: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧م.
- ١٠٠ - الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد): معاني القرآن، تحقيق: محمد علي النجار وآخرين، دار الكتب، القاهرة.
- ١٠١ - الفلكلابادي (مؤمن بن علي): جامع الكلام في رسم مصحف الإمام، مخطوطاً في المكتبة السليمانية، إسطنبول، الرقم ٤٤.
- ١٠٢ - فندريس: اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠م.
- ١٠٣ - ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم):
أ - أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٤، مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.
ب - تأويل مشكل القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٣، المكتبة العلمية، المدينة المنورة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- ١٠٤ - القسطلاني (أحمد بن محمد): لطائف الإشارات لفنون القراءات، تحقيق: الشيخ عامر السيد عثمان، ود. عبد الصبور شاهين، القاهرة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.
- ١٠٥ - القلقشندي (أحمد بن علي): صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٠٦ - المارغني (إبراهيم بن أحمد): دليل الحيران في شرح مورد الظمان، دار القرآن، القاهرة ١٩٧٤م.
- ١٠٧ - ابن مجاهد (أحمد بن موسى): كتاب السبعة في القراءات، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر ١٩٧٢م.
- ١٠٨ - محمد حسين هيكل: الصديق أبو بكر، ٥٥، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤م.
- ١٠٩ - محمد شملول: إعجاز رسم القرآن وإعجاز التلاوة، ط ٢، دار السلام، القاهرة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١١٠ - محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١١ - محمد طاهر الكردي: تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ط ٢، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م.
- ١١٢ - محمد فؤاد عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب، القاهرة.
- ١١٣ - محمد المختار ولد أباه (دكتور): تاريخ القراءات في المشرق والمغرب، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٨م.
- ١١٤ - المخللاتي (رضوان بن محمد بن سليمان): إرشاد القراء والكتابين إلى معرفة رسم الكتاب المبين، تحقيق: أبي الخير عمر بن مال م أبه المراطي، مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
- ١١٥ - المراكشي (محمد بن محمد بن عبد الملك): الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ١١٦ - مساعد بن سليمان الطيار (دكتور):
- أ - المحرر في علوم القرآن، معهد الإمام الشاطبي، جدة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ب - مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، دار المُحدِّث، الرياض ١٤٢٥هـ.

- ١١٧ - مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، بيت الأفكار الدولية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ١١٨ - ابن معاذ الجهني (محمد بن يوسف): البديع في معرفة ما رُسم في مصحف عثمان، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١٩ - مكّي بن أبي طالب القيسي:
- أ - الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، ودار المأمون للتراث، دمشق ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ب - مشكل إعراب القرآن، تحقيق: ياسين محمد السواس، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٤٩٣هـ - ١٩٧٤م.
- ج - الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ١٢٠ - ابن منظور (محمد بن مكرم): لسان العرب، طبعة بولاق.
- ١٢١ - المهدي (أحمد بن عمار): هجاء مصاحف الأمصار، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار ابن الجوزي، الرياض ١٤٣٠هـ.
- ١٢٢ - مؤسسة آل البيت (المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية): الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، علوم القرآن (رسم المصحف)، عمان ١٩٨٦م.
- ١٢٣ - ابن الناظم (أبو بكر أحمد بن محمد الجزري): الحواشي المفهومة في شرح المقدمة، تحقيق: عمر عبد الرزاق معصراي، الجفان والجابي، دمشق ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- ١٢٤ - ابن النديم (محمد بن إسحاق): الفهرست، تحقيق: رضا - تجدد، طهران ١٩٧١م.
- ١٢٥ - نصر الهوريني: المطالع النصرية للمطابع العصرية في الأصول الخطية، ط ٢، بولاق، القاهرة ١٩٠٢م.
- ١٢٦ - نولدكه (تيودور): تاريخ القرآن (تعديل فريديش شفالي)، ترجمة د. جورج تامر، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)، بغداد ٢٠٠٨م.
- ١٢٧ - النووي (يحيى بن شرف):
- أ - التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ب - صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكبتها، القاهرة.

- ١٢٨ - هلال ناجي: ابن البواب عبقري الخط العربي عبر العصور، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.
- ١٢٩ - الهيثمي (علي بن أبي بكر): مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٣٠ - ابن وثيق (إبراهيم بن محمد الإشبيلي): الجامع لِمَا يُحْتَاجُ إليه من رسم المصحف، تحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٩م.
- ١٣١ - ابن يعيش (يعيش بن علي): شرح المفصل، الطباعة المنيرية، القاهرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
* مقدمة	٥
* التمهيد: أصل الكتابة العربية وخصائصها	١١
أولاً: أصل الكتابة العربية	١١
ثانياً: خصائص الكتابة العربية قبل تدوين القرآن الكريم	١٤
خلاصة	٢١
أسئلة تقويمية	٢٢
الفصل الأول: أصول رسم المصحف	٢٣
المبحث الأول: علم رسم المصحف: تعريفه وفائدته	٢٥
خلاصة	٢٩
أسئلة تقويمية	٣٠
المبحث الثاني: مراحل تدوين القرآن الكريم	٣١
أولاً: كتابة القرآن في زمن النبي ﷺ	٣١
ثانياً: جمع القرآن في صحف منظمة	٣٤
ثالثاً: نسخ الصحف في المصاحف	٣٦
خلاصة	٣٩
أسئلة تقويمية	٤٠
المبحث الثالث: الأسس التي استند إليها الصحابة في تدوين القرآن الكريم	٤١
أولاً: اللغة التي كُتِبَ بها القرآن الكريم	٤١
ثانياً: علاقة الأحرف السبعة بالمصاحف العثمانية	٤٣
ثالثاً: هل رسم المصاحف توقيفي	٤٦
رابعاً: وجوب الالتزام بالرسم العثماني	٥٠
خلاصة	٥٣
أسئلة تقويمية	٥٤

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: مصادر دراسة رسم المصحف	٥٥
المبحث الأول: المصاحف القديمة المخطوطة	٥٧
خلاصة	٦١
أسئلة تقويمية	٦٢
المبحث الثاني: المؤلفات الأولى في علم رسم المصحف	٦٣
خلاصة	٧٢
أسئلة تقويمية	٧٣
المبحث الثالث: المؤلفات الجامعة في الرسم	٧٤
أولاً: المؤلفات الجامعة المفقودة	٧٤
ثانياً: المؤلفات الجامعة الباقية	٨٠
خلاصة	٨٨
أسئلة تقويمية	٩٠
المبحث الرابع: المؤلفات المنظومة في الرسم	٩١
خلاصة	٩٨
أسئلة تقويمية	١٠٠
الفصل الثالث: خصائص الرسم العثماني	١٠١
المبحث الأول: الحذف	١٠٥
أولاً: حذف الألف	١٠٦
ثانياً: حذف الياء	١١١
ثالثاً: حذف الواو	١١٥
رابعاً: حذف اللام	١١٧
خامساً: حذف النون	١١٧
خلاصة	١٢١
أسئلة تقويمية	١٢٣
تطبيق عملي	١٢٤
المبحث الثاني: الزيادة	١٢٥
أولاً: زيادة الألف	١٢٥
ثانياً: زيادة الياء	١٢٧
ثالثاً: زيادة الواو	١٢٨

الصفحة	الموضوع
١٣١	خلاصة
١٣٢	أسئلة تقويمية
١٣٢	تطبيق عملي
١٣٤	المبحث الثالث: البدل
١٣٥	أولاً: رسم الألف واوياً
١٣٥	ثانياً: رسم الألف ياءً
١٣٧	ثالثاً: رسم هاء التانيث تاءً
١٤٤	خلاصة
١٤٥	أسئلة تقويمية
١٤٥	تطبيق عملي
١٤٧	المبحث الرابع: أحكام الهمزات
١٤٨	أولاً: أحكام الهمزة المتقدمة
١٥٠	ثانياً: أحكام الهمزة المتوسطة
١٥٣	ثالثاً: أحكام الهمزة المتطرفة
١٥٨	خلاصة
١٦٠	أسئلة تقويمية
١٦٠	تطبيق عملي
١٦٢	المبحث الخامس: الفصل والوصل
١٦٢	أولاً: وصل الكلمات التي حصل فيها إدغام وفصلها
١٦٩	ثانياً: وصل الكلمات التي لم يحصل فيها إدغام وفصلها
١٧٦	خلاصة
١٧٧	أسئلة تقويمية
١٧٧	تطبيق عملي
١٧٩	الفصل الرابع: توجيه ظواهر الرسم المخالفة للنطق
١٨٥	المبحث الأول: مذاهب الدارسين في توجيه ظواهر الرسم
١٨٥	المذهب الأول: ظواهر الرسم من سوء هجاء الأولين
١٩٢	المذهب الثاني: ظواهر الرسم تدل على أسرار خفية
١٩٩	المذهب الثالث: التعليل اللغوي لظواهر الرسم
٢٠٤	خلاصة

٢٠٥ أسئلة تقويمية
٢٠٦ المبحث الثاني: تعليل ظواهر الرسم
٢٠٨ أولاً: تعليل ظواهر الحذف في الرسم
٢٠٨	١ - حذف حروف العلة المفردة
٢١١	٢ - حذف أحد حرفي العلة المكررين
٢١٣ ثانياً: تعليل ظواهر الزيادة في الرسم
٢١٣	١ - تعليل زيادة الألف
٢١٨	٢ - تعليل زيادة الواو
٢٢٠	٣ - تعليل زيادة الياء
٢٢٣ ثالثاً: تعليل ظواهر البدل في الرسم
٢٢٤	١ - تعليل رسم الألف واواً
٢٢٧	٢ - تعليل رسم الألف ياءً
٢٢٩	٣ - تعليل رسم تاء التانيث هاءً
٢٣١ رابعاً: تعليل رسم الهمزة
٢٣٣	١ - تعليل ما رُسِمَتْ فيه الهمزة برمز واحد
٢٣٣	٢ - تعليل ما رُسِمَتْ فيه الهمزة برمزين
٢٣٥	٣ - تعليل غرائب رسم الهمزة في المصحف
٢٣٦ خامساً: تعليل المقطوع والموصول
٢٤١ خلاصة
٢٤٤ أسئلة تقويمية
٢٤٧ الفصل الخامس: علاقة القراءات برسم المصحف
٢٥٠ المبحث الأول: موافقة الرسم أحد أركان القراءة الصحيحة
٢٥٧ خلاصة
٢٥٨ أسئلة تقويمية
٢٥٩ المبحث الثاني: الوجوه الجائزة لمخالفة القراءة الرسم والوجوه الممتنعة
٢٦٢ أولاً: أثر مجرد الخط من النقاط والشكل
٢٦٥ ثانياً: أثر خصائص الرسم القديم
٢٦٩ ثالثاً: أثر اختلاف المصاحف
٢٧٦ خلاصة

الصفحة	الموضوع
٢٧٧	أسئلة تقويمية
٢٧٨	المبحث الثالث: تجرد الرسم ليس سبباً لنشأة القراءات
٢٨٢	خلاصة
٢٨٣	أسئلة تقويمية
٢٨٥	الفصل السادس: علم الضبط مع دراسة تحليلية لنماذج مصورة من المصاحف
٢٨٧	المبحث الأول: تعريف بعلم الضبط
٢٨٩	أولاً: تاريخ استعمال العلامات في الكتابة العربية
٢٩١	١ - علامات الحركات
٢٩٦	٢ - نقاط الإعجام
٣٠٠	ثانياً: تعريف بالعلامات في الكتابة العربية
٣٠٠	١ - علامات الحركات
٣٠١	٢ - علامة السكون
٣٠٢	٣ - علامة التنوين
٣٠٤	٤ - علامة التشديد
٣٠٥	٥ - علامة المد
٣٠٦	٦ - علامة الهمزة
٣١١	خلاصة
٣١٣	أسئلة تقويمية
٣١٤	تطبيق عملي
٣١٥	المبحث الثاني: دراسة تحليلية لنماذج مصورة من المصاحف
٣١٥	أولاً: نماذج مصورة من المصاحف المجردة
٣٢٦	ثانياً: نماذج مصورة من المصاحف المنقوطة
٣٣٤	ثالثاً: نماذج مصورة من المصاحف المشكولة
٣٤٤	خلاصة
٣٤٦	أسئلة تقويمية
٣٤٧	تطبيق عملي
٣٤٩	* مصادر الكتاب
٣٦٢	* فهرس الموضوعات

إصدارات مركز الدراسات والمعلومات القرآنية

- ١ - مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (مجلة علمية محكمة نصف سنوية صدر منها الأعداد ١ - ١١).
- ٢ - مفاهيم قرآنية في البناء والتنمية: أ.د. عبد الكريم بكار. ضمن سلسلة القرآن وقضايا العصر (١).
- ٣ - المحرر في علوم القرآن: د. مساعد بن سليمان الطيار. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (١) - الطبعة الثالثة.
- ٤ - منهج الاستنباط من القرآن الكريم: فهد بن مبارك الوهبي. ضمن سلسلة الرسائل الجامعية (١).
- ٥ - شرح المقدمة الجزرية: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (٢).
- ٦ - منظومة المقدمة الجزرية: لابن الجزري. تحقيق: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة تحقيق التراث (١).
- ٧ - إقرأ القرآن الكريم: منهجه وشروطه وأساليبه وآدابه: دخيل بن عبد الله الدخيل. ضمن سلسلة الرسائل الجامعية (٢).
- ٨ - تجربة المقرأة القرآنية الثانية في تعليم القرآن: موسى الجاروشة. ضمن سلسلة تجارب في خدمة القرآن (١).
- ٩ - تعليم تدبر القرآن الكريم: أساليب عملية ومراحل منهجية: د. هاشم الأهدل. ضمن سلسلة تدبر القرآن (١).
- ١٠ - الميسر في علم التجويد: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (٤).
- ١١ - الشرح الوجيز على المقدمة الجزرية: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (٣).
- ١٢ - الحسبه بشرح منظومة إتحاف الصحبه بما خالف فيه حفصاً شعبه: محمد عبد الله بن الشيخ محمد الشنقيطي.
- ١٣ - دليل الكتب المطبوعة في الدراسات القرآنية (حتى عام ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م). ضمن سلسلة الكشافات والأدلة (١).
- ١٤ - الميسر في علم عدّ آي القرآن: أ.د. أحمد خالد شكري. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (٥).
- ١٥ - الميسر في علم رسم المصحف وضبطه: أ.د. غانم قدوري الحمد. ضمن سلسلة المقررات الدراسية (٦).

معهد الإمام الشاطبي في سطور

بالقرآن وعلومه، ويتكون من عدة وحدات:
وحدة مجلة المعهد المحكمة، وحدة
المعلومات، وحدة
البحث العلمي، وحدة النشر العلمي.

ثالثاً: مركز التدريب:

يعنى المركز بتأهيل وتدريب منسوبي
الجمعية من معلمين ومشرفين على مختلف
تخصصاتهم لرفع مستوى الأداء وتحسين
الجودة في الجمعية: إدارياً وتربوياً ومهارياً،
وتقديم بعض خدماته لجمعيات تحفيظ
القرآن الكريم الأخرى.

رابعاً: قسم المقارئ القرآنية:

يشرف القسم على مراكز إقراء تهدف إلى
تخريج الحفاظ المتقنين للقرآن الكريم
وأجازتهم بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ،
ويتولى الشيخ المجاز إقراء طالبي الإجازة سواء
على قراءة أو عدة قراءات جمعاً أو أفراداً.

خامساً: قسم التعليم الإلكتروني:

ويهدف إلى تطوير التقنية الحديثة لتعليم
القرآن الكريم وإتاحة الفرصة للراغبين في
الاستفادة من برامج المعهد التعليمية من شتى
بقاع العالم، وذلك من خلال تنظيم برامج
الإقراء والدروس والدورات القرآنية المباشرة
والمسجلة عبر شبكة المعلومات العالمية
(الإنترنت).

سادساً: قسم الدورات القرآنية:

ويسعى القسم إلى رفع مستوى الأداء وتمكين
علم التجويد لدى معلمي القرآن الكريم من
خلال دورات التجويد والقراءات وطرق
التدريس، كما يهدف إلى تعليم كافة فئات
المجتمع أحكام التجويد وقواعد التلاوة.

سابعاً: القسم النسائي:

ويعنى بإيصال رسالة المعهد إلى المجتمع
النسائي عبر أقسامه التالية: دبلوم إعداد
معلمات القرآن الكريم، ودبلوم إعداد معلمات
رياض الأطفال، وقسم المقارئ والإجازات، قسم
الدورات والتدريب، وقسم التعليم الإلكتروني.

● رؤية المعهد:

تحقيق الجودة التعليمية من خلال عمل
مؤسسي وبرامج معتمدة.

● رسالة المعهد:

مؤسسة غير ربحية تعنى بالتعليم والتدريب
والنشر العلمي في مجال القرآن الكريم وعلومه
من خلال برامج نوعية وتقنيات حديثة.

● الأهداف الاستراتيجية للمعهد:

١ - تحقيق الاستقرار الإداري والمالي للمعهد.
٢ - الحصول على الاعتماد الأكاديمي لبرامج
المعهد.

٣ - إعداد وتأهيل العاملين في مجال القرآن
الكريم.

٤ - التعريف ببرامج المعهد وإبراز دوره في
خدمة المجتمع.

٥ - إحياء سنة الإقراء وتخريج المجازين في
القراءات المختلفة.

٦ - استثمار التقنية والأساليب الحديثة في
تعليم القرآن الكريم.

٧ - نشر البحوث والدراسات القرآنية وتيسير
الوصول إليها.

● أقسام المعهد:

أولاً: قسم البرامج التعليمية:

وهو قسم متخصص في تقديم البرامج
التعليمية (الأكاديمية) التي تسهم في إعداد
وتأهيل الكوادر العلمية المتميزة في مجال
تعليم القرآن الكريم.

ويضم القسم البرامج التعليمية الآتية:

١ - برنامج دبلوم إعداد معلمي القرآن الكريم.

٢ - برنامج دبلوم القراءات.

٣ - البرنامج التأهيلي الشامل لمعلمي القرآن.

٤ - البرنامج التأهيلي الشامل لمشرفي
المراكز القرآنية.

٥ - دبلوم الإدارة التعليمية.

ثانياً: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية:

وهو مركز متخصص يعنى بنشر الدراسات
القرآنية وتسهيل الوصول للمعلومات المتعلقة